سلسلة

قضايا اجتماعية من القرآن والسنة النبوية

الكتاب الرابع عشر

14

الاقتصاد والاجتماع

د. عبد الله بن أحمد الفيفي

دار الكتب العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم

الإقتصاد و الإجتماع

كاتب:

خالد فائق العبيدى

نشرت فى الطباعة:

دارالكتب العلمية

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الإقتصاد و الإجتماع ----- ۱۲
اشارة ----- ۱۲
مقدمة ----- ۱۲
الفصل الأول نظرة عامة ----- ۱۴
مقاصد الشريعة: ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
۱. الضروريات: ----- ۱۵
۲. الحاجيات: ----- ۱۵
۳. التحسينيات: ----- ۱۵
الفصل الثانی الاقتصاد فی الإسلام ----- ۱۸
الفصل الثالث النظام الاجتماعی الإسلامی ----- ۲۲
اشارة ----- ۲۲
۱. حرمة الدم و حفظ حق الحياة: ----- ۲۲
۲. حرمة العرض فصان للفرد حق الكرامة: ----- ۲۲
۳. حرمة المال و حق التملک: ----- ۲۲
۴. حرمة البيوت و حق الاستقلال الشخصی: ----- ۲۳
۵. حرية الرأی و الفكر و الاعتقاد و التعبير: ----- ۲۳
۶. حق المعارضة و النصيحة: ----- ۲۳
۷. حق القضاء و القصاص العدل: ----- ۲۳
۸. حق التعلم حتی وقت الحرب: ----- ۲۳
۹. حق العمل «۱»: ----- ۲۳
۱۰. حق التجمع لعمل الخير و نبذ التجمع للشر: ----- ۲۵

۱۱. ثبت حقوق الزواج و المرأة و الميراث و نظام الأسرة: ۲۵
منزلة المرأة و الأسرة فی الإسلام: ۲۶
معنی القوامة فی الإسلام: ۳۰
الحقائق العلمية بنفی المساواة المطلقة: ۳۳
منزلة الوالدين فی الإسلام: ۴۱
الفصل الرابع بعض دلائل الرقی فی السلوک الاجتماعی فی الإسلام ۴۲
الملحق تاريخ التشريع الإسلامی ۵۰
اشارة ۵۰
التشريع الإسلامی: ۵۰
أدوار تاريخ التشريع الإسلامی ۵۰
مصادر التشريع الإسلامی: ۵۱
اشارة ۵۱
۱. القرآن الكريم: ۵۱
۲. السّنّة النبوية: ۵۱
۳. الإجماع: ۵۱
۴. القياس: ۵۲
ضرورة التزام الفقه الإسلامی، و التمسک بأحكامه: ۵۲
اشارة ۵۲
۱- الدور الأول: التشريع فی حياة رسول اللّه صلّی اللّه عليه و سلّم الكتاب و السنة: ۵۳
اشارة ۵۳
۱- القرآن الكريم: ۵۳
أ- تعريفه: ۵۳
ب- الفرق بينه و بين الحديث النبوی و الحديث القدسی: ۵۳
ج- نزول القرآن الكريم «۱»: ۵۴

اشارة ----- ۵۴
الحکمة من نزوله منجّما: ----- ۵۵
د- نزول القرآن علی سبعة أحرف: ----- ۵۵
اشارة ----- ۵۵
حکمة نزول القرآن علی سبعة أحرف: ----- ۵۷
ه- جمع القرآن و ترتیبه: ----- ۵۸
اشارة ----- ۵۸
۱- جمع القرآن بمعنی حفظه علی عهد النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: ----- ۵۸
۲- ترتیب الآیات و السور: ----- ۵۹
۲- تاریخ الحدیث النبوی: ----- ۵۹
کتابة الحدیث فی عهد النبی صلّی اللّه علیه و سلّم: ----- ۵۹
۲- الدور الثانی: التشریع فی عصر کبار الصحابة ----- ۶۰
الکتاب و السنة فی الدور الثانی: ----- ۶۰
اشارة ----- ۶۰
أ- القرآن الکریم فی عهد أبی بکر رضی اللّه عنه ----- ۶۰
ب- جمع القرآن فی عهد عثمان بن عفان رضی اللّه عنه ----- ۶۱
اشارة ----- ۶۱
رسم القرآن: ----- ۶۲
تحسین الرسم العثمانی: ----- ۶۳
ضوابط القراءة الصحیحة: ----- ۶۳
عنایة العلماء بالمکی و المدنی: ----- ۶۴
الفرق بین المکی و المدنی: ----- ۶۴
أهمیة معرفة المکی و المدنی: ----- ۶۴
۱- الاستعانة بها فی تفسیر القرآن: ----- ۶۴

۲- معرفة الناسخ و المنسوخ من الآیات: ۶۴
الحدیث فی عهد الصحابة رضی اللّه عنهم: ۶۴
اشارة ۶۵
عوامل حفظ الصحابة للحدیث: ۶۵
قوانین الروایة فی عهد الصحابة: ۶۵
فقه الصحابة: ۶۶
۳- الدور الثالث: التشریع فی عهد صغار الصحابة و التابعین ۷۲
اشارة ۷۲
ممیزات و خصائص هذا الدور: ۷۲
نبذة عامة بمصطلح الحدیث: ۷۳
اشارة ۷۳
تعریف الحدیث: ۷۴
أهم مراتب الحدیث من حیث القوة و الضعف: ۷۴
علم الجرح و التعدیل: ۷۵
أهم کتب الروایة فی القرنین الثانی و الثالث هجری: ۷۵
۱- موطأ مالک: ۷۵
۲- مسند الإمام أحمد: ۷۶
۳- صحیح البخاری: ۷۶
۴- صحیح مسلم: ۷۶
۵- سنن أبی داود: ۷۷
۶- جامع الترمذی: ۷۷
۷- سنن النّسائی: ۷۷
۸- سنن ابن ماجة: ۷۷
۴- الدور الرابع من تاریخ التشریع الإسلامی: عصر الأئمة ۷۸

اشارة ----- ۷۸
أولا: ترجمة الإمام الأكبر أبى حنيفة النعمان رضى اللّه تعالى عنه و أرضاه: ----- ۷۸
بشارة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم به: ----- ۷۸
حرصه على الكسب الحلال: ----- ۷۸
حرصه على مظهره: ----- ۷۹
طلبه للعلم: ----- ۷۹
ولعه بالفقه الفرضى: ----- ۷۹
فتنته مع أبى هبيرة: ----- ۸۰
منهج أبى حنيفة العلمى: ----- ۸۰
تأديبه لتلميذه أبى يوسف: ----- ۸۱
موقفه من آل بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: ----- ۸۱
أهم مؤلفاته: ----- ۸۳
أقوال معاصريه فيه: ----- ۸۳
ورعه و تقواه و عبادته للّه تعالى: ----- ۸۵
عرض القضاء عليه و وفاته: ----- ۸۵
۲- ترجمة الإمام مالك بن أنس رضى اللّه عنه: ----- ۸۵
بشارة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم به: ----- ۸۵
ميلاده و نسبه و نشأته و طلبه للعلم: ----- ۸۶
تفوقه العلمى و جلوسه للفتيا: ----- ۸۷
ورعه و تخوّفه من الفتوى: ----- ۸۷
الأجواء التى كانت سائدة فى عصره و علاقته بالخلفاء: ----- ۸۸
علم الإمام مالك و أقوال بعض العلماء فيه: ----- ۸۹
أهم مؤلفاته: الموطأ: ----- ۸۹
منهجه العلمى: ----- ۹۰

أصوله الاجتهادية: ۹۰
قاعدة: المعروف عرفا كالمشروط شرطا ۹۲
قاعدة: إن النص يهيمن على العرف و لا يهيمن العرف على النص. ۹۳
أسباب انتشار مذهب الإمام مالک: ۹۳
من أقواله: ۹۴
۳- ترجمة الإمام الشافعی رضی اللّه عنه: ۹۵
بشارة النبی صلّی اللّه علیه و سلّم به: ۹۵
اسمه و نسبه و تاریخ میلاده: ۹۵
تحصیله و طلبه للعلم: ۹۵
اتهامه بخیانة الخلافة العباسیة: ۹۷
موقف الشافعی من الإمامة و الخلافة: ۹۸
إقامته فی العراق: ۹۸
تألیفه لکتابه "الرسالة "و أهمیته: ۹۹
عودة الشافعی إلی العراق: ۱۰۰
أسفاره و زیارته مصر: ۱۰۱
لقاؤه السیدة نفیسة و أخذه عنها العلم: ۱۰۲
تدریسه و تألیفه لکتابه "الأم:" ۱۰۲
أدب الشافعی مع مخالفی مذهبه و عدم تعصبه: ۱۰۲
علم أصول الفقه و تعریفه: ۱۰۳
منهج الشافعی العلمی: ۱۰۴
من عباداته و نوافله: ۱۰۵
مرضه و وفاته: ۱۰۵
من وصایاه و أقواله: ۱۰۵
۴- ترجمة الإمام أحمد بن حنبل رضی اللّه عنه ۱۰۶

اشارة ----- ۱۰۶
مولده و نسبه: ----- ۱۰۶
طلبه للعلم: ----- ۱۰۶
حجة بيت اللّه الحرام: ----- ۱۰۷
ورعه و تقواه و تعففه: ----- ۱۰۷
منهجه العلمی و مميزات فقهه: ----- ۱۰۷
رفضه للفتوی فی أول حياته: ----- ۱۰۸
شدة حرصه و أسلوبه فی التدريس: ----- ۱۰۸
محنته العظيمة: ----- ۱۰۹
موقفه من الحكم و الدولة: ----- ۱۱۰
مسند الإمام أحمد: ----- ۱۱۰
أعمال للمؤلف ----- ۱۱۱
مشاريع كتب للمؤلف ----- ۱۱۲
فهرس المحتويات ----- ۱۱۲
تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ----- ۱۱۲

الإقتصاد و الإجتماع

اشارة

نام کتاب: الإقتصاد و الإجتماع نویسنده: خالد فائق العبیدی موضوع: اعجاز علمی تاریخ وفات مؤلف: معاصر زبان: عربی تعداد جلد: ۱ ناشر: دارالکتب العلمیة مکان چاپ: بیروت سال چاپ: ۱۴۲۶ / ۲۰۰۵ نوبت چاپ: اوّل

مقدمة

مقدمة بسم اللّه الرّحمن الرّحیم الحمد للّه رب العالمین و الصلاة و السلام علی أفضل و أشرف رسله و أنبیائه سیدنا محمد صلّی اللّه علیه و سلّم، و علی آله و صحبه أجمعین، و من تبعهم بإحسان إلی یوم الدین، و بعد. لقاؤنا یتجدد معکم للمرة الثانیة عشرة فی سلسلتنا (ومضات إعجازیة)، و سنتعرض فی هذا الکتاب إلی روعة و سبق القرآن الکریم فی مجال غایة فی الأهمیة، و هو علوم بناء الأفراد و الأسر و المجتمعات بناء هادفا متأنیا مازجا بین الروح و المادة. لم یعرف العالم نظاما اقتصادیا و اجتماعیا عادلا یضمن للجمیع حقوقهم دون غصبٍ أو تمییز بین عرق أو دین أو انتساب مثل النظام الاقتصادی و الاجتماعی الإسلامی، هذا النظام العظیم الذی وصل حدا یضرب به المثل فی التأریخ البشری فی العدالة و المثالیة، کما هو الحال فی عهد سیدنا عمر بن عبد العزیز رضی اللّه عنه الذی لم یبق فردا واحدا من أفراد الأمة الإسلامیة المترامیة الأطراف یدخل ضمن إطار الفقراء، فالکل دون استثناء مکتف و مرتاح، هذا فی الصدر الأول من عصر الرسالة الإسلامیة، و هذا ما یؤکد عظمة التشریع الإسلامی للاقتصاد و أحوال المال من الزکاة و الصدقات و التدابیر الاقتصادیة الإسلامیة العظیمة الأخری التی تحتاج إلی مجلدات کثیرة و هذا یترک لأهل الاختصاص ... أما فی عصرنا هذا فإن النظام الاقتصادی و الاجتماعی الإسلامی الذی طبق فی السوید باقتراح من أولف بالمه نهایة العقد الثمانینی و بدایة العقد التسعینی من القرن العشرین قد أنقذها من هاویة اقتصادیة و اجتماعیة مرعبة. لقد سبق التشریع الإسلامی کل الشعارات و الثورات و المؤسسات الداعیة لذلک کالثورة الفرنسیة و منظمة الأمم المتحدة و منظمة حقوق الإنسان و الدعوات المتعلقة بمحاربة التمییز العنصری بدءا من حقوق الإنسان، و عدالة توزیع الثروات، و حریة العقیدة و الفکر السامی غیر المبتذل، و تطبیق مبدأ القانون فوق السلطة، و احترام العهود و المواثیق مع الصدیق و العدو، و سماع و احترام الرأی الآخر .. لکن الفرق الرئیس بینهما رغم تقدم الأول أی الإسلام علی الثانی أی الدعوات الحدیثة هو أن الأول دعی و طبق فملأ الدنیا عدلا الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۴ و رحمة لأن الإسلام جاء لتحقیق هذا الغرض، أما الثانی فدخلت فیه المصالح الضیقة للنفس البشریة و مطامعها فلم یطبق و لم یعدل و إنما کانت شعارات فقط أو تطبیق رمزی بأحسن الأحوال. و القصص فی عدل الإسلام الذی لم یشهد تاریخ البشریة مثله أکثر من أن تذکر، فهذا سیدنا الصدیق رضی اللّه عنه، الرجل عند المواقف، الذی یهابه الجبال من الرجال، و أی رجال، إنهم الصحابة رضوان اللّه تعالی عنهم، یذهب یومیا، فیما یروی سیدنا عمر رضی اللّه عنه، بعد صلاة الفجر و إکمال الورد بالذکر حتی طلوع الفجر إلی مکان جعل الصحابة یسألون عنه، حتی یقول سیدنا عمر: هممت یوما أن أتبعه بعد شروق الشمس و خروجه من المسجد لأعرف الخبر و أستقصی الأمر، فاتبعته و وجدته دخل بیتا فی طرف المدینة، فإذا هو بیت امرأة عجوز لا عائل لها، فدخلت علیها و سألتها عن أحوالها فقالت: لو لا هذا الشیخ الذی یأتینا یومیا لإنجاز عمل البیت من إعداد الطعام و التنظیف لکان حالنا بأتعس حال، فقال لها الفاروق أ تعرفین من هو قالت لا. و کان سیدنا عمر رضی اللّه عنه کلما یذکر القصة بعد تولیه أمر المسلمین یجلس و یضع یده علی وجهه قائلا: أتعبت الخلفاء من بعدک یا أبا بکر .. و ها هو الفاروق عمر رضی اللّه عنه فی تطبیق العدالة و الاقتصاص من الظالم و إن کان مسئولا مع القبطی الذی ظلمه ابن عمرو بن العاص- ابن الأکرمین- بضربه بالسوط علی رأسه عقب سباق بینهما، و قوله المأثور و المشهور لأبیه عمرو بن العاص والی مصر (متی استعبدتم الناس و قد خلقتهم أمهاتهم أحرارا) إلا دلیلا بسیطا عن العدل الذی ساد الأرض و أممها إبان الحکم الإسلامی

بعد الجور و الظلم الذى عانته من قبل الحكم الفارسى و الرومانى و الحبشى قبل ذلك. و عدل سيدنا عثمان رضى اللّه عنه مع رعيته و قبوله للنقد خلال الفتنة يسجل بأحرف من نور ... و من بعده سيدنا على عليه الرضوان و السلام مع اليهودى فى قصة الدرع، و مع غيره من الرعية تبين عظمة هذه الأمة. و ما كل ذلك إلا إخراج للناس من الظلم الذى وقع بهم جراء تسلط الأشراف و الرؤساء و الأكابر عليهم و عدم الاقتصاص منهم إذا أخطئوا، و هو ما شخّصه الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه و سلّم بقوله فى الحديث الذى أخرجه الإمام مسلم (الحدود ۳۱۹۶) عن عروة عن الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۵ عائشة أنّ قريشا أهمّهم شأن المرأة المخزوميّة الّتى سرقت فقالوا من يكلّم فيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقالوا و من يجترئ عليه إلّا أسامة حبّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فكلّمه أسامة فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: (أتشفع فى حدّ من حدود اللّه)، ثمّ قام فاختطب فقال: (أيّها النّاس إنّما أهلك الّذين قبلكم أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشّريف تركوه و إذا سرق فيهم الضّعيف أقاموا عليه الحدّ و ايم اللّه لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعت يدها). و ما ذلك إلا تحقيق لأوامر اللّه و رسوله فى القضاء و العدل الاجتماعى و الاقتصادى الذى سنحاول جاهدين فى هذا الكتاب من سلسلتنا أن نطرق بعض أبوابه الواسعة. تكثر هذه الأيام عقد الندوات و المؤتمرات فى كل دول العالم لأجل نيل المرأة كافة حقوقها و تمام استقلالها من نير احتلال الرجل تارة، و لأجل تشريع زواج الجنس الواحد تارة أخرى، و لأجل إعطاء أهل البغاء حقوقهم الكاملة و تشريع مهنتهم السامية تارة ثالثة، و هلم جرّى .. و عجبا و حسرة على العباد، فلا يتركون حالة تشيع معها الفوضى الفكرية و التخبط الاجتماعى و الانحطاط الخلقى إلا و طرقوها بدعوى الحرية و المساواة و الديمقراطية، بينما يذبح البشر جوعا و قتلا و حصارا فترمل النساء و يسبى أو ييتّم الأطفال تحت شعارات شتى، و ترمى آلاف الأطنان من القمح و الزبد و اللحم فى البحر لئلا يؤثر ذلك على اقتصاد الأغنياء بينما يتضور الفقراء جوعا، و لا- من مجيب أو سامع أنّات الملايين من البشر ... و بأحسن الأحوال تجتمع الوفود، فى فنادق السعود، لتنفق النقود، و تكتب العهود، و يبقى الحال على ما هو عليه .. أية عدالة لنظام عالمى جديد أعمى تلك التى يعدنا بها من يسمون أنفسهم أهل التحضر و العدالة و الديمقراطية؟!. الحق أيها الأخوة أن الذى يريد أن يصلح و يصدق النية فى ذلك من الساسة و الحكام يستطيع الإصلاح، لأن توافر النوايا و الإمكانات و التعاضد بين أمم البشر موجود، لكن المشكلة أنه حتى الذين يريدون الإصلاح تاهوا فى زحمة أهل المصالح الضيقة و النوايا الخبيثة الذين يخلطون الخبيث بالطيب، فيتكلمون بكلمة الحق و يريدون بها الباطل .. و الحق أن البشر يجرب ليفشل فيكرر التجربة بعناد أشد و كبر أعلى نحو أوامر خالقه، الذى يعلم خيره فيأمره باتباعه و يعلم شره فيجنبه الخوض فيه. و ما يحصل اليوم من تخبط للبشرية و انتشار الفقر و الأمراض التى لم يعهدها بنو الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۶ البشر من قبل كالأيدز و السارس و جنون البقر و أنفلونزا الطيور، و كذلك التلوث البيئى و فتحة الأوزون و ظاهرة الاحتباس الحرارى و ما تبعها من زيادة حرارة الأرض، و تدمير الكوكب بتغيير مستمر فى بنيته البيئية بحجة التطور و الحاجة للتصنيع، و انتشار الفوضى العارمة جراء العولمة فى كل العالم، و كثرة القتل بالحروب الفتاكة و الحصارات المهلكة، و انتشار الكوارث الطبيعية جراء كل ذلك من زلازل و براكين و فيضانات و تصحر و جفاف و حرائق و أعاصير و خسف الأرض و غير ذلك، إلا صور بسيطة لنتائج التدخل العشوائى و غير المنتظم للبشر و تلاعبهم بمصيرهم ليقودوه إلى هاوية سحيقة من حيث لا يشعرون، و ما خفى كان أعظم!. أما الإسلام الذى تنبأ بحصول كل هذه الفوضى فى العالم فى آخر الزمان «۱» فإنه جاد فى إحلال الخير لكل البشرية، فلا- يبحث عن تجربة و خطأ، إنما هو إرشاد الخالق لخير المخلوق، فأعطى الإسلام لكل ذى حق حقه، و حرّم الظلم بكل أنواعه و على كل المخلوقات حتى الحيوان و الجماد .. و ها هو العلم يثبت يوميا صحة و دقة الأوامر الإسلامية فى التشريعات سواء أ كانت للأحوال الشخصية، أو للجنح و الجرائم، أو للعلاقات الخاصة و العامة بين الكتل البشرية من الأسرة إلى الجيرة إلى المحلة فالمدينة فالدولة، و انتهاء بعلاقات الأمم ببعضها سلما و حربا. و لكن البشر رغم كل الأدلة يعاندون و يكابرون لا لشىء إلا لأنهم إذا ما أقروا بأحقية التشريع الإسلامى فإن بضاعتهم ستبور، و تفسد دعاواهم الباطلة و تخسر تجارتهم الفكرية العقيمة، فتكون الضربة القاضية لأتباع إبليس من الإنس و الجن، و هذا بالطبع لن يتحقق لأن للجنة أهلها و للنار أهلها، و ستستمر المعركة بين جند اللّه و جند

إبليس حتى يقضى اللّه أمرا كان مفعولا مصداقا لقوله تعالى: وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ بِكُلِّ آيَةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَ ما أَنْتَ بِتابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَ ما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَ لَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْواءَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ (۱۴۵)، (البقرة: ۱۴۵) ... وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً

(۱) راجع حديث (خمس بخمس) فى كتاب الطب (الكتاب التاسع من هذه السلسلة)، و كذلك الأحاديث فى الكتاب القادم من هذه السلسلة عن مواصفات ما سيحصل فى آخر الزمان. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۷ وَ عُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (۱۴)، (النمل: ۱۴) .. أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ (۷۰) وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْناهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (۷۱)، (المؤمنون). المشكلة أن الأهواء و الشهوات بكافة أشكالها هى التى تحكم البشر و لو أنهم قدروا اللّه حق قدره و عرفهم مع من يتعاملون، لما تجرّأ أحد على الاعتراض على أوامر اللّه و تشريعاته، و لكن اللّه تعالى رءوف بالناس على ظلمهم رغم كونه سبحانه غنى عنهم و هم من يحتاج إليه فى كل الأحوال: وَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيماً (۲۷)، (النساء: ۲۷) .. فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْواءَهُمْ وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۵۰)، (القصص: ۵۰) .. أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَ فَلا تَذَكَّرُونَ (۲۳)، (الجاثية: ۲۳). على أن التشريع الحنيف أعطى فسحا عظيمة فى جنباته لاستيعاب المتغيرات التى تطرأ على المجتمع، لكن الأصل هو الحفاظ على إنسانية البشر و كرامتهم و حرية أفكارهم و حرمة دماءهم و أعراضهم و أموالهم، فلا تجارة بجمال المرأة و جسدها، و لا أموال تزاد بربا يسحق الأغلبية المحرومة، و لا اعتداء على أهل ذمة أو عقيدة مخالفة، و لا قبول بأى جنس عمل يحول البشر الذين خلق الكون من أجلهم إلى مجرد آلات تستغل لرفع نفر قليل و سحق أمم بأكملها. هذا الكتاب يبين لكل من يريد أن يستبين أن أى تشريع جاء به الإسلام كان لسبب مصلحى فى الصحة و الاقتصاد و الاجتماع، و لكل البشر دون استثناء و دون تمايز بين الرجل و المرأة، الأسود و الأبيض، العربى و الأعجمى، إلا بالاستحقاق الذى تقتضيه المصلحة العامة و بما شرّعه اللّه تعالى الخالق الكامل العالم بكل خفايا مخلوقاته لمصلحة المخلوق الناقص مهما علا علمه، و اللّه غالب على أمره و لكن أكثر الناس لا يعلمون ... الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۸ و سنفرد فى نهاية الكتاب ملحق بتاريخ التشريع الإسلامى. إن هذه الدنيا التى نعيش فيها لهى بحق اسم على مسمى، فهى حياة دنيا لا قرار فيها و لا ثبات لأى شىء و ديدنها التغيير و التبديل من حال إلى حال .. بل هى طريق إلى حياة أخرى أهم و أبقى- هى حياة البقاء و الاستقرار أو الدار الآخرة- فما نزرعه فى حياتنا الدنيا نحصده هناك فى ذلك العالم الذى ينتظرنا فى عالم غيب اللّه تعالى، عند ملك الملوك، المليك المقتدر، هناك حيث لا أحد يظلم فتيلا فإما رضا و ثواب، و إما سخط و عقاب .. إما إلى نار و إما إلى جنة. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۹

الفصل الأول نظرة عامة

مقاصد الشريعة:

اشارة

مقاصد الشريعة: لفظ الشريعة فى أصل الاستعمال اللغوى الماء الذى يرده الشاربون، و هى فى نفس الوقت طريق و منهاج و منبع يرتوى منه، ثم نقل هذا اللفظ إلى معنى الطريقة المستقيمة التى يفيد منها المتمسكون بها هداية و توفيقا «۱». أما الشريعة فقها فهى ما يختص بالأوامر و النواهى و الإرشادات التى وجهها اللّه تعالى إلى عباده ليكونوا مؤمنين صالحين عاملين، سواء أ كانت متعلقة بالأفعال أم بالعقائد أم بالأخلاق، و ذلك لأنها محكمة مستقيمة و لأنها الطريق إلى حياة النفوس و ارتواء العقول. و نفوس البشر مجبولة على

الأثرة و عدم الانضباط و حب الذات، فالناس بحاجة إلى تشريع ينظم علاقاتهم و يحد من أنانيتهم و يمنعهم من العشوائية و عدم الانضباط فى السلوك و التصرفات، و إلا كان الأمر فوضى بينهم، و الفرد فى المجتمع يرغب فى إيجاد نظام يحدد له الحدود و الواجبات فى المجتمع الذى يعيش فيه. و حيث إن البشر لا يستقرون على ضابط واحد يضبطهم لفترة زمنية معينة، فهم دائمو التغيير فى الفكر و المنطق و المعتقد بحسب مراحل الحياة التى يعيشون و نوع البيئة المحيطة و عوامل أخرى عديدة، من أجل ذلك كانت الشرائع السماوية رحمة بالعباد و فصلا بينهم فيما يختلفون أنزلها خالقهم كى يبين لهم أفضل السبل لفضّ هذه الاختلافات و النزاعات فضلا عن تنظيمها لعلاقات الناس بربهم و خالقهم كى يتوجهوا له بالحمد و الشكر و العرفان بجميل النعم، فالتشريع الإلهى عدل من اللّه تعالى و رحمة لعباده «۲». تهدف الشرائع السماوية عامة و شريعة الإسلام بوجه خاص إلى تحقيق مصالح

(_____ ۱) الشريعة الإسلامية و مكانة المصلحة فيها، القاضى فاضل دولان، ص ۳۶، و انظر (بين الفقه و القانون)، للأستاذ عبد الهادى أبو طالب، ص ۷. (۲) الشريعة الإسلامية و مكانة المصلحة فيها، القاضى فاضل دولان، ص ۳۶- ۳۷ بتصرف. و انظر مدخل الفقه الإسلامى، للدكتور محمد سلام مدكور، ص ۱۱ و ما بعدها. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۰ العباد و حفظها و منع الضرر عنهم، إلا أن هذه المصالح ليست هى ما يراه الإنسان مصلحة له و نفعا حسب هواه و رغبته، إنما المصلحة ما كانت مصلحة فى ميزان الشرع الذى شرعه خالق الإنسان و الكون معا فهو سبحانه مسبب أسبابه و أصل وجوده، و هو سبحانه القيوم- أى القائم- على ديمومة هذا الكون و هذا الإنسان حتى ينتهى العالم بإذنه، و هو سبحانه الوحيد الذى أحاط بكل شىء علما، و من دواعى و متطلبات هذه القيومية و هذه الإحاطة أن يحدد الأطر و القوانين و النواميس التى يمشى بها هذا الكون بشكل صحيح سواء أ كان فى المادة أو الروح، فيعرف تبعا لذلك أن الأمر الفلانى مناسب للإنسان باستخدام الأسلوب الفلانى و هكذا .. و يقسم العلماء مقاصد الشريعة هذه إلى ثلاثة أقسام و هى حسب الأهمية و الأولوية:

۱. الضروريات:

۱. الضروريات: و معناها أنها لا بدّ منها فى قيام مصالح الدين و الدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدين و الدنيا على استقامة، بل فساد و تهارج و فوت حياة، و فى الآخرة فوت النجاة و النعيم و الرجوع بالخسران المبين. و هذه الضروريات هى خمس، حفظ الدين و النفس و العقل و النسل و المال. و الحفظ يكون بأمرين فأما أحدهما فهو ما يقيم أركانها و يثبت قواعدها و هو عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود، و أما الثانى فهو ما يدرأ عنها الاختلال و يحافظ عليها من كل ما يمكن أن يؤثر عليها أو يقوضها.

۲. الحاجيات:

۲. الحاجيات: و معناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة و رفع الضيق المؤدى فى الغالب إلى الحرج و المشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المكلفين الحرج و المشقة، و لكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادى المتوقع فى المصالح العامة و هى جارية فى العبادات و العادات و المعاملات.

۳. التحسينيات:

۳. التحسينيات: و هى الأخذ بما يليق من محاسن العادات و تجنب الأحوال المدنسات التى تأنفها العقول الراجحات، فهى التى تجعل أحوال الناس تجرى على مقتضى الآداب العالية و الخلق القويم. فإذا فاتت لا يختل نظام الحياة و لا يلحق الناس المشقة و الحرج، و لكن تصير حياتهم على خلاف ما تقتضيه المروءة و مكارم الأخلاق و الفطرة السليمة. و لكل من هذه الأقسام الثلاثة مكملات و هذه

بالتأكيد ليست على مرتبة واحدة، الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۱ و قد نتجت عن هذه المصالح الثلاثة و مكملاتها عدة قواعد فقهية استنبطها الفقهاء «۱». إذن أول مقاصد الشريعة و أهمها هو الضروريات بأقسامها الخمسة، و أهم هذه الأقسام هو حفظ الدين و من ثم النفس و العقل للكائن البشرى الذى هو أهم مخلوق فى هذا الكون بل خلق الكون لأجله، فجعل اللّه تعالى كل ما فى الكون من أمور عظيمة لا يجحدها إلا مكابر مسخر بأمره لأجل خدمة هذا المخلوق. و من ثم أنزل الكتب و أرسل الرسل ليبينوا للناس على مر الأجيال حقيقة و سبب وجودهم، و حذروهم من مغبة انقيادهم وراء ما خلق لأجلهم و ترك ما هو أهم ألا و هو ما خلقوا من أجله «۲». تتميز تنظيمات اللّه تعالى بسلامتها من أى غرض و ميل إلى الهوى و تفضيل لبشر على بشر فى لون أو نسب أو جنس، فالخلق عند اللّه تعالى سواء، بالإضافة إلى نفوذ علمه و إحاطته بجميع خلقه. و الناس لو سلمت تنظيماتهم الوضعية من الهوى و الغرض فهى لم تسلم من النقص و العوج و الزيغ، بدليل تناقض أحكامهم، بل إن الشخص الواحد يناقض نفسه فينقض اليوم ما أبرمه بالأمس. و يؤكد أهل الشريعة الإسلامية أن هذه الشريعة تعتبر أساسا و مصدرا لكل تشريع لأنها شمولية أى شاملة للجنس البشرى لأى جيل فى كل زمان و المكان بحيث لا يمكن أن تقوم مقامها شرعة أخرى لشمولها الأصول و الفروع و الظاهر و الباطن، فهى الحق و هى العدل و هى المصلحة و حيثما كان الحق و العدل و المصلحة فثم شرع اللّه تعالى، وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ وَ مُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ لكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (۴۸)، (المائدة: ۴۸) .. ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (۱۸)، (الجاثية: ۱۸). و الأحكام التى تناولها الشرع الإسلامى ثلاثة: الأحكام الاعتقادية، و الأحكام

(۱) الإسلام و التنمية البشرية، الدكتور أسامة عبد المجيد العانى، ص ۹- ۱۴ بتصرف. (۲) انظر كتابنا (القرآن منهل العلوم)، إصدار الجامعة الإسلامية، بغداد، ۱۴۲۳ ه/ ۲۰۰۲ م. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۲ الخلقية، و الأحكام العملية. و هذه الأنواع الثلاثة تشمل جميع أنواع تنظيم العلاقات من عبادات و حقوق و واجبات و أخلاق و تعاملات و أقوال و أفعال و تصرفات بين الإنسان و ربه، نفسه، أهله، جنسه، بيئته فى الأرض و الكون، و كل ما يحفظ حقوق الجميع بما يحفظ لكل ذى حق حقه، و ما ينجى الكائن البشرى فى دنياه و آخرته. فحدد الإسلام العبادات التى يتقرب بها الإنسان من ربه عز و جلّ من صلاة و صيام و زكاة و حج، و تناول أحكام المعاملات بين الناس، فنظم العقود و حدد أحكامها كعقد الإيجار و الرهن و ما إلى ذلك، و تناول أحكام و مسائل الأحوال الشخصية و شئون الزواج و تنظيم شئون الأسرة و العلاقات الأسرية و حقوق كل فرد فيها، و أوضح السبل و الإجراءات القضائية فى المحاكم و طرق الإثبات، و بين مركز الحاكم بين المتقاضين، و حدد أحكام النظام الإدارى و الدستورى فى الدولة، و بين السبل لاختيار رئيس الدولة و حقوقه تجاه الرعية و واجباته نحوها، كما نظم القانون الدولى و علاقات الدول ببعضها فى الحرب و السلم. و كل ذلك نظم تنظيما دقيقا بقواعد قانونية رصينة لا يأتيها الباطل من بين يديها و لا من خلفها لأنها من لدن حكيم عليم بشئون البشر و سائر الكون، صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَ نَحْنُ لَهُ عابِدُونَ (۱۳۸)، (البقرة: ۱۳۸) «۱». و حيث أن الأحكام الشرعية الإسلامية التى نسخت ما قبلها تعهد اللّه بحفظها من أى تحريف أو تلاعب بشرى قد يصيبها، فإنها خالدة باقية دائمة حتى يرث اللّه الأرض و من عليها. إذا ما تدبرنا آيات اللّه الخالدات من و جهة نظر تشريعية قانونية و اجتماعية و اقتصادية، فما ذا نرى؟: - المسلم الغنى مستخلف فى مال اللّه و ملكه، و الثروة أمانة فى عنق حاملها يسأل عنها يوم القيامة، من أين جمعها و فيم أنفقها. - الكسب الحلال يؤدى إلى أسرة كريمة طيبة، و الكسب الحرام يترك أثره فى الجوارح و السلوك ليكون أسرة فاسدة مفسدة كالطفيليات و المكروبات المدمرة. - توزيع عادل للثروات بحيث لا يبقى فقير أو محتاج، و هذا ما حققه الخليفة (

(۱) الشريعة الإسلامية و مكانة المصلحة فيها، القاضى فاضل دولان، ص ۳۷- ۴۱، بتصرف. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۳ الراشدى

الخامس عمر بن عبد العزیز رضی اللّه عنه. - ردع لکل متطاول بشکل لا یتجرأ بعده الآخرون علی التقلید و هذا ما أثبته التطبیق العملی فی المجتمع الإسلامی- کقطع ید السارق مثلا-. - نظام عظیم للزواج و تکوین الأسرة و تربیة الأولاد. - القانون فوق السلطة، و لا یستثنی الحاکم و المحکوم من عدالة القضاء، فالإسلام هو أول من وضع هذا الشعار و طبقه. - تکریم لا یدانیه تکریم للمرأة بدءا من ولادتها و تحریم الوأد الذی کان شائعا بین العرب قبل البعثة الشریفة، مرورا بحث الوالدین علی تربیة البنات علی أصول الخلق الرفیع و العلم النافع، ثم أهمیة المرأة فی البیت و القضاء و العلم و الحرب و السلم و غیر ذلک مما تزخر به کتب الفقه الإسلامی فی أهمیة دور المرأة فی أن تکون بانیة للأسرة و المجتمع لا- أن تکون مدمرة له وفق المفهوم الغربی الذی یجعل من المرأة عبارة عن جسد یباع و یشتری بأبخس الأثمان، و ما یتبع ذلک من اتباع الشهوات للجنسین، و ترک الطریق الأمثل فی الزواج و تکوین الأسر إلی الطریقة الغرائزیة الحیوانیة فی تصریف الشهوة. إن نظرة ثاقبة إلی سورة النساء فقط و تدبر مدی الروعة العظیمة فی تقسیم المیراث فی الإسلام و حقیقة إعطاء النصف و الربع و الثلث و السدس لحالات مختلفة یریک مدی الترابط بین القانون و علم الاجتماع و الاقتصاد و الریاضیات. فإذا تأملت لما ذا هذه الکسور و حقیقة تقسیمها بهذه الدقة و ربطها مع الحالات الاجتماعیة المختلفة لکل تقسیم، لعلمت الدقة فی مراعات اللّه تعالی لحقوق الأسرة برمتها و منها المرأة بأصنافها الثلاث الزوجة و البنت و الأم، من جهة و دقة التقسیم الریاضی من جهة ثانیة. قام المهندس الأستاذ مولود مخلص الراوی بتقدیم بحث رائع فی هذا الموضوع إلی المؤتمر الأول للإعجاز القرآنی الأول المنعقد بمدینة السلام بغداد للفترة ۲۱- ۲۶ رمضان ۱۴۱۰ ه الموافق ۱۶- ۲۱ نیسان ۱۹۹۰ م، و أسماه (الإعجاز فی علم المواریث) و الذی یتضمن إعداد برنامج حاسوبی للقسّام الشرعی یمکنه حل جمیع مسائل المیراث مفردة کانت أم متناسخة (متعددة الوفیات) بأعداد صحیحة أو ما یعرف بالتصحیح و بنفس الأسلوب الشائع فی تنظیم القسّامات الشرعیة. و قد جری اختبار البرنامج عملیا من قبل الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۴ لجنة شرعیة متخصصة ثم تم اعتماده من قبل وزارة العدل العراقیة للاستخدام عملیا فی المحاکم العراقیة «۱». یقول أحد الحقوقیین الغربیین و هو یعلق علی ما جاء فی سورة النساء: (لا یمکن أن یکون هذا القرآن من عند محمد لأننا الآن و فی عصر التطور الهائل لا نستطیع أن نعطی تشریعا بهذه الروعة و التفصیل و الدقة و العدالة لکل أفراد الأسرة دون استثناء). و قد اعترف الراسخون فی العلوم القانونیة من رجالات الغرب بأن التشریع الإسلامی یعد فی طلیعة المصادر الصالحة لسد حاجات التشریع الحدیث. و نطق بذلک قرار مؤتمر القانون المقارن المنعقد فی مدینة لاهای، فی شهر آب من سنة ۱۹۳۷ م، الموافق لجمادی الآخرة من سنة ۱۳۵۶ ه، و قد دعی إلیه الأزهر، فمثله مندوبان من کبار علماءه فحاضرا فیه عن المسئولیة الجنائیة و المسئولیة المدینة فی الإسلام، و عن نفی أیة علاقة مزعومة بین القانون الرومانی الوضعی و الشریعة الإسلامیة الغراء. و قد خرج المؤتمر علی أثر ذلک بقرار تأریخی خطیر بالنسبة إلی رجال التشریع الأوربی، جاء فیه: ۱. اعتبار الشریعة الإسلامیة مصدرا مهما من مصادر التشریع العام. ۲. اعتبارها حیة قابلة للتطور. ۳. اعتبارها تشریعا قائما بذاته، لیس مأخوذا من غیره «۲». کان النظام القضائی الإسلامی أول من جاء بفکرة القضاء و القانون فوق الحکم و السلطان، و طبقها فعلا- فی کثیر من الحالات منها القصة المعروفة للإمام علی کرم اللّه وجهه مع الیهودی الذی اشتکی إلی القاضی بأن أمیر المؤمنین- حاشاه- قد سرق درعه، فحضر الطرفان أمام القاضی و انتهت القضیة بإعلان الیهودی إسلامه لما رأی من عدل الإسلام .. و هکذا أخذ الغربیون منا هذا التراث العظیم و صدروا لنا دکتاتوریاتهم التی کانت فی عصور ظلامهم، ثم ادعوا أنهم متحضرون لأنهم دیمقراطیون، فتنبهوا

(_____ ۱) الإعجاز فی علم المواریث، المهندس مولود مخلص الراوی، الاعجاز القرآنی، المؤتمر الأول للإعجاز القرآنی الأول المنعقد بمدینة السلام بغداد للفترة ۲۱- ۲۶ رمضان ۱۴۱۰ ه الموافق ۱۶- ۲۱ نیسان ۱۹۹۰ م، ص ۶۵۹- ۶۷۶. (۲) الشریعة الإسلامیة و مکانة المصلحة فیها، القاضی فاضل دولان، مطبعة أنوار دجلة، بغداد، ۱۴۲۳ ه، ۲۰۰۲ م، ص ۲۴. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۵ معشر المسلمین لهذه المغالطة. و ها هو الأمیر تشارلز یدلی باعتراف خطیر خلال مؤتمر عقد بلندن عام ۱۹۹۶ م من أن ۶۰٪ من القضاء البریطانی یعتمد فی روحه و بعض نصوصه

على التشريع الإسلامى «۱». و لأهميـة الموضوع لعامـة الناس كى يفهموا عظمة هذا الدين و سـعة آفاقه و تعدد آراءه و شـمول آلاءه، فقـد أفردنـا ملحقـا فى نهايـة الكتـاب لتبيـان تاريـخ التشـريع الإسـلامى و المراحـل الـتى مرّ بهـا بشـكل مختصـر قـدر الإمكـان.

(_____ ۱) انظر كتـاب (المنظـار الهندسـى للقرآن الكريم)، للمؤلف. و بإمكـان القـارئ الكريم الرجوع لنص الكلمـة من مصادرهـا او من شـبكة المعلومـات الدوليـة (الإنترنت).

الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۶

الفصل الثانى الاقتصاد فى الإسلام

الفصل الثانى الاقتصاد فى الإسـلام إن ما يشـهده العالم من ظلم اقتصادى لفئات كبيرة من المجتمع البشـرى يؤكـد ضـرورة ملحة ألا و هى كيفيـة تكوين نظـام اقتصـادى يجعـل العدالـة هى السـمة الأبرز لتكوينه، و يطرد كل الأفكار التى من شأنها أن تكون دولا غنيـة و أخرى فقيرة أو على الأقـل أن يكـون الفرق بسـيطا مقبولا- و ليس ساحقـا للغالبيـة الفقيرة. إن أهـم مبـدأ جـاء بـه التشـريع الاقتصـادى الإسـلامى هو إزالة تلك الهوة بين الفريقين الأغنياء و الفقراء و محاولة تقليصـها قدر الإمكان. يقول اللّه تعالى: ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْـلِ الْقُرى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِـذِى الْقُرْبى وَ الْيَتـامى وَ الْمَسـاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيـلِ كَىْ لا- يَكُونَ دُولَـةً بَيْنَ الْأَغْنِيـاءِ مِنْكُمْ وَ مـا آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُـذُوهُ وَ مـا نَهـاكُمْ عَنْهُ فَـانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيـدُ الْعِقـابِ (۷)، (الحشر: ۷). أى لكى لا- تكون الغنـائم محصورة بين مجموعـة الأغنياء فقـد شـرع التوزيع للجميع دون اسـتثناء، فالمبـدأ إذن منع الاحتكار المالى و السـلعى كى لا يحصل الخلل و المن ثم المظـالم و المآسـى التى تؤدى إلى الاقتتال من أجل المال. و إنك لتجـد فى التشـريع الحنيف ما أغنانا عن ذكره الكثير من الباحثين و المتخصصـين فى هذا الشأن المهم، و ما ذكر فى الكتب و المؤلفات و المجلدات ما يجعلنا نبتعد عن التفصـيل و نقترب من الاختصار. دائمـا مـا يحث الإسـلام و كتـابه رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم الناس على التكامل و التكافل الاقتصادى، و ينهاهم عن الاحتكار و الغش و السـحت و السـرقة و أكـل مـال اليتيم و اليمين الفـاجر و الربـح الفـاحش و غير ذلـك من القيم الرائعـة فى التعامـل التجارى و الاقتصادى بين الأفراد و الدول، كما شـرعت الزكاة و جعلت من دعائم النظام الإسـلامى لما لها من أثر إيجابى على المجتمع، و كذا و الصـدقات و المكوس و نظم بيت المـال للحفـاظ على التوازن بين الغنى و الفقير فى الأمـة. و قـد فرض على الأغنياء ما يغنى الفقراء و هـدد الممانعون بأشـد العقاب فى الـدنيا و الآخرة لأن الفقر كاد أن يكون كفرا، كما جعل الدّين ثقيلا على النفس لأنه يمنع الحى من الراحـة و الميت من نيل الأجر حتى يسـدد عنه دينه. و قد طبق كل ذلك فى عهود كثيرة و أثبت نجاحه و تميزه. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۷ الناحية الاقتصادية فى نظام الحكم الإسلامى تستند على مسألتين، الأولى هى كيفية أخذ الدولة للمال من الأمة، و الثانية كيفية إنفاقه. أما الأولى، فكانت الدولة الإسلامية تأخذ الزكاة على الأموال و الأراضى و عروض التجارة و المواشى و الزروع و الثمار، باعتبار أن الزكاة عبادة، لتقوم بتوزيعها على مستحقيها من الأصـناف الثمانية المقررة شـرعا، كما تأخذ الخراج و الجزية و ضـرائب الجمارك بحكم إشـرافها على التجـارة فى الصـعيدين الـداخلى و الخـارجى، و كـانت تقوم على إدارة ما هو داخل فى الملكيـة العامـة أو ملكية الدولة كالمعادن و القنوات و غيرها من موارد بيت المال. أما من حيث إنفاق هذه الأموال فإنها توزعها حسب الأحكام الشـرعية، و قد طبقت أحكـام النفقـة على العـاجز و حجزت على السـفيه و المبـذر، و أوجـدت أماكن الفقراء و المعسـرين، و نفـذت أحكام العمل و العمـال، و منعت الاحتكار و الغش و الاسـتغلال و الرشاوى و كل وسائل الكسب غير المشـروع. و من الحق أن نقول إن بعض الحكام كـانوا يسـيئون تطبيق أحكام الشـرع فى هـذه الناحيـة، و كان البعض الآخر يحسن غايـة الإحسان فى رعايـة هـذه الناحيـة، تبعا لنفسـية الحاكم و مدى التزامه بالأحكام الشـرعية، و موقف الأمة منه و خصوصا العلماء، فإذا حصل لبعض الحكام أن يقصـر و يسىء فلا يعنى هذا عدم التطبيق «۱». لا أريـد هنا أن أدخل فى تفاصـيل هذا العلم الواسع و عظمة التشـريع الإسـلامى فى الزكاة و الصدقات و التدابير الاقتصادية الإسـلامية العظيمة الأخرى و التى تحتاج إلى مجلدات كثيرة لتفصـيلها و هذا يترك لأهل الاختصاص «۲». إلا أننى سأركز

على أمر غايـة فى الخطورة بل هو أخطبوط مرعب التهم العالم كله بسبب نظام اقتصادى غير عادل حذر الإسـلام منه أيما تحذير ألا و هو (الربا). الربا لغويا هو مطلق الزيادة و النمو، و هو حسب ما فصله الإمام الرازى رحمه اللّه فى مختار الصحاح: (ربا) الشىء زاد و بابه عـدا. و الرابيـة مـا ارتفـع مـن الأرض و كـذا

(_____ ۱) الإسـلام بيـن العلمـاء و الحكـام، الشـيخ الشهيد عبد العزيز البدرى، ألفه عام ۱۳۸۵ ه- ۱۹۶۵ م. مطبعة أنوار دجلة، بغداد، ۱۴۲۴ ه- ۲۰۰۳ م، ص ۱۳- ۱۴. (۲) بإمكان القارئ الكريم الرجوع إلى مصادر مهمة فى النظام الاقتصادى الإسـلامى، و أفضل كتاب (المعاملات المالية المعاصرة فى ميزان الفقه الإسلامى)، للمؤلف الدكتور على أحمد السالوس لأهميته و أسلوبه المميز. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۸ (الربوة) بضم الراء و فتحها و كسرها و الربـاوة أيضا بفتح الراء. و الربو النفس العالى يقال ربا من باب عـدا إذ أخـذه الربو. قال الفراء فى قوله تعالى: فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رابِيَةً (۱۰)، (الحاقة: ۱۰)، أى زائـدة كقولك أربيت إذا أخـذت أكثر مما أعطيت. و رباه تربية و ترباه أى غذاه و هـذا لكل ما ينمى كالولـد و الزرع و نحوه. و الربا فى البيع و قـد أربى الرجل و الربيـة مخففة لغة فى الربا و هو فى حديث صـلح أهل نجران. قال الفراء: هو ربيـة مخففـة سـماعا من العرب و القياس (ربوة) بالواو «۱». يقول اللّه تعـالى فى محكم كتابه: ۱- الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبـا لا- يَقُومُونَ إِلَّا كَمـا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطـانُ مِنَ الْمَسِّ ذلِـكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جـاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهى فَلَهُ ما سَـلَفَ وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَ مَنْ عادَ فَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِـدُونَ (۲۷۵) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبـا وَ يُرْبِى الصَّدَقاتِ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (۲۷۶)، (البقرة). ۲- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا ما بَقِىَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۲۷۸) فَـإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَ لا تُظْلَمُونَ (۲۷۹)، (البقرة). ۳- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَوا أَضْـعافاً مُضاعَفَةً وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۱۳۰)، (آل عمران: ۱۳۰). ۴- وَ أَخْذِهِمُ الرِّبَوا وَ قَدْ نُهُوا عَنْهُ وَ أَكْلِهِمْ أَمْوالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ وَ أَعْتَدْنا لِلْكافِرِينَ مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً (۱۶۱)، (النساء: ۱۶۱). ۵- وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَا فِى أَمْوالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَ ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْـعِفُونَ (۳۹)، (الروم: ۳۹). فإن الآيات المباركات تبين ما لخطورة هـذا الأمر و عظمـة تأثيره السلبى على_____

(۱) مختار الصحاح، الشيخ الإمام محمـد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى، ص ۲۳۱- ۲۳۲. الإقتصـاد و الإجتماع، ص: ۱۹ الاقتصاد للفرد و المجتمع، كما تبين مدى التهديد العظيم الذى هدد به اللّه تعالى المتعاملين بالربا ألا و هو حرب من اللّه و رسوله، و هذا ما نراه اليوم. و لقد اكتشف علميا أن القلق الذى يحدث نتيجة تراكم الثروات يؤدى إلى إفراز مادة الأدرينالين التى بدورها ترفع ضغط الدم و تـؤدى إلى الحزن و الألـم، و هـذا يؤدى إلى مرض البول السـكرى، و يتعرض الإنسـان إلى الانفعالات العصبيـة فيرى الـدنيا فى عينيه سوداء قاتمـة لا أمل فيها. يؤدى ذلك بالتراكم إلى تخبط الإنسان فيصبح بحال غير طبيعى كأن به مسا من جن أو كأنه مجنون، و هذا ما وصـفه تعالى فى كتابه الكريم فى الآيات التى استعرضـناها آنفا من الآية ۲۷۵ من سورة البقرة و التى تصف حالـة المتعاملين بالربا: الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبـا لا- يَقُومُونَ إِلَّا كَمـا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطـانُ مِنَ الْمَسِّ ذلِـكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبـا .... كما و أنك تجـد نسبة عاليـة من الناس قـد أصابهم من الربا أما مباشـرة أو أصابهم من رشاشه تماما كما تنبأ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فيما سيكون من أمر الناس عنـد آخر الزمان «۱»، فـاختلطت أموالهم الحلال بحرامه بسبب البنوك و التعاملات الربوية من جهة و بسبب تداخل المصالح العالمية اليوم بشبكة عنكبوتية و التى أصبح معها من الصعب بمكان الانفكاك منها شئنا أم أبينا. فما ذا كانت النتيجة أننا أكلنا فى بطوننا بعض هذا الحرام المتأتى من الربا المفروض علينا فرضا، فأصبح الرجال و النساء يرقصون و يتمايلون فى الملاهى و الطرقات كأنهم بهم مس من الشيطان، إلا من رحم ربى، فصدق اللّه و رسوله. ذكرنا تلك المشاكل الصحية المتأتية من الربا رغم أنه يفترض أن ندرجها ضـمن المواضـيع الطبية، و لكن الموضوع يقتضى الإشارة المباشرة. و لا أريد هنا الدخول فى الأسباب التى أوصلتنا إلى هـذه النهايـة لأن الشـرح يطول، و لكننى سأذكر بعض الأمور من كتاب ألفه رجل أمريكى اسمه وليم

غـای کار و ترجمه إلی العربیـهٔ سـعید جزائرلی و طبعته بالنسـخهٔ العربیـهٔ دار النفائس للطباعـهٔ و النشـر. اسم الکتاب (أحجار علی رقعهٔ الشـطرنج) دفع المؤلف حیاته ثمنا له و کان قد استغرق فی تألیفه و جمع وثائقه و حقائقه حوالی أربعین عاما و قد أحدث ضجهٔ کبیرهٔ فی خمسـینات القرن العشـرین و لا یزال مـن المصـادر (۱) راجع الأحـادیث الـتی وردت فی ذلـک فی کتابنـا الأخیر من هـذه السلسـلهٔ (آخر الزمان). الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۲۰ المهمـهٔ التی تقض مضـاجع الیهود و فضائحهم التی تزکم الأنوف. یـذکر المؤلف فی هذا الکتاب حقائق مذهلهٔ توصل إلیها ببحث و اسـتقصاء مضـنیین مفادها أن سـبب ما نعانیه هو المشـکلهٔ الاقتصادیـهٔ التی أکلت العـالم بسـبب مـا فعله المرابون الیهود طیلـهٔ أربع قرون من الزمن سـیطروا فیهـا علی المـال العـالمی و مصادره و أمسکوا بزمام الشریان الاقتصادی العالمی فتحکموا به و بنوا إمبراطوریهٔ اقتصادیهٔ مهولهٔ أساسها الربا بأضعاف مضاعفهٔ و من ثم تحولت سـیطرتهم إلی سـیطرهٔ إعلامیهٔ و اجتماعیهٔ و سیاسـیهٔ و عسـکریهٔ و هذا ما نراه الیوم من سـیطرتهم علی أعقد العقد السیاسیهٔ فیما یسـمی الدول الکبری فی العالم، ألا و هو الکونغرس الأمریکی و بالتالی سـیطرتهم علی تعیین الرئیس الأمریکی نفسه، (و أضیف هنا أن أکثر من ۸۰٪ من الحکومهٔ الأمریکیهٔ منذ عام ۱۹۹۲ م و لحد الیوم هم من الیهود المؤصـلین و هذه أکبر نسبهٔ للیهود فی تاریخ الحکومات الأمریکیهٔ)، بل إن المحافظین الجدد الذین یرسـمون السیاسهٔ الأمریکیهٔ الحالیهٔ هم صهاینهٔ أو متصهینون، فشتان بین جورج واشـنطن الذی سـمی الیهود بالحشرات التی یجب أن تسحق و تطرد، و بین ما وصلت إلیه أمریکا الیوم، و کذلک شتان ما بین الملک إدوارد الأول الذی طرد ما تبقی من الیهود بعد ذبحهم ذبح الشاهٔ و بین ونسـتون تشـرشل الذی یقول أنا صـهیونی ابن صهیونی، و کل من جاء بعده. إن حب الیهود للمال جاء منذ عهد سیدنا موسی علیه السّلام بعد حادثهٔ العجل الذی عبدوه بعد ما نجاهم اللّه تعالی من فرعـون و کمـا أخبرنـا القرآن الکریم، یقـول اللّه تعـالی: ... وَ أُشْـرِبُوا فِی قُلُوبِهِمُ الْعِجْـلَ بِکُفْرِهِمْ ...، (البقرهٔ: من الآیـهٔ ۹۳)، أی جعل الـذهب و الفضـهٔ و المال الإله الذی یحکمهم بعد ما کفروا باللّه تعالی و سـمحوا لأنفسـهم بأن یعبدوا عجلا مصـنوعا من الحلی الذی أخذوه من أهل مصر القدیمهٔ. هذا العقاب الإلهی لهم بأن أصبحوا عبدهٔ للمال جعلهم لا یتورعون عن فعل أی شیء و من ذلک الربا الـذی حرم علیهم فی التوراهٔ بنص الآیهٔ القرآنیهٔ التی ذکرناها (النساء: ۱۶۱). إن الکتاب الذی أشـرنا إلیه یذکر أسماء هؤلاء المرابین و انتساباتهم و مؤسساتهم و أین و صلوا الآن بعد أربعهٔ قرون من العمل الأخطبوطی الدءوب توارثوه جیلا بعد جیل، و هو کتاب غایهٔ فی الأهمیـهٔ و الروعهٔ یعطی لقارئه الفکرهٔ الواضـحهٔ حول خبث هؤلاء الناس و مکرهم و دهائهم الذی جعل من کل دول العالم مقلدا لهم أو طائعـا ذلیلاـ بسبب الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۲۱ الحبـال التی أوثقوهـا حول رقاب الشـعوب و ما فعلوه من أسـلوب اقتصادی خنق العالم و کبله بالدیون و المشاکل الاقتصادیهٔ التی لا تنتهی و ما صندوق النقد الدولی إلا ذراع واحد من أذرع هذا الأخطبوط المرعب. لنتحول الآن إلی کاتب آخر و هو الـدکتور حسین مؤنس، إذ کتب بحثا فی مجلـهٔ أکتوبر المصـریهٔ (العدد ۴۷۵، دیسمبر، ۱۹۸۵، ص ۵۰- ۵۲)، توصل فیه فی النهایـهٔ إلی تعبیر نصه: «إذن فالربا یعنی خراب الـدنیا فعلا»، قال فیه: «خلال السـنوات الماضـیهٔ تجلی بوضوح أکثر فأکثر أن العالم کله یسـیر بسرعهٔ متزایدهٔ نحو کارثهٔ اقتصادیهٔ بلا حدود، و أن تلک الکارثهٔ لا ترجع إلی أن موارد الخیر و الرزق فی الأرض قد قلّت و لم تعد تکفی الناس، لأن الحقیقهٔ عکس ذلک فقد ازدادت هذه الموارد خلال السـنوات الماضیهٔ بصورهٔ تخطت کل التوقعات و الدراسات، فإنتاج العالم من الغذاء یبلغ الیوم أضـعاف حاجهٔ البشریهٔ جمیعا إذا هی دبرت بعدالهٔ، ففی بعض بلاد الدنیا مقادیر من الغذاء تکفی أهل الأرض جمیعا، فهذه أمریکا تتحدث عن جبال القمح، و هذه أوربا تحدثت عن جبال الزبد، بینما فی قارهٔ إفریقیا یموت ۱۰٪ من سکانها سنویا فی حین أن الملوک و الأمراء یعملون موائد تکفی إنقاذ أضعاف هذا الرقم من موتهم و هلاکهم و لا أحسب هـذا التفاوت إلا من جراء الربا». و قـد ساق الرجل أمثلهٔ عدیدهٔ بالأرقام حول موضوع الربا فمثلا نراه یقول «إن القلم الذی أکتب به الآن یکلف من مواد و صناعهٔ و هندسهٔ و نقل و أمور أخری رقما یساوی عشر المبلغ الذی أشتریه به»، و أمثلهٔ أخری عدیدهٔ، و یقول أیضا متسائلا بعد هذه الأمثلهٔ، (ما الذی یجعل هذا الفرق الهائل بین الواحد و العشـرهٔ؟! فیجیب، الوسطاء و البنوک، ثم یتساءل

فی نهایـة البحث ما الـذی یعطی الـدولار کل هـذه القوة؟!، إنه الربا، إنها المعاملات الربویـة التی هی أساس الاقتصاد الغربی کله. لأن الثروة الأمریکیـة التی لا تصـدق و التی یصل قیمـة المـداورة الیومیـة لها مئات البلایین من الدولارات لا یمکن أن تکون قد تکدسـت بهـذه الصورة الرهیبـة عن طریق التجارة الحرة الشـریفة، لأن أرباح المعاملات التجاریـة مهما بلغت فإن للمکاسب التجاریـة حـدودا، و الشـطارة و المهـارة مهمـا بلغت فهی لن تسـمح لـک ببیع منتجاتک بأکثر من أربعـة أو خمسـة أضـعاف تکلفتها، فإذا أنت بعتها بمائة ضعف فـأنت هنا تـدخل فی میـدان السـرقة، و السـرقة الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۲۲ تسـمی فی عرف التجـارة الغربی (tsertnI أو (tefineB و الترجمة العربیة الفصیحة للکلمتین هو الربا». و توصل فی نهایة بحثه إلی أن مأساة البشـریة التی نعیشها الآن هو أساسها أن «عالمنا الراهن یقوم علی الربا من البدایة حتی النهایة» .. فشـتان بین عدل الاقتصاد فی الإسـلام و شـریعته السمحاء التی ملأت العالم رحمـة و عـدلا طیلـة ثمانیـة قرون و بین بربریـة حضارة العم سام. تعلق بعض المتأخرین بکلمة (أضـعافا مضاعفة) التی وردت فی قوله تعالی فی الآیة ۱۳۰ من آل عمران التی أوردناها آنفا، و قالوا أن الربا المحرم هو ما کان أضـعافا مضاعفة، أما ما کان بسیطا و قلیلا فلا حرمـة فیه. إن هـذا الفهم الخاطئ للآیـة الرد علی هؤلاء کما یـذکر الأسـتاذ صـلاح الـدین عبد المجید هو أن هذا من باب التدرج فی التشـریع تمامـا کمـا تـدرج حکم تحریم الخمر، و العبرة دائمـا بـالحکم الأـخیر، فکمـا یلاحظ من آیات الربا التی أوردناها أن هناک تـدرجا فی الحکم بتحریمه حتی وصل إلی درجـة الحرب من اللّه و رسوله علی فاعلیه و العیاذ باللّه .. و الأحادیث الشـریفة الصـحیحة فی ذلک کثیرة، نذکر منها: ۱. أخرج البخاری فی الوصایا (۲۵۶۰) عن أبی هریرة رضـی اللّهم عنه عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم قال (اجتنبوا السّبع الموبقـات)، قالوا یا رسول اللّه و ما هنّ قال (الشّـرک باللّه و السّـحر و قتل النّفس الّتی حرّم اللّه إلّا بالحقّ و أکل الرّبا و أکل مال الیتیم و التّولّی یوم الزّحف و قذف المحصنات المؤمنات الغافلات). ۲. أخرج الإمام مسلم فی المساقاة (۲۹۹۵) عن جابر قال لعن رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و سـلّم آکل الرّبا و مؤکله و کاتبه و شاهـدیه و قال هم سواء ۳. أخرج أبو داود فی الـبیوع (۲۸۹۶) عن سلیمان بن عمرو عن أبیه قال سـمعت رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و سـلّم فی حجّة الوداع یقول (ألا إنّ کلّ ربا من ربا الجاهلیّة موضوع لکم رءوس أموالکم لا تظلمون و لا تظلمون ألا و إنّ کلّ دم من دم الجاهلیّة موضوع و أوّل دم أضع منها دم الحارث بن عبد المطّلب کان مسترضـعا فی بنی لیث فقتلته هـذیل)، قال (اللّهم هل بلّغت)، قالوا نعم ثلاث مرّات، قال (اللّهمّ اشـهد)، ثلاث مرّات و لقـد أصدر المؤتمر السـنوی لمجمع البحوث الإسـلامیة الذی عقد عام ۱۹۶۵ م قرارا الإقتصـاد و الإجتماع، ص: ۲۳ هـذا نصه: (الفائدة علی أنواع القروض کلهـا ربـا محرم، لاـ فرق فی ذلک بین ما یسـمی بالقرض الاسـتهلاکی و ما یسـمی بالقرض الإنتاجی، و إن کثیر الربا و قلیله حرام). إن الربا له أضـرار کثیرة فی جوانب ثلاثـة: الجانب الخلقی و الجانب الاجتماعی و الجانب الاقتصادی. یری عمیـد الاقتصادیین الأـوربیین (کینز) أن الربا هو سـبب الکساد، و أن المجتمع النامی لکی یحقق آماله فی التنمیـة علیه أن یصل فی تعامله الاقتصادی إلی الدرجة التی تصیر درجة الفائدة (الربا) صفرا .. و إن نظرة واحدة إلی دیون العالم النامی التی و صلت إلی أرقام مرعبة، هی کلها دیون ربویـة، و مهما عملت الدولـة لتسدید تلک الدیون تراها تغرق فیها أکثر، السـبب ببساطة أن المبدأ هو مبدأ إیغال فی المشـکلة و لیس حلها. علی أن هناک فوائد لا تنکر من عمل المصارف الإسلامیة کتیسیر التبادل و تعزیز طاقة رأس المال و تحویل النقود بین الدول و بیع و شـراء العملات و إصدار الشیکات و تحصیل الدیون و بیع أسهم الشرکات و تأجیر الخزائن الحدیدیة و تسهیل التعامل مع الدول الأـخری .. و من هنـا بـدأت فکرة البنوک غیر الربویـة فی خمسـینیات القرن العشـرین المیلادی، و قـد أثبتت نجاحا باهرا مما دفع إلی تطویر الفکرة و انتشارهـا حتی وصـل إلی أوربا و أمریکا «۱». فی بدایات العقد التسـعینی من القرن العشـرین المیلادی عقد مؤتمر عن الاقتصـاد الإسـلامی فی جامعـة لیفیبوروه البریطانیـة بحضور کبـار اقتصادیی العالم، و اسـتمعوا إلی شـروح عن آیات القرآن الکریم و أحـادیث المصـطفی صـلّی اللّه علیه و سـلّم المتعلقـة بتنظیم الشـئون الاقتصادیـة، فکـان الانبهـار العظیم من الجمیع، و تم الاتفـاق علی تـدریس الاقتصاد الإسـلامی فی الجامعات البریطانیـة فی البکولوریوس و الماجستیر و الدکتوراة. و فعلا فی عام ۱۹۹۶ م تأسس معهد مارکفیلد للدراسات الإسـلامیة الاقتصادیة تحت إشـراف أساتذة مسـلمین متخصصین أمناء و أوفیاء، و لیس المستشرقین الذین شوهوا

الإسلام و كتابه و سنة رسوله، و دسوا لنا السم فى الدسم. و قد قام هؤلاء الأساتذة بالإشراف

(_____ ۱) بحث للأستاذ صلاح الدين عبد المجيد فى مجلة التربية الإسلامية، السنة ۳۵، العدد ۱۲، ص ۲۷- ۳۰، بتصرف. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۲۴ على الطلاب من مختلف المراحل الجامعية و لأربعة جامعات بريطانية كمرحلة أولى. و ها هى المصارف الإسلامية غير الربوية تبدأ بالانتشار فى أمريكا و أوربا و تدر بالربح الوفير باعتراف الغربيين أنفسهم، و ها هى الإنجازات تترى لتكون بداية الخير، فأول الغيث قطر كما يقولون، و الحمد للّه رب العالمين. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۲۵

الفصل الثالث النظام الاجتماعى الإسلامى

اشارة

الفصل الثالث النظام الاجتماعى الإسلامى لقد كون رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم مجتمعا رائعا بعد أن طبق النواميس و الأوامر الإلهية التى جاء بها القرآن الكريم، فبدأ بالنفس و الأهل و الأقربون صعودا إلى المجتمع و المدينة و الدولة، فكانت تلك الحقبة تمثل أعظم الحقب التى حفظت للإنسان كرامته و عزته بعد أن عرف ربه و استقام على ذلك. و هنا أسرد قصة لطيفة لأحد الرحالة الأوربيين الذى زار بغداد فى العصر العباسى الثانى، فآجر منزلا، و كان يستيقظ كل صباح فيجد القمامة التى رماها فى باب بيته ليلة الأمس و قد أزيلت، و كان يتعجب للأمر. فقرر ذات ليلة أن يراقب الباب و لا ينام، فإذا بجاره يخرج عند هجيع الليل ليحمل القمامة و يرميها بعيدا. فأتى لجاره بعد ذلك فسأله عن الأمر، فقال له الجار، إنى و اللّه لم أكن أتمنى أن تعلم بهذا، أما أنك و قد علمت و سألتنى فسأجيبك ... إن ديننا قد وصى بالجار، و إننى رجل أخاف العبور على الصراط يوم القيامة، فلم يفهم السائل، فسأله عما عناه بالصراط، ففسر له الأمر، فازداد عجبه. و عند ما عاد لبلده روى القصة لأهله و قال لهم متسائلا: هل استطاعت كل فلسفاتنا أن تضع فى الناس خلقا رفيعا مثل ما فعله الصراط بالمسلمين؟ ... ذكرت تلك القصة لأبين لكل من يدعى أن المسلمين أخذوا النظافة من الغرب أن يعود لهذه الحضارة الرائعة و ذلك التاريخ المشرف ليعرف إلى أية أمة ينتمى. و لقد كفلت حضارة الإسلام العظيمة للبشر كل ما يحتاجونه لإقامة الأسس و المرتكزات التى حددتها، و من ذلك:

۱. حرمة الدم و حفظ حق الحياة:

۱. حرمة الدم و حفظ حق الحياة: مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنا عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَ مَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَ لَقَدْ جاءَتْهُمْ رُسُلُنا بِالْبَيِّناتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (۳۲)، (المائدة: ۳۲).

۲. حرمة العرض فصان للفرد حق الكرامة:

۲. حرمة العرض فصان للفرد حق الكرامة: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۲۶ قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَ لا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَ لا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَ لا تَنابَزُوا بِالْأَلْقابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ وَ مَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (۱۱)، (الحجرات: ۱۱) .. يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَ لا تَجَسَّسُوا وَ لا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (۱۲)، (الحجرات: ۱۲).

۳. حرمة المال و حق التملك:

۳. حرمة المال و حق التملك: فى البخارى (الحج ۱۶۲۳) عن ابن عبّاس رضى اللّهم عنهما أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم خطب النّاس يوم النّحر فقال: (يا أيّها النّاس أىّ يوم هذا قالوا يوم حرام قال فأىّ بلد هذا قالوا بلد حرام قال فأىّ شهر هذا قالوا شهر حرام قال فإنّ دماءكم و أموالكم و أعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا)، فأعادها مرارا ثمّ رفع رأسه فقال: (اللّهمّ هل بلّغت اللّهم هل بلّغت). قال ابن عبّاس رضى اللّهم عنهما فو الّذى نفسى بيده إنّها لوصيّته إلى أمّته فليبلغ الشّاهد الغائب لا ترجعوا بعدى كفّارا يضرب بعضكم رقاب بعض.

۴. حرمة البيوت و حق الاستقلال الشخصى:

۴. حرمة البيوت و حق الاستقلال الشخصى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَ تُسَلِّمُوا عَلى أَهْلِها ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (۲۷)، (النور: ۲۷).

۵. حرية الرأى و الفكر و الاعتقاد و التعبير:

۵. حرية الرأى و الفكر و الاعتقاد و التعبير: و فى هذا يطول الشرح و التفصيل لكثرة ما ورد فى ذلك.

۶. حق المعارضة و النصيحة:

۶. حق المعارضة و النصيحة: للحاكم و المحكوم، ففى الترمذى (الفتن ۲۰۹۴) عن أبى بكر الصّدّيق أنّه قال أيّها النّاس إنّكم تقرءون هذه الآية يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ و إنّى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: (إنّ النّاس إذا رأوا الظّالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمّهم اللّه بعقاب منه). و فى صحيح مسلم (الإيمان ۸۲) عن تميم الدّارىّ أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم قال: (الدّين النّصيحة) قلنا لمن قال: (للّه و لكتابه و لرسوله و لأئمّة المسلمين و عامّتهم).

۷. حق القضاء و القصاص العدل:

۷. حق القضاء و القصاص العدل: كما ذكرنا فى ما سبق من آيات و كذلك قوله الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۲۷ تعالى: وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى (الأنعام: من الآية ۱۶۴). أَلَّا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى (۳۸)، (النجم: ۳۸) ..

۸. حق التعلم حتى وقت الحرب:

۸. حق التعلم حتى وقت الحرب: * وَ ما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (۱۲۲)، (التوبة: ۱۲۲) ... و قد حث النبى صلّى اللّه عليه و سلّم على طلب العلم فى عدة أحاديث كما فى حديث النسائى فى الطهارة (۱۵۸) عن عاصم أنّه سمع زرّ بن حبيش يحدّث قال أتيت رجلا يدعى صفوان بن عسّال فقعدت على بابه فخرج فقال ما شأنك قلت أطلب العلم قال إنّ الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب فقال عن أىّ شىء تسأل قلت عن الخفّين قال كنّا إذا كنّا مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى سفر أمرنا أن لا ننزعه ثلاثا إلّا من جنابة و لكن من غائط و بول و نوم.

۹. حق العمل «۱»:

۹. حق العمل «۱»: فقد دعا الإسلام للعمل لأنه من أهم و سائل الارتزاق، و هو أساس الاقتصاد، و الدعامة الأساسية للإنتاج، و هو عبادة من أجلّ العبادات مع النية الخالصة، و كل قطرة عرق تبذل فيه تكون فى ميزان المسلم مع صلاته و صيامه و زكاته .. و المسلم لا يعمل من أجل الدنيا و الحرص عليها و على فتنها و متاعها، بل لأن العمل أساس كل شىء بل هو أساس التقرب إلى اللّه تعالى .. يقول العلامة أبو الأعلى المودودى رحمه اللّه (إذا تعاطيت التجارة و الصناعة أو اشتغلت بالخدمة، و أديت ما عليك من الواجب بكل أمانة و صدق اتقاء للّه تعالى، ثم كسبت الحلال و تجنبت الحرام، كان كسبك هذا و سعيك فى سبيله عبادة للّه تعالى، مع أنك ما قمت بكل ذلك إلا لتكسب الرزق لنفسك) .. لذلك تجد أن القرآن الكريم قد قرن العمل بالإيمان فى آيات كثيرة، فجاء الحث عليه فى كتاب اللّه و سنة رسوله صلّى اللّه عليه و سلّم و فى أقوال السلف الصالح. يقول اللّه تعالى فى دعوة صريحة للعمل و الارتزاق و طلب الرزق و الكسب و السعى لكسب المعاش فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۱۰ (_____)، ۱) هذه النقطة عن مقالة رائعة للأستاذ الفاضل الشيخ الجليل إبراهيم النعمة بمجلة التربية الإسلامية بعنوان العدالة الاجتماعية، السنة ۳۵- العدد ۱۲، ص ۴۱- ۴۵، بتصرف. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۲۸ (الجمعة: ۱۰) .. و يقول تعالى أيضا هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَناكِبِها وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ (۱۵)، (الملك: ۱۵) .. و كأن القرآن يصرخ بالناس أن اعملوا لتأخذوا ثمرة عملكم، و اتعبوا و انصبوا لتجدوا لذة كسبكم. فالسعى إذن هو الوسيلة إلى الكسب .. كما و قرن القرآن الكريم السعى فى التجارة بالجهاد فى سبيل اللّه تعالى إعلاء دينه، فيقول تعالى .. وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ آخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...، (المزمل: من الآية ۲۰) .. و الآيات فى هذا المعنى كثيرة، إذ أحصى بعض الباحثين المحققين الآيات القرآنية الداعية إلى العمل و السعى لكسب العيش فكانت تزيد على ۱۶۰ آية، و التى ذكرت مطلق العمل بلغت ۳۶۰ آية، كما وردت معانى أخرى للعمل فى ۱۰۹ آية. و فى الحديث الشريف نجد الأحاديث الكثيرة التى ترغب بالعمل، منها قوله صلّى اللّه عليه و سلّم فى الحديث الذى أخرجه الإمام أحمد فى باقى مسند المكثرين (۸۰۶۰) عن أبى هريرة عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم قال (خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح) .. و قوله صلّى اللّه عليه و سلّم فيما ينقل البخارى رحمه اللّه تعالى فى كتاب البيوع (۱۹۳۰) عن خالد بن معدان عن المقدام رضى اللّهم عنهم عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: (ما أكل أحد طعاما قطّ خيرا من أن يأكل من عمل يده و إنّ نبىّ اللّه داود عليه السّلام كان يأكل من عمل يده) .. و قوله صلّى اللّه عليه و سلّم فى حديث الطبرانى فى الأوسط و الأصبهانى من حديث ابن عباس رضى اللّه عنه: (من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له) .. و أخرج الترمذى فى كتاب البيوع (۱۱۳۰) عن أبى سعيد عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم قال: (التّاجر الصّدوق الأمين مع النّبيّين و الصّدّيقين و الشّهداء). و يسمو الإسلام بالعمل حتى يجعله بمنزلة الجهاد فى سبيل اللّه، فقد روى كعب ابن عجرة رضى اللّه عنه قال مر على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم رجل، فرأى أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم من جلده و نشاطه، فقالوا يا رسول اللّه لو كان هذا فى سبيل اللّه!، فقال صلّى اللّه عليه و سلّم: (إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل اللّه، و إن كان خرج يسعى على أبوين كبيرين فهو فى سبيل اللّه، و إن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل اللّه، و إن كان خرج يسعى رياء أو مفاخرة، فهو فى سبيل الشيطان)، رواه الطبرانى و رجاله رجال الصحيح .. و قد نهى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عن المسألة و حث على القوة الاقتصادية فاليد العليا خير الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۲۹ من السفلى، و خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى كما قال صلّى اللّه عليه و سلّم، و حث على الدقة و الإتقان فى العمل و قرنه بحب اللّه للعبد، و حث على إعطاء العامل و الأجير أجره بسرعة دون إبطاء. أما أقوال السلف الصالح رضى اللّه عنهم فى هذا المعنى كثيرة، منها ما يذكره الغزالى رحمه اللّه تعالى فى الإحياء (۲/ ۶۴) و هو قول سيدنا عمر رضى اللّه عنه (ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب إلى من موطن أتسوق فيه لأهلى: أى أبيع و أشترى)، و قوله رضى اللّه عنه (إنى لأرى الرجل فيعجبنى فأسأل: أ له حرفة؟، فيقال: لا، فيسقط من عينى) .. و قالت أم المؤمنين عائشة رضى اللّه عنها (المغزل بيد المرأة خير من الرمح فى يد المجاهد) .. و يقول بعض الصالحين (ليست العبادة أن تصف قدميك-

يعنى للعبادة- و غيرك يقوت لك: ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد) .. و قال ابن خلكان (لو يعلم المسلمون و أبناء المسلمين ما أعد اللّه تعالى للمسلمين فى إحياء الأرض، ما ترك مسلم بقعة دون إحياء رجاء الثواب المدخر عند اللّه تعالى). و يسمو الإسلام بالعمل أيضا حتى يجعله فوق الكثير من العبادات، فالرجل الذى يعمل و يعول أخاه العابد يصير أعبد منه، و هناك من يفضل الصناع على العباد كالشيخ الشعرانى و هو من المتصوفة، ذلك لأن نفع العبادة تعود على صاحبها حسب، بينما نفع الحرف فيعود على الناس جميعهم بالخير .. و إذا كان الإسلام قد دعا إلى العمل فقد نهى عن الجلوس فى البيت من غير عمل، فهذا سيدنا عمر رضى اللّه عنه يدخل المسجد بعد الصلاة، فيرى فيه قوما قابعين بدعوى التوكل على اللّه، فما كان من فاروق الإسلام إلا أن علاهم بدرته، و قال كلمته المشهورة (لا- يقعدن أحدكم عن طلب الرزق و يقول: اللهم ارزقنى، و قد علم أن السماء لا- تمطر ذهبا و لا فضة، و أن اللّه تعالى يقول فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۱۰) .. و هذا الإمام أحمد رضى اللّه عنه سئل عمن يجلس فى بيته من غير عمل بحجة أن رزقه سيأتيه فأجاب السائل (هذا رجل جهل العلم، أما سمع قول النبى صلّى اللّه عليه و سلّم (.. جعل رزقى تحت ظل رمحى ..)، و قوله حين ذكر الطير (.. تغدو خماصا و تروح بطانا ..).

۱۰. حق التجمع لعمل الخير و نبذ التجمع للشر:

۱۰. حق التجمع لعمل الخير و نبذ التجمع للشر: وَ تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوى وَ لا- الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۳۰ تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ (۲)، (المائدة: من الآية ۲). و هكذا كان العمل الجماعى للخير أمر فيه خير. ففى الترمذى (الفتن ۲۰۹۲) عن ابن عبّاس قال قال رسول صلّى اللّه عليه و سلّم: (يد اللّه مع الجماعة). و تعاون الجماعة فى الإسلام من أعظم القربات إلى اللّه تعالى، فعن عبد اللّه بن عمر رضى اللّه عنهم أخبره أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال «المسلم أخو المسلم لا يظلمه و لا يسلمه و من كان فى حاجة أخيه كان اللّه فى حاجته و من فرّج عن مسلم كربة فرّج اللّه عنه كربة من كربات يوم القيامة و من ستر مسلما ستره اللّه يوم القيامة»، و عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم «من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدّنيا نفّس اللّه عنه كربة من كرب يوم القيامة و من يسّر على معسر يسّر اللّه عليه فى الدّنيا و الآخرة و من ستر مسلما ستره اللّه فى الدّنيا و الآخرة و اللّه فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ...».

۱۱. ثبت حقوق الزواج و المرأة و الميراث و نظام الأسرة:

۱۱. ثبت حقوق الزواج و المرأة و الميراث و نظام الأسرة: كما سنفصل لاحقا. لقد كثر الحديث هذه الأيام عن حقوق الإنسان فى دول العالم و فى دول الغرب بالذات و تحديدا فى الولايات المتحدة، فبدأت تسوق هذه الحقوق و كأنها بضاعتها أو أنها وصية عليها، و أصبحت ذريعة فى إخضاع من هم دونها و إيذاء الأمم و الشعوب تحت دعوى الدفاع عن حقوق الإنسان. لكن الواقع يشير و منذ ما يربو عن ال ۵۰ عاما أن الدول الغربية نفسها هى أول من لا يطبق هذه الحقوق إلا فى الأمور التى تفيد مصالح ضيقة لجماعات معينة دون غيرها، و الأمثلة فى هذا أكثر من أن تذكر. إن الكلام عن حقوق الإنسان لا يأخذ مداه ما لم يكن هناك تنفيذ و تفعيل لتلك الحقوق. فبدون منهجية تفعيل حقوق الإنسان و ضماناتها الحقيقية يصبح الكلام عنها و السعى إليها ... كَباسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْماءِ لِيَبْلُغَ فاهُ وَ ما هُوَ بِبالِغِهِ ...، (الرعد: من الآية ۱۴) .. فلا- ينفع الكلام و التأشير و التعداد ما لم تقترن بالتطبيق. يذهب علماء القانون العام إلى تقسيم حقوق الإنسان إلى مجموعات من أجل تيسير دراستها، فقسموها إلى مجموعة الحريات الشخصية التى تشمل الحرية الشخصية للفرد و حرية التنقل و السكن و المراسلات، ثم تأتى مجموعة حريات الفكر و تشمل حرية العقيدة و التعليم و الصحافة و الرأى. القسم الثالث هى مجموعات حريات التجمع مثل حرية الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۳۱ التظاهر و تأليف الجمعيات و الأحزاب و الحركات، ثم مجموعة الحقوق و الحريات الاجتماعية مثل حق العمل و اختيار نوعه و الراحة و الفراغ و المعونة عند العجز و المرض و الشيخوخة.

ثم تأتى مجموعة الحريات الاقتصادية، مثل حق التملك و التجارة و الصناعة. و مجموعة الحقوق السياسية مثل حق الانتخاب و الترشيح و تقرير المصير ... و قد سبق الإسلام و كما فصلنا آنفا إلى تشريع هذه الحقوق بل أضاف إليها حقوقا أخرى. و رغم أن هذه الحقوق و الحريات جاءت تعدادا و مناشدة فى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان غير أنه لا توجد وسائل فعالة لتفعيلها و نقلها من النظرية إلى التطبيق. و فوق ذلك فإنها باتت معرضة لأن تعصف بها العولمة بأبعادها الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية من جهة أخرى، و تحكّم الدول الكبرى المتغطرسة التى تشن الإرهاب الدولى تحت غطاء الدفاع عن حقوق الإنسان. و بقى ميثاق حقوق الإنسان حبرا على ورق و لم ينفذ منه شىء، فالعالم اليوم يعيش حالة غالب و مغلوب، و تفرد قوة عظمى بالهيمنة على العالم، بل إنها اختطفت الأمم المتحدة و ميثاقها و جعلتهما ألعوبة فى يدها، فكان حق الفيتو سيئ الصيت لصالح مصالح خاصة ضيقة بمجموعة بشرية معينة قمة الإساءة للمنظومة الدولية و حقوق الإنسان، ثم جاء تشكيل المحكمة الجنائية الدولية ليسهم فى تعزيز الظلم و الاستبداد فى جعل جرائم أميركا و أعوانها فى منأى عن المسائلة و العقاب .. لكن الأمر يختلف بالنسبة للشريعة الغراء، التى يستنبط منها نظام كامل متكامل لحقوق الإنسان لا- يهتم بالدرج و التعداد، بل جعل حقوق الإنسان منهجا و فعلا و تطبيقا. و حين كانت أوربا تغط فى نوم عميق و تعيش قرونها الوسطى المظلمة تحت جبروت القساوسة و النبلاء و السلطات المطلقة للحكام، جاء الإسلام بتصور شامل لحقوق الإنسان، و كانت دولة الإسلام تنشر العدل و الإحسان، على أسس و مبادئ شرعية قانونية لم تعرفها البشرية من قبل، و كان الخليفة مقيدا بأحكام الكتاب و السنة، ملتزما باحترام حقوق الإنسان و الأفراد و حرياتهم التى نص عليها الإسلام، و وضع الضمانات التى تكفل حمايتها من كل جور و اعتداء .. إن المنهج الإسلامى يقوم على إقامة العدل و تقديمه على السلم عند التقاطع بينهما، و لا يحترم السلم المبنى على الظلم، و أعلن القرآن الكريم أن إقرار العدل فى الأرض هو أعظم هدف بعد عبادة اللّه تعالى، و التى هى أعلى غاية على الإطلاق لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَ الْمِيزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۳۲ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (۲۵)، (الحديد: ۲۵). و قوله تعالى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللَّهِ، (الحجرات: من الآية ۹) .. و بعد فإن الإسلام أسس على الأرض أول دولة قانونية تخضع فيه السلطة خضوعا تاما لقيود تسمو عليها، لأن مصدرها كتاب اللّه و أساسها الفكرى العقيدة، لا تقبل التلبس بالظلم و الباطل و كما ذكرنا فى قصة الإمام على عليه الرضوان و السلام مع اليهودى، ترعى حقوق الإنسان من خلال منظومة كاملة من الأحكام، و حقوق الإنسان فى الإسلام ذات صفة دينية تقوم على العقيدة و العبادات، و هى ليست منحة من بشر و إنما هى منح إلهية واجبة على الجميع، و لا مجال فيها لاستثناء أو تمييز ما بين حاكم و محكوم «۱».

منزلة المرأة و الأسرة فى الإسلام:

منزلة المرأة و الأسرة فى الإسلام: رغم أننا قد تحدثنا عن بعض أوجه العظمة و الروعة فى التشريع الإسلامى فى الزواج و أسس تكون الأسرة فى كتاب الطب النفسى، إلا- إننا هنا سنحاول الولوج أكثر فى هذا الموضوع. إن من أشد ما تبتلى به الأمم و المجتمعات و الأفراد عدم الاتعاظ بأخطاء و تجارب غيرها من الأمم و المجتمعات البشرية على المستويين الفردى و الجماعى، و لذا حفل القرآن الكريم بقصص الأمم السابقة، فأحد أسباب ارتقاء العنصر البشرى مقارنة بغيره من المخلوقات تراكم الخبرات بين الأجيال و انتقالها بين الأمم، لكن كثيرا ما يتخلى الإنسان عن هذه الميزة من تلقاء نفسه فيكرر أخطاء غيره و يطيل فترة تطوره و تقدمه. و من الأخطاء التى ما زالت تعانى منها الأمة و مجتمعاتها استيراد أنماطا اجتماعية و اقتصادية غربية ذات قضايا و اهتمامات مختلفة تماما عن واقعنا و حاجاتنا. لقد عشنا قرونا عديدة لا نجادل فى مسلّمة جاءت فى كتاب اللّه تعالى تقول: ... وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى ...، فلم يكن رجالنا يرون فى ذلك ميزة لهم- إلا- حالات شاذة لا يقاس عليها-، و لم تكن نساؤنا يرين فيها إقلالا من شأنهن أو حطا من قدرهن، بل هى توصيف لواقع و فطرة نراها (_____ ۱) عن

مقالة للأستاذ الدكتور أكرم عبد الرزاق المشهداني بمجلة التربية الإسلامية بعنوان حقوق الإنسان بين الشريعة و القوانين الوضعية، السنة ۳۵- العدد ۱۲، ص ۴۹- ۵۳، بتصرف. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۳۳ شاخصة ليس فقط بين بنى البشر بل بين الذكر و الأنثى لدى مخلوقات اللّه تعالى مما نرى حولنا. لكن هذا الواقع تغير لا بسبب اكتشاف جديد وضعنا أيدينا عليه أو مشكلة نجمت عن هذه المسلّمة، بل لأن تيارا فى بعض بلدان الغرب سعى لأن يكون عكس ذلك بدعوى أن المرأة مظلومة لأنها لم تعط حقوقها عبر التاريخ، فجاءت استجابات مجتمعاتنا لهذه الدعاوى سريعة دون تمحيص أو تروى لمعرفة الحقيقة و إعطاء كل ذى حق حقه، فالمرأة فى الغرب تخرّج امرأة تقود طائرة حربية، فنفعل حتى و لو كنا لا نقاتل أعدائنا، و هم يعملون فرق رياضية نسوية فى الجمباز الخليع فنفعل و لكن بالبنطال، و المرأة عندهم تلبس الخليع لموضة خريف عام كذا فنفعل و نقلد كالببغاوات و الأرجوزات، و غير ذلك من الأمثلة التى تنم عن عقد نفسية مترسخة فى كثير ممن ينتمون لهذه الأمة بالاسم فقط، اسمها الغرب. إن حقيقة كون الجنسين متساويين فى كل شىء و بشكل مطلق تم ترويجها فى السنين الأخيرة من حياة البشرية، فدعوى تحرير المرأة و دعوى المساواة و إنقاذ الجنس اللطيف من همجية الرجال و تسلطهم جاءت متأخرة و بالتحديد فى القرنين الماضيين فقط. فلم نسمع فى تاريخ الحضارات جميعا صدى لهذه الدعوة، لا لأن الرجل كان يضطهد المرأة و يبيعها فى سوق النخاسة، أو يتمتع بها و يرميها، أو لأسباب أخرى، و إنما لأن هذه الدعوة هى باختصار كلمة حق يراد بها باطل. فحقيقة أن المرأة مضطهدة فى كثير من حقوقها لا ينكرها عاقل، و لكن المشكلة هذا التكالب و الثورة غير المنضبطة فى سبيل تحقيق ما يزعم أنه تطبيق عادل لما يضمن للمرأة حقوقها المتكافئة مع حقوق الرجل بما يجعل المجتمع يسير فى طريق الخير و المساواة، و لكن الحقيقة أن المسألة أخطر من ذلك بكثير. لقد أعطى الإسلام حقوقا للمرأة و تكريما لم يشهد التاريخ البشرى مثيلا له من قبل، فقد كانت البنت محتقرة، و محل سخرية و تذمر لأهلها فى أغلب المجتمعات البشرية قبل الإسلام، و لا يقتصر ذلك على عرب الجزيرة كما يظن البعض و إن كان يبدو أن الأمر لدى العرب يأخذ منحى أكبر، فقد كانت توأد و تدفن حية لمجرد كونها أنثى، فكان هذه الأفعال و غيرها من أشد الأفعال التى ردّها الإسلام و حرّمها بقوله تعالى أَ فَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِناثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيماً (۴۰)، الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۳۴ (الإسراء: ۴۰) .. وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ (۵۸) يَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَ يُمْسِكُهُ عَلى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرابِ أَلا ساءَ ما يَحْكُمُونَ (۵۹)، (النحل) .. أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَناتٍ وَ أَصْفاكُمْ بِالْبَنِينَ (۱۶) وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِما ضَرَبَ لِلرَّحْمنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ (۱۷) (الزخرف) .. وَ إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ (۸) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (۹)، (التكوير). و هكذا نزل القرآن الكريم ليعطى المرأة المنزلة الراقية التى تستحق، فأفرد لها سورة باسمها (سورة النساء) و التى ثبتت حقيقة مهمة فى بداياتها و هى مساواة المرأة للرجل فى النشأة و الخلق و العبودية للّه تعالى يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَ بَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَ نِساءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحامَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (۱)، (النساء: ۱). فكلمة زوج تعنى المقابلة، فللزوجية فى القرآن عدة معانى و هنا تعنى التقابل أو التكامل أو المساواة و ليس التضاد ... كذلك جمع اللّه تعالى بين الجنسين فى مهمة استخلاف اللّه البشر على إدارة الأرض و إصلاحها و هو يقصد جنس البشر ذكرا كان أو أنثى (البقرة: ۳۰)، و سوّى بين الجنسين فى التكريم و التفضيل الذى خصّ به الإنسان (الإسراء: ۷۰)، و ساوى بينهما فى الخلق من طين (ص: ۱۶)، و نفى الإسلام عن المرأة مسئولية الخطيئة الأصلية. كما ركزت الآيات و الأحاديث على المساواة فى العمل مَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (۹۷)، (النحل: ۹۷). هنا تجدر الإشارة إلى أن تقديم الذكر على الأنثى لا يفيد التفضيل كما يظن البعض، فكما يعلم من قواعد اللغة و الأحكام الشرعية أن التغليب هنا يفيد المساواة، فالقرآن كان يمكن أن يشير إلى النساء بصيغة جمع المذكر الذى يفهم على أنه يعنى الإناث أيضا، و هذا يعرف لغة بالتغليب، و لكن القرآن فضل الوضوح منعا للبس و تأكيدا للمساواة. كذلك ساوى الشرع الحنيف بين الجنسين فى اكتساب الأجر وَ لا تَتَمَنَّوْا ما فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَ لِلنِّساءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَ سْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً، (النساء: الإقتصاد و

الإجتماع، ص: ۳۵ ۳۲). كما ساوى الإسلام بين الجنسين فى الولايـة و تولى المسئوليات كالدعوة إلى اللّه و عمل الخير و النهى عن الشر و الجهاد و غير ذلك من المسئوليات التى تقيم المجتمع و الدولة بقوله تعالى: وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۷۱)، (التوبة: ۷۱). و قد كانت السيدة عائشة رضى اللّه عنها من كبار رواة الحديث و عنها قال عروة بن الزبير (ما رأيت أحدا أعلم بفقه أو طب أو شعر من عائشة أم المؤمنين رضى اللّه عنها). و يروى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه ولّى (أم الشفاء بنت عبد اللّه) على مرفق اقتصادى مهم هو حسبة السوق. كما أن سمراء بنت نهيك الأسدية كانت تمر بالسوق تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر. و هناك أميرات ولّين الحكم فى التاريخ الإسلامى كشجرة الدر وقت المماليك فى مصر. كما ساوى الإسلام الجنسين بمسئولية تحمل النتائج بغض النظر عن الفاعل: كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (۳۸)، (المدثر: ۳۸) .. و أخرج البخارى فى صحيحه (كتاب الجمعة ۸۴۴) عن ابن عمر رضى اللّهم عنهما أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول: (كلّكم راع و كلّكم مسئول عن رعيّته الإمام راع و مسئول عن رعيّته و الرّجل راع فى أهله و هو مسئول عن رعيّته و المرأة راعية فى بيت زوجها و مسئولة عن رعيّتها و الخادم راع فى مال سيّده و مسئول عن رعيّته و كلّكم راع و مسئول عن رعيّته). أما عن العقوبة لجرم كالسرقة فقد قدم الرجل السارق على المرأة السارقة لأنه الأقدر على ذلك: وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالًا مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (۳۸)، (المائدة: ۳۸). بينما فى الزنا قدمت المرأة الزانية فى العقوبة على الرجل لأن بيدها إتمام الجرم من عدمه، فهى تستطيع منع الجرم إن أرادت حتى و إن أراد الرجل الزانى الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ وَ لا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (۲)، (النور: ۲). و القاعدة الفقهية فى هذا الباب الذى يعنى بالعقوبات الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۳۶ و المعروف قانونا بالمساواة القانونية بين الجنسين تقول (النساء شقائق الرجال). و لكن الإسلام غلّظ العقوبة فى الدنيا و الآخرة على الذين يدّعون أمر الزنا على المرأة دون بينة و يتهمونها جزافا و بهتانا، إذ عليهم بأربعة شهود على دقة ادعاءهم: وَ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً وَ لا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبَداً وَ أُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ (۴)، (النور: ۴) .. إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَناتِ الْغافِلاتِ الْمُؤْمِناتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ، (۲۳)، (النور: ۲۳). أما فى المعاملة فقد أمر الشرع الحنيف الرجال بحسن المعاملة مع النساء، فها هو رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يوصينا بالنساء فى كل الأوقات، بل و حتى قبل وفاته صلّى اللّه عليه و سلّم كان آخر كلامه أن استوصوا بالنساء خيرا، و كان أحن الناس على أزواجه، ففى الحديث الذى أخرجه الترمذى (المناقب ۳۸۳۰) عن عائشة قالت: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: (خيركم خيركم لأهله و أنا خيركم لأهلى) .. و فى بعض أسفاره كان يأخذ إحدى زوجاته صلّى اللّه عليه و سلّم فحصل أن ساق الحادى الجمل بقوة فوبخه صلّى اللّه عليه و سلّم على هذا الفعل و أمره أن يرفق بالقوارير أى بالنساء، و سماهنّ كذلك لرقتهن، فقد أخرج البخارى فى الأدب (۵۷۴۱) عن أنس بن مالك قال كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم فى مسير له فحدا الحادى فقال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم: (ارفق يا أنجشة ويحك بالقوارير). و المتتبع لسيرة المصطفى صلّى اللّه عليه و سلّم و سير الصحابة و التابعين يجد القصص الرائعة التى تذرف لها الدموع من فرط المحبة و الإخلاص و حسن التعامل و المودة بين الزوجين فى البيت المسلم و بين الحاكم و المحكوم فى حالة الدولة و القضاء. أما قدسية الزواج فقد كرّم الإسلام الزوجة أيما تكريم منذ خطبتها و حتى أقرب الأجلين الموت أو التفريق إن حصل و ما يتخلل ذلك من معاملات، و فى كلتا الحالتين لا يجوز للزوج أن يأخذ من الزوجة ما قدمه لها إلا إذا أتت بفاحشة وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ وَ آتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِيناً (۲۰)، (النساء: ۲۰). و أما الزوجة الصالحة فقد جعلت أعظم كنز يعطى للرجل فى دنياه. ففى سنن أبى داود (الزكاة ۱۴۱۷) عن ابن عبّاس رضى اللّه عنهما قال: لمّا نزلت هذه الآية وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ ...، قال كبر ذلك على المسلمين فقال عمر رضى اللّه عنه أنا أفرّج عنكم فانطلق فقال يا نبىّ اللّه إنّه كبر على الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۳۷ أصحابك هذه الآية فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: (إنّ اللّه لم

يفرض الزّكـاة إلّـا ليطيّب مـا بقى من أموالكم و إنّمـا فرض المواريث لتكون لمن بعـدكم)، فكبّر عمر ثمّ قال له (أ لا أخبرك بخير ما يكنز المرء المرأة الصّالحـة إذا نظر إليهـا سرّته و إذا أمرهـا أطـاعته و إذا غاب عنها حفظته). أما تعـدد الزوجات و التى أخـذها الغرب حجـة على الإسـلام كما توهموا، فهى اختياريـة و شـرعت لأسـمى غرض و هو الخوف على النساء من الضـياع خصوصا أولاء الأطفال منهن و الـذين لا يجـدون من يعيلهن، فهى اختيار و بشـروط مهمة أهمها إقامة العدل بينهن فإذا تعذر ذلك فزوجة واحدة تكفى وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَواحِدَةً أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ ذلِكَ أَدْنى أَلَّا تَعُولُوا (۳)، (النساء: ۳). تـدبر الآيـة و انظر أنهـا شـرطية ابتـدأت ب (و إن) أداة شـرط. أى إن خفتم ألا تعطوا اليتامى حقوقهم فلكم أن تتزوجوا من أمهاتهن لترعوهم، ثم تعود الآيـة لتقول، ف (إن) مرة أخرى خفتم ألا تعـدلوا بين النساء فزوجـة واحـدة فقـط. و يـدل على صـعوبة القـدرة على العـدل بين النساء قوله تعالى وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّساءِ وَ لَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوها كَالْمُعَلَّقَةِ وَ إِنْ تُصْلِحُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً (۱۲۹)، (النساء: ۱۲۹). و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم دائمـا مـا يطبق العـدل بين الزوجات فى الأمور الدنيويـة و المعيشـية فيوزع عليهن الرزق بالتساوى و كـذلك كان يعطيهم حق الزوجية دون تمييز، أما فى الأمور العاطفية فقد كانت السيدة عائشة رضى اللّه عنها أحب زوجاته إلى قلبه و أمور القلب ليس للإنسان عليها من سلطان. فقد أخرج الترمذى (النكاح ۱۰۵۹) عن عائشة أنّ النّبىّ صـلّى اللّه عليه و سلّم كان يقسم بين نسائه فيعدل و يقول: (اللّهمّ هذه قسمتى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك و لا أملك)، قال أبو عيسى حديث عائشة هكذا رواه غير واحد مرسلا. و معنى قوله لا تلمنى فيمـا تملـك و لاـ أملك إنّما يعنى به الحبّ و المودّة كـذا فسّره بعض أهل العلم. و لك أخى الكريم أن تعرف سـماحة الإسـلام فى التشريع الذى ينظر لكل الناس صغيرهم و كبيرهم ذكرهم و أنثاهم ليحقق العدل. فكل تلك التفاصيل لتبين لك عظمة الزواج و مكانة الزوجة، كيف لا و قد جعلت وثيقة الزواج ميثاقا غليظا يشـبه الميثاق الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۳۸ الغليظ الذى أعطى لأولى العزم من الأنبياء عليهم السلام و كما فصلنا فى كتاب الطب. و لقد ذكرنا بعض الحالات التى ساهمت فيها المرأة فى الحرب و السلم و التمريض فى كتاب الطب، و نضيف أن الإسلام أعطى حقا للمرأة فى أمور عديدة اقتصادية و اجتماعية و علمية و غيرها. و لكن الشرع الحنيف ثبت حقائق واضـحة لا يمكن تجاوزها، ألا و هى أن الرجل أفضل من المرأة لا لغرض التفضـيل المتعصب، و لكن لأن الرجل يمتلك من المقومـات الخلقيـة و الخلقيـة ما يجعله كـذلك. على أن الجهال و أصـحاب الأغراض و المصالـح الضـيقة و الفهم القاصـر للـدين اسـتغلوا هذه الحقيقة فقدموا نماذج صارخة لظلم المرأة و استغلالها السيئ عبر التاريخ قديمه و حديثه، فحصلت ردة فعل طبيعية للمرأة معتقـدة أن الثورة على التقاليد الشـرعية و نفى الدين و إبعاد الشـريعة عن واقعنا هو الحل، فتسـممت الأفكار بدعاوى الغرب فى تحرير المرأة، و التى جاءت بعد عقود الظلم التى عاشتها هناك. يبين اللّه تعالى أن للذكر أحقية عن الأنثى من أوجه عدة لا لتحقير المرأة بل لتكريمها. فكما أن الملك أو المسـئول يحمى من قبل أناس متخصـصون أقوى منه خوفا من غـدر الغادرين، و كما أن الجواهر تحمى فى زجـاج خـاص خوفـا من السـراق، كـذلك المرأة جعلت بهـذه المواصـفات كى تكرّم و تحمى لأنهـا لاـ تقـدر على معترك الحياة القاسـية لوحـدها دون رجل يقوم عليها و يحميها و يوفر لها سـبل العيش الرغيـد، تماما كما أن الرجل القوى لا يقـدر على هـذه الحياة بـدون المرأة .. و هنـا نريـد أن نعكس الحالـة فنقول مثلا لما ذا أحل اللّه الفضـة للمؤمنين من الـذكور فى الـدنيا و حرّم الـذهب، بينما أحلهما للإناث، هل ليحقّر الرجال مثلا دون النساء، أم فى المسألـة اعتبارات أخرى؟!. لقـد أثبتت البحوث الطبيـة أن الـذهب يؤثر على كريـات الـدم الحمراء للرجـال دون النسـاء بسـبب وجود طبقـة شـحمية بين الجلـد و اللحم للنساء تمنع الإشـعاعات الناتجـة من معـدن الـذهب. و الذى يبلغ عمر النصف فيه ۷، ۲ يوما، بينما لا تؤثر إشـعاعات معـدن الفضة على الرجال و النساء، كما أثبتت البحوث الطبية العديدة أن إشعاعات الذهب لها دور سلبى على الهرمونات الجنسية الذكرية. و عن كتاب أطلس الكون الذرى للدكتور أنيس الراوى، فإن جسم الإنسـان لا يحوى على الفضـة فى تركيبه بينما يحوى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۳۹ الـذهب و اليورانيوم و الحديد و أغلب العناصـر الأخرى، كما و أن الفضة و الذهب كأوان يتفاعلان مع مركبات الطعام لتكوين مركبات تتفاعل مع الأنزيمات البشـرية فتكون

مادة تؤذى صحة الجسم .. و هذا بالضبط ما اخبرنا به صلّى اللّه عليه و سلّم بقوله «الذهب و الحرير حرام على ذكور أمتى حل لإناثها» «۱»، و قد نهانا صلّى اللّه عليه و سلّم عن الشرب بآنية الذهب و الفضة و لبس الحرير و الديباج و قال «هى لهم فى الدنيا و لكم فى الآخرة» «۲»، كما و أن الفضة أرخص بكثير من الذهب و هى تلائم حالة الأمة الوسط التى ارادها اللّه لأمتنا. و هذا ما يثبت لنا مدى الفائدة العظيمة من تحريم الذهب على الرجال من أمة سيدنا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم بسببها و كم أن الإسلام يراعى الناس بكل أحوالهم، فما من تحريم لشىء إلا و جاء بسبب فائدة إما صحية أو اجتماعية أو نفسية أو غيرها. إذن، هنا اختصاص لحالة عامة إذ أن التحريم للذهب جاء للذكور لأسباب عدة منها صحية و منها نفسية و اجتماعية و غيرها و ليس تحقيرا لهم بل تكريما و فائدة، فنفس الكلام ينطبق على التفاصيل الشرعية فى حقوق المرأة و واجباتها. هذه الحقيقة تؤكد أن تكريم المرأة و علو شأنها فى الإسلام جاء لعظمة دورها فى المجتمع الإسلامى، و كما أن الذهب يتعب لاستحصاله فهو إما فى باطن الأرض أو عند الجواهرى فلا يستحصل إلا بمال كثير فكذلك المرأة المسلمة كنز لا يرى إلا لصاحبه و لا يستحصل إلا بتعب و ثمن غال و كل من يريد أن يغير هذه السنة الا و هى كرامة المرأة و سترها و حجابها و عدم ظهور زينتها إلا لزوجها و المحارم فقد ساهم فى تغيير سنة اللّه فى خلقه و تناغم مخلوقاته وَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيماً (۲۷)، (النساء: ۲۷)، و اللّه أعلم «۳». جاءت الآيات التى تؤكد على حقيقة قوامة الذكر على الأنثى كما يلى: ۱. فى المجال القضائى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى

(_____ ۱) أخرجه النسائى (الزينة ۵۱۴۴)، أبو داود (اللباس ۴۰۵۷) ابن ماجة (اللباس ۳۵۹۵). (۲) أخرجه البخارى (كتاب الأتربة- ۵۶۳۲) مسلم (اللباس و الزينة- ۲۰۶۷) و الترمذى و النسائى و أبو داود و ابن ماجة. (۳) المنظار الهندسى للقرآن الكريم، للمؤلف، ص (۵۷۲- ۵۸۲)، بتصرف. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۴۰ فَاكْتُبُوهُ وَ لْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَ لا يَأْبَ كاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَ لْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ وَ لْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَ لا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى وَ لا يَأْبَ الشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا وَ لا تَسْئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلى أَجَلِهِ ذلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ وَ أَدْنى أَلَّا تَرْتابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً تُدِيرُونَها بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَلَّا تَكْتُبُوها وَ أَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ وَ لا يُضَارَّ كاتِبٌ وَ لا شَهِيدٌ وَ إِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (۲۸۲)، (البقرة: ۲۸۲) .. يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِساءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثا ما تَرَكَ وَ إِنْ كانَتْ واحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَ لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَ وَرِثَهُ أَبَواهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِها أَوْ دَيْنٍ آباؤُكُمْ وَ أَبْناؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً (۱۱)، (النساء: ۱۱) .. فى هذه الآيات المباركات دلائل و استنباطات عديدة منها اقتصادية فى أهمية الاكتتاب و العقد و الشهود، و منها اجتماعية لغرض تثبيت الحقوق لكل الأطراف فى الميراث و العقود، و منها حقائق علمية فى أن حقل الذاكرة فى دماغ الرجل أكبر منه عند الأنثى لذلك يتم الاعتماد فى الشهادة على الرجال أكثر من النساء، و قد فصلنا فى هذا فى كتاب الجملة العصبية. ۲. فى المجال الفيزيائى و الجسمانى: فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُها أُنْثى وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى وَ إِنِّى سَمَّيْتُها مَرْيَمَ وَ إِنِّى أُعِيذُها بِكَ وَ ذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ (۳۶)، (آل عمران: ۳۶) .. الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ وَ بِما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ فَالصَّالِحاتُ قانِتاتٌ حافِظاتٌ لِلْغَيْبِ بِما حَفِظَ اللَّهُ وَ اللَّاتِى تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَ اهْجُرُوهُنَّ فِى الْمَضاجِعِ وَ اضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيًّا الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۴۱ كَبِيراً (۳۴)، (النساء: ۳۴) .. تبين الآيات أن الرجال أكثر قوة فى أمر العمل و المشاق الجسمانية من المرأة. و كان لهذا التفضيل السبب الرئيس الذى جعل للرجل القيومية على الأسرة.

معنى القوامة فى الإسلام:

معنى القوامة فى الإسلام: لكى نفهم المسألة علينا فهم الآية من خلال علوم القرآن الكريم من حيث الإعراب و سبب النزول و التفسير لغة و اصطلاحا و معنى. و ذلك من خلال مراجعتنا لما ذكرته المصادر التالية: ۱. التبيان فى إعراب القرآن (ج: ۱ ص: ۱۷۸): قوله تعالى قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ على متعلقة بقوامون و بما متعلقة به أيضا و لما كان الحرفان بمعنيين جاز تعلقهما بشىء واحد "فعلى "على هذا لها معنى غير معنى الباء و يجوز أن تكون الباء فى موضع الحال فتتعلق بمحذوف تقديره مستحقين بتفضيل اللّه إياهم و صاحب الحال الضمير فى قوامون و ما مصدرية فأما ما فى قوله و بما أنفقوا فيجوز أن تكون مصدرية فتتعلق من بأنفقوا و لا حذف فى الكلام و يجوز أن تكون بمعنى الذى و العائد محذوف أى و بالذى أنفقوه فعلى هذا يكون من أموالهم حالا- فالصالحات مبتدأ قانتات حافظات خبران عنه و قرئ فالصوالح قوانت حوافظ و هو جمع تكثير دل على الكثرة و جمع التصحيح لا يدل على الكثرة بوضعه و قد استعمل فيها كقوله تعالى وَ هُمْ فِي الْغُرُفاتِ آمِنُونَ بما حفظ اللّه فى ما ثلاثة أوجه بمعنى الذى و نكرة موصوفة و العائد محذوف على الوجهين و مصدرية و قرئ بما حفظ اللّه بنصب اسم اللّه و ما على هذه القراءة بمعنى الذى أو نكرة و المضاف محذوف و التقدير بما حفظ أمر اللّه أو دين اللّه و قال قوم هى مصدرية و التقدير حفظهن اللّه و هذا خطأ لأنه إذا كان كذلك خلا الفعل عن ضمير الفاعل لأن الفاعل هنا جمع المؤنث و ذلك يظهر ضميره فكان يجب أن يكون بما حفظهن اللّه و قد صوب هذا القول و جعل الفاعل فيه للجنس و هو مفرد مذكر فلا يظهر له ضمير و اللاتى تخافون مثل قوله و اللاتى يأتين الفاحشة و مثل و اللذان يأتيانها و قد ذكروا و اهجروهن فى المضاجع فى وجهين أحدهما هى ظرف للهجران أى اهجروهن فى مواضع الاضطجاع أى اتركوا مضاجعهن دون ترك مكالمتهن. ۲. العجاب فى بيان الأسباب (ج: ۲ ص: ۸۶۸- ۸۶۹): قوله تعالى (الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلى بَعْضٍ)، الآية. أخرج ابن أبى حاتم من الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۴۲ طريق أشعث بن عبد الملك عن الحسن قال جاءت امرأة إلى النبى تستعدى على زوجها أنه لطمها فقال رسول اللّه القصاص فأنزل اللّه تعالى الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ الآية فرجعت بغير قصاص و أخرجه عبد بن حميد و ابن المنذر من طريق حماد بن سلمة و أخرجه الواحدى من طريق هشام كلاهما عن يونس و أخرج ابن المنذر من طريق جرير بن حازم كلاهما عن الحسن أن رجلا لطم امرأته فخاصمته إلى النبى فجاء أهلها معها فذكر نحوه و فيه فجعل رسول اللّه يقول القصاص القصاص و لا يقضى قضاء فأنزل اللّه هذه الآية فقال النبى أرادوا أمرا و أراد اللّه غيره و نقل الثعلبى عن الكلبى قال نزلت فى سعد بن الربيع و امرأته عميرة بنت محمد بن مسلمة و ذكر نحو القصة الآتية عن مقاتل ... و نقل عن أبى روق أنها نزلت فى جميلة بنت عبد اللّه بن أبى و زوجها ثابت بن قيس بن شماس كانت نشزت عليه فلطمها فاستعدت عليه فنزلت قلت و قد تقدم ذكر هذه الأخيرة فى تفسير البقرة فى قوله تعالى فيما افتدت به و كان ذلك الخلع أول خلع فى الإسلام و قال مقاتل نزلت فى سعد بن الربيع كان من النقباء و امرأته حبيبة بنت زيد بن أبى زهير و هما من الأنصار و ذلك أنها نشزت عليه فلطمها فانطلق أبوها معها إلى رسول اللّه فقال أفرشته كريمتى فلطمها فقال لتقتص من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال النبى ارجعا هذا جبريل أتانى فأنزل اللّه تعالى الرجال قوامون على النساء الآية، فقال النبى أردنا أمرا و أراد اللّه أمرا و الذى أراد اللّه خير و رفع القصاص و قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة صك رجل امرأته فأتت النبى فأراد أن يقيدها منه فنزلت و أخرجه عبد بن حميد من رواية سعيد بن أبى عروبة عن قتادة بلغنا فذكر. ۳. لسان العرب (ج: ۱۲ ص: ۴۹۷، ۵۰۳- ۵۰۵): و القامة جمع قائم عن كراع قال ابن برى رحمه اللّه قد ترتجل العرب لفظة قام بين يدى الجمل فيصير كاللغو و معنى القيام العزم كقول العمانى الراجز للرشيد عند ما هم بأن يعهد إلى ابنه قاسم قل للإمام المقتدى بأمه ما قاسم دون مدى ابن أمه فقد رضيناه فقم فسمه أى فاعزم و نص عليه، و منه قوله تعالى وَ أَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ أى لما عزم و قوله تعالى إِذْ قامُوا فَقالُوا رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أى عزموا فقالوا قال و قد يجىء القيام بمعنى المحافظة و الإصلاح و منه قوله تعالى الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۴۳ النِّساءِ و قوله تعالى إِلَّا ما دُمْتَ عَلَيْهِ قائِماً أى ملازما محافظا و يجىء القيام بمعنى الوقوف و الثبات. يقال للماشى قف لى أى تحبس مكانك حتى آتيك و كذلك قم لى بمعنى قف لى

و عليه فسروا قوله سبحانه وَ إِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا قال أهل اللغة و التفسير قاموا هنا بمعنى وقفوا و ثبتوا فى مكانهم غير متقدمين و لا متأخرين و منه التوقف فى الأمر و هو الوقوف عنده من غير مجاوزة له و منه الحديث المؤمن وقاف متأن. و منه قامت الدابة إذا وقفت عن السير و قام عندهم الحق أى ثبت و لم يبرح و منه قولهم أقام بالمكان هو بمعنى الثبات. و يقال قام الماء إذا ثبت متحيرا لا يجد منفذا و إذا جمد أيضا، و قامت السوق إذا نفقت و نامت إذا كسدت و سوق قائمة نافقة و سوق نائمة كاسدة و قاومته قواما قمت معه صحت الواو فى قوام لصحتها فى قاوم و القومة ما بين الركعتين من القيام قال أبو الدقيش أصلى الغداة قومتين و المغرب ثلاث قومات و كذلك قال فى الصلاة. و قام الرجل على المرأة مانها و إنه لقوام عليها مائن لها و فى التنزيل العزيز الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ و ليس يراد هاهنا و اللّه أعلم القيام الذى هو المثول و التنصب و ضد القعود إنما هو من قولهم قمت بأمرك، فالرجال متكفلون بأمور النساء معنيون بشئونهن و كذلك قوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ أى إذا هممتم بالصلاة و توجهتم إليها بالعناية و كنتم غير متطهرين فافعلوا كذا. و أقام الصلاة إقامة و إقاما فإقامة على العوض و إقاما بغير عوض و فى التنزيل وَ أَقامَ الصَّلاةَ و من كلام العرب ما أدرى أ أذن أو أقام يعنون أنهم لم يعتدوا أذانه أذانا و لا إقامته إقامة لأنه لم يوف ذلك حقه فلما ونى فيه لم يثبت له شيئا منه إذ قالوها بأو و لو قالوها بأم لأثبتوا أحدهما لا محالة و قالوا قيم المسجد و قيم الحمام قال ثعلب قال ابن ماسويه ينبغى للرجل أن يكون فى الشتاء كقيم الحمام و أما الصيف فهو حمام و جمع قيم عند كراع قامة قال ابن سيده و عندى أن قامة إنما هو جمع قائم على ما يكثر فى هذا الضرب و الملة القيمة المعتدلة و الأمة القيمة كذلك و فى التنزيل وَ ذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ أى الأمة القيمة و قال أبو العباس و المبرد هاهنا مضمر أراد ذلك دين الملة القيمة فهو نعت مضمر محذوف و قال الفراء هذا مما أضيف إلى نفسه لاختلاف لفظيه قال الأزهرى و القول ما قالا و قيل الهاء فى القيمة للمبالغة و دين قيم كذلك و فى التنزيل الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۴۴ العزيز دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْراهِيمَ و قال اللحيانى و قد قرئ دينا قيما أى مستقيما قال أبو إسحاق القيم هو المستقيم و القيم مصدر كالصغر و الكبر إلا- أنه لم يقل قوم مثل قوله لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلًا لأن قيما من قولك قام قيما و قام كان فى الأصل قوم أو قوم فصار قام فاعتل قيم و أما حول فهو على أنه جار على غير فعل و قال الزجاج قيما مصدر كالصغر و الكبر و كذلك دين قويم و قوام و يقال رمح قويم و قوام قويم أى مستقيم، قال إلا أن القيم مصدر بمعنى الاستقامة ... و فى الحديث تسوية الصف من إقامة الصلاة أى من تمامها و كمالها قال فأما قوله قد قامت الصلاة فمعناه قام أهلها أو حان قيامهم و فى حديث عمر فى العين القائمة ثلث الدية هى الباقية فى موضعها صحيحة و إنما ذهب نظرها و إبصارها و فى حديث أبى الدرداء رب قائم مشكور له و نائم مغفور له أى رب متهجد يستغفر لأخيه النائم فيشكر له فعله و يغفر للنائم بدعائه و فلان أقوم كلاما من فلان أى أعدل كلاما و القوم الجماعة من الرجال و النساء جميعا و قيل هو للرجال خاصة دون النساء و يقوى ذلك قوله تعالى لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَ لا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ أى رجال من رجال و لا- نساء من نساء فلو كانت النساء من القوم لم يقل و لا نساء من نساء، و قوم كل رجل شيعته و عشيرته و روى عن أبى العباس النفر و القوم و الرهط هؤلاء معناهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم للرجال دون النساء و فى الحديث إن نسانى الشيطان شيئا من صلاتى فليسبح القوم و ليصفق النساء قال ابن الأثير القوم فى الأصل مصدر قام ثم غلب على الرجال دون النساء و لذلك قابلهن به و سموا بذلك لأنهم قوامون على النساء بالأمور التى ليس للنساء أن يقمن بها الجوهرى القوم الرجال دون النساء لا- واحد له من لفظه قال و ربما دخل النساء فيه على سبيل التبع لأن قوم كل نبى رجال و نساء و القوم يذكر و يؤنث لأن أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها إذا كانت للآدميين تذكر و تؤنث مثل رهط و نفر و قوم قال تعالى وَ كَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ فذكر و قال تعالى كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (۱۰۵) فأنث قال فإن صغرت لم تدخل فيها الهاء و قلت قويم و رهيط و نفير و إنما يلحق التأنيث فعله و يدخل الهاء فيما يكون لغير الآدميين مثل الإبل و الغنم لأن التأنيث لازم له و أما جمع التكسير مثل جمال و مساجد و إن ذكر و أنث فإنما تريد الجمع إذا ذكرت الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۴۵ و تريد الجماعة إذا أنثت ابن سيده و قوله تعالى كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (۱۰۵) إنما أنث على معنى كذبت جماعة قوم نوح و قال المرسلين و إن كانوا كذبوا نوحا وحده لأن من

کذب رسولا واحدا من رسل اللّه فقد کذب الجماعة و خالفها لأن کل رسول یأمر بتصدیق جمیع الرسل و جائز أن یکون کذبت جماعة الرسل و حکی ثعلب أن العرب تقول یا أیها القوم کفوا عنا و کف عنا علی اللفظ و علی المعنی و قال مرة المخاطب واحد و المعنی الجمع و الجمع أقوام و أقاوم و أقایم کلاهما علی الحذف قال أبو صخر الهذلی أنشده یعقوب: فإن یعذر القلب العشیة فی الصبا فؤادک لا- یعذرک فیه الأقاوم و یروی الأقایم و عنی بالقلب العقل و أنشد ابن بری لخزر بن لوذان: من مبلغ عمرو بن لأ ی حیث کان من الأقاوم و قوله تعالی فَقَدْ وَکَّلْنا بِها قَوْماً لَیْسُوا بِها بِکافِرِینَ قال الزجاج قیل عنی بالقوم هنا الأنبیاء علیهم السلام الذین جری ذکرهم، آمنوا بما أتی به النبی صلّی اللّه علیه و سلّم فی وقت مبعثهم و قیل عنی به من آمن من أصحاب النبی و أتباعه و قیل یعنی به الملائکة فجعل القوم من الملائکة. ۴. تفسیر البیضاوی (ج: ۲ ص: ۱۸۴): الرجال قوامون علی النساء یقومون علیهن قیام الولاة علی الرعیة و علل ذلک بأمرین وهبی و کسبی فقال بما فضل اللّه بعضهم علی بعض بسبب تفضیله تعالی الرجال علی النساء بکمال العقل و حسن التدبیر و مزید القوة فی الأعمال و الطاعات و لذلک خصوا بالنبوة و الإمامة و الولایة و إقامة الشعائر و الشهادة فی مجامع القضایا و وجوب الجهاد و الجمعة و نحوها و التعصیب و زیادة السهم فی المیراث و الاستبداد بالفراق و بما أنفقوا من أموالهم فی نکاحهن کالمهر و النفقة. إذن یفهم من معنی القوامة من کل ما سبق أنها تعنی الاهتمام، العنایة، الرعایة، توفیر الأمن و السکن و الطعام و الملبس و کل شئون الحیاة، تقدیم المشورة و النصح. و کل تلک المعانی تتطلب الخلق الحسن و حسن المعاملة و العشرة و الإحسان و الصبر علی المرأة إن حصل منها تقصیر فی شئون معینة بل و حتی فی شئون الطاعة لقوله تعالی: وَ أْمُرْ أَهْلَکَ بِالصَّلاةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَیْها لا نَسْئَلُکَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُکَ وَ الْعاقِبَةُ لِلتَّقْوی (۱۳۲)، الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۴۶ (طه: ۱۳۲). و یتبین من مراجعة المصادر أعلاه أن من ضمن أسباب التنزیل للآیة أن رجلا قد ضرب امرأته فجاءت تشتکی إلی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم لأنها تعرف أنه صلّی اللّه علیه و سلّم سیأخذ لها الحق، و قد همّ بأخذ القصاص لها لو لا- أن جبریل علیه السّلام، جاء بالأمر الإلهی أن الرجال أحق بالقوامة. و لا یظن البعض هنا أن الرجال من حقهم ضرب المرأة لأی سبب، و إنما جاءت الآیة لتعطی معنی أنه فی حالة استخدام الضرب کحل أخیر بعد انتهاء کل الأسالیب الأخری یکون تأدیبیا و ألا یکون مبرحا و یتجنب الوجه کما جاء فی الأحادیث، و لکی یعطی قناعة أنه فی حالة الحصول لا یفترض القصاص المقابل من قبل المرأة للرجل بضربه لأنه لو شرع ذلک فلک أن تتخیل أن المرأة تضرب زوجها، فهل تبقی بعد ذلک قیمة للزوج کقیّم علیها واجب الاحترام. و بالمقابل علی الزوج أن یتجنب الضرب و الإهانة و یستخدم الحجة و یتحلی بالصبر. القوامة التی عنتها الآیة الکریمة لا تکون للرجل بوصفه ذکرا علی المرأة بوصفها أنثی لقوة جسمه و تحمله المشاق حسب، و لکن یکون له بما یکتسبه من أخلاق، و یمارسه من أدوار علی المرأة بما تکتسبه من أدوار و أخلاق، فقد خلق اللّه تعالی الذکر و فیه استعداد فطری لکی یکون رجلا مسئولا و راعیا کما خلق المرأة و لها استعداد فطری لتکون حانیة راعیة مهتمة بشئون أولادها و زوجها. و اکتساب القوامة للرجل لغة بقیامه علی شئون الأسرة بکافة احتیاجاتها کالأمن و العیش و غیره. و علی هذا الأساس تفهم القوامة من فهم المسئولیة و الرعایة و الإدارة و الإشراف التی أرشد لها الحدیث (کلکم راع)، و لیس التحکم و السیطرة. فالقوامة إمارة لا من باب الولایة السیاسیة و السلطة الاستبدادیة، من باب (تفضل علی من شئت تکن أمیره)، دون من أو تطاول «۱».

الحقائق العلمیة بنفی المساواة المطلقة:

الحقائق العلمیة بنفی المساواة المطلقة: تری هل تم إثبات حقیقة وجود الفروق بین الجنسین، و هل أن قوامة الرجل حقیقة، و هل أن کذبة مساواة الجنسین حققت علمیا و تشخیصیا من قبل أهل الاختصاصات الطبیة و النفسیة و الاجتماعیة و القانونیة؟!. إذا ما تم ذلک هل یبقی لدعاة کذبة المساواة و مؤتمراتهم العالمیة و الإقلیمیة و المحلیة من معنی؟! ... سوف نناقش

(_____ ۱) مجلة الأسرة السعودیة، العدد

۱۲۴، رجب ۱۴۲۴ ه، ص (۲۲- ۳۶)، بتصرف. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۴۷ المسألة من الناحیة العلمیة المجردة دون عواطف و أحکام مسبقة، و نعود لجذورها لنحللها علمیا و نستبین الحقائق، کی یتبین الحق و أهله و الباطل و أهله، و عندئذ کل نفس بما کسبت رهینة .. و سنری: بعد دعوی تحرر المرأة فی بریطانیا و بقیة أوربا فی بدایات القرن المیلادی العشرین، شهد الغرب فی الستینات المیلادیة من القرن نفسه نموا و فورانا ملحوظا لحرکة اللیبرالیة و الفوضویة و المارکسیة التی وصلت أفکارها إلی حد التناقض فیما یتعلق بالطروحات السیاسیة و الاقتصادیة، لکن القاسم المشترک بینها کان ما یسمی بالمساواة بین المرأة و الرجل و تحریر المرأة من قیودها، حیث ظهرت الحرکات النسویة المعروفة بال (فیمنزم) التی راحت تدفع بالمرأة فی کل مجالات الحیاة معتبرة ذلک إنجازا و تقدما یصب فی کفة المرأة. و من ضمن الأفکار التی رفعوا لواءها (نظریة النوع أو جندر)، و مفادها أن الرجل لیس رجلا لأن اللّه خلقه کذلک، و لا المرأة امرأة لأن اللّه خلقها کذلک، و أن الحالة التی تبدو لنا طبیعیة لیست کذلک و أن الصفات المیزة لکل نوع حتی النفسیة منها لیست کذلک، و علیه فإن العلاقة القائمة بین الرجل و المرأة فی الحیاة الزوجیة مرفوضة، لأنها تجعل من المرأة الجانب المظلوم .. و أن الأسرة کرست نظام الظلم علی المرأة لأنها لا- تملک حریة نفسها فی اختیار من ترید لنفسها، فقد ظلمها الرجل- علی حد تعبیر الفلسفة المارکسیة- بفرض رجل واحد فی حیاتها و هو الزوج بغرض معرفة نسب الولد. فلا بد إذن من الثورة علی الأسرة کنمط اجتماعی کرّس لظلم المرأة و وأد دورها الاجتماعی و الطبیعی لتخرج إلی نطاق الشواذ باسم الحریة و المساواة و ضرورة إزالة الملکیة الخاصة حتی لا یتحکم الرجل فی المرأة بماله .. لذلک تطالب (النوعیات) بتطهیر التلفاز من کل أنماط الصور المعهودة حتی ینمو الأطفال معتادین علی الصور الجدیدة غیر المقیدة بإطار جنسی معین، و أنه لا بد من صیاغة و تحدید العلاقات بتغییر کلمة (زوج) إلی کلمة (شریک). و لهذا رکزت الحرکة النسویة فی حدیثها عن تلک الحقبة علی موضوع المساواة و نسب الأولاد و الوراثة کحقوق اغتصبها الرجل من المرأة و استقوی بها علیها. و قد هیمنت (النوعیات) علی برامج المرأة فی أغلب الجامعات الأمریکیة، ففی مادة بعنوان (إعادة صیاغة صور النوع- الجندر-) تشرح المادة الموزعة علی الطالبات و الطلاب فکرة الأمومة المکتسبة و تحث علی حق الإجهاض من منطلق أن زواج المرأة الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۴۸ بالرجل ظلم و نکاحه لها اغتصاب، کما تشرح المادة أن الذکورة و الأنوثة لا تعنی شیئا فهی مجرد نمط اجتماعی یحدده الدور الاجتماعی، و ترکز المادة علی فکرة التخلص من النوع الذی یعتبره مفتاح التخلص من النظام الأبوی و ظلم الرجل. هذه الرؤیة المتطرفة التی صیغت بهذا الشکل المضحک هزمت أمام سیل الأبحاث و الدراسات العلمیة فی مجالات شتی، منها نفسی و منها اجتماعی و منها طبی، و التی أکدت حقیقة الاختلاف بین المرأة و الرجل، و من ثم ضرورة اختلاف الوظائف و الأدوار الاجتماعیة بینهما. سنستعرض لکم أدناه بعض هذه الأبحاث و ما توصلت إلیه من شهادات تنطق بالحق و الدلیل المادی الملموس و التی هی شهادات من أهلها: ۱. یقول الدکتور إبراهیم الفقی- اختصاصی تنمیة بشریة/ النفس و الذهن و صاحب الکتب و المؤلفات و البحوث المعروفة عالمیا- أن العلم الحدیث و المراقبة الترددیة للدماغ البشری أثبتا بالیقین أن أسلوب تفکیر الجنسین مختلف بشکل کبیر بل و جذری، فالرجل یمتاز بأسلوب تسلسلی للتفکیر (yaW laicnaqeS)، أما أسلوب تفکیر المرأة فهو أسلوب حلزونی (۲ .(yaW laripS. بینت البحوث النفسیة أن معدل الإصابة بمرض الکآبة عند النساء أکثر بثلاثة أضعاف ما هی عند الرجال. ۳. یقول الباحث الطبیعی الروسی (أنطون نمیلاف) فی کتابه الذی أثبت فیه عدم المساواة الفطریة بینهما بتجارب العلوم الطبیعیة و مشاهدات توثیقیة: (ینبغی أن لا نخدع أنفسنا بزعم أن إقامة المساواة بین الرجل و المرأة فی الحیاة العملیة أمر هین میسور، الحق أنه لم یجتهد أحد فی الدنیا لتحقیق هذه المساواة بین الصنفین مثل ما اجتهدنا فی روسیا السوفییتیة، و لم یوضع فی العالم من القوانین فی هذا الباب مثل ما وضع عندنا، و لکن الحق أن منزلة المرأة قلّما تبدلت فی الأسرة، لا فی الأسرة حسب بل قلّما تبدلت فی المجتمع أیضا) .. و یقول فی مکان آخر: (لا یزال تصور عدم مساواة الرجل و المرأة ذلک التصور العمیق راسخا لیس فی قلوب الطبقات ذات المستوی الذهنی البسیط فحسب، و إنما فی قلوب الطبقات السوفییتیة العلیا أیضا) .. و یقول عن الفوضی الجنسیة التی أحدثتها محاولات تطبیق المساواة: (الحق أن جمیع العمال قد بدت فیهم

أعراض الفوضى الجنسية، و هذه حالة جد الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۴۹ خطرة تهدد النظام الاشتراكى بالدمار، فيجب أن نحاربها بكل ما أمكن من الطرق، لأن المحاربة فى هذه الجبهة ذات مشاكل و صعوبات. ولى أن أدلكم على آلاف من الأحداث يعلم منها أن الإباحية الجنسية قد سرت عدواها ليس فى الجهال الأغرار حسب، بل فى الأفراد المثقفين من طبقة العمال). ۴. يقول الدكتور (أليكسس كاريل) الحائز على جائزة نوبل: (يجب أن يبذل المربون اهتماما شديدا للخصائص العضوية و العقلية فى الذكر و الأنثى، كذا لوظائفها الطبيعية. هناك اختلافات لا تنقص بين الجنسين و لذلك فلا مناص من أن نحسب حساب هذه الاختلافات فى إنشاء عالم متمدن. ۵. الدراسات و الأبحاث التى أكدت وجود الفروق السلوكية و البيولوجية بين الرجال و النساء دفعت عددا من التربويين إلى الاستفادة من هذه الحقيقة فى مجال التعليم، و من هنا ولدت فكرة مدارس الجنس الواحد فى أمريكا و أوربا فى سابقة يستغربها الكثيرون و يراها البعض طبيعية. فقد أعلنت إدارة الرئيس الأمريكى جورج بوش عن عزمها تشجيع مبدأ عدم الاختلاط بين البنين و البنات فى المدارس العامة، و ذلك فى عودة لقانون كان سائدا قبل ۳۰ عاما. و قد صدر إعلان عن هذا المشروع فى السجل الفيدرالى و هو الصحيفة الرسمية الأمريكية بتاريخ ۸/ ۵/ ۲۰۰۲ م، و جاء فى بعض فقراته: (أن وزير التربية ينوى اقتراح تعديلات للتنظيمات المطبقة حاليا تهدف إلى توفير هامش مبادرة أوسع للمربين من أجل إقامة مدارس غير مختلطة، و إن الهدف من هذا الإجراء هو توفير وسائل جديدة لمساعدة التلاميذ على التركيز فى الدراسة و تحقيق نتائج أفضل). و قد أثار القرار نقد البعض و استحسان الآخرين. على إثر ذلك أكد البروفيسور أميليوفيانو أن العديد من الدراسات التى أجريت على تلاميذ و تلميذات أظهرت أنه فى بعض مراحل نموهم يرتفع مستوى التحصيل الدراسى لديهم فى حالة الفصل بين الجنسين أثناء الدراسة. و أضاف (إن بعض الفتيات يشعرن بالميل إلى بعض الفتيان، الأمر الذى يحرمهن من تطوير حياتهن الاجتماعية و العلمية فضلا عن التحصيل الدراسى، و كذلك الحال بالنسبة للتلاميذ الذين يفضلون الانفصال عن الفتيات حتى لا يتحتم عليهم الالتزام ببعض اللباقات و التصرفات التمثيلية التى تؤدى فى حالة حضور الفتيات. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۵۰ ۶. أيدت الجمعية الوطنية لتشجيع التعليم غير المختلط هذه التوجهات و عرضت دراسة أجرتها جامعة ميتشيغان فى بعض المدارس الكاثوليكية الخاصة المختلطة و غير المختلطة تفيد أن الطلاب فى المدارس غير المختلطة كانوا أفضل فى مستوى القراءة و الكتابة و الرياضيات .. كما صدرت شهادة أخرى بنفس الاتجاه عن الوكالة التربوية الوطنية الأمريكية أفادت نتائج بياناتها الاحصائية بأن الفتيات الأمريكيات فى الفصول المختلطة أكثر عرضة للقلق و الاكتئاب و الانتحار .. و فى دراسة لمجلة نيوزويك الأمريكية ذكرت بالأرقام و الإحصائيات أن الدراسات فى الكليات النسائية غير المختلطة هن الأكثر تفوقا و نجاحا فى حياتهن الدراسية و المهنية بعد التخرج .. كل تلك الإعلانات تأتى لتهدم الصرح الكبير الذى بنى ليحتضن النظرية القائلة بوجوب المساواة و الاختلاط و الشذوذ. ۷. و فى بريطانيا أكدت بحوث نشرت فى العديد من الدوريات أن المدارس التى حققت تفوقا دراسيا فى طلبتها هى تلك المدارس التى لا يوجد فيها اختلاط بين الجنسين، فقد حققت ۱۵ مدرسة للذكور و ۱۴ خاصة بالإناث التفوق فى شهادة (LEVEL- A) .. هذه النتائج جعلت مجلس إدارة مدرسة (شين فيلد) الثانوية فى منطقة برنت و ود تقرر فصل الطلاب عن الطالبات، و قال المدير الدكتور أوزبورن (قد يبدو القرار عودة إلى الماضى، و لكنه اتخذ لمصلحة الطلبة و مستقبلهم من الجنسين، فقد اكتشفنا أن الطالبات فى التعليم المختلط يضيعن جزءا كبيرا من أوقاتهن فى الاهتمام بالمظاهر و المكياج و أنهن مع وجود الطلاب الذكور يفقدن زمام السيطرة و لا يعرفن الهدف) .. و تؤكد الإحصاءات أنه عند ما يدرس الطلبة من كل جنس بعيدا عن الجنس الآخر فإن التفوق العلمى يتحقق، ففى وسط التعليم المختلط أخفقت البنات فى تحقيق التفوق فى مجال الرياضيات و العلوم و الفيزياء و التكنلوجيا و الكومبيوتر، و قد أيدت الإدارة التعليمية فى منطقة نيوهام هذه الحقائق فى دراسة تحليلية. ۸. إليزابيث فليجورى- رئيسة رابطة مدارس البنات الخاصة- لم تؤكد هذه الإحصاءات حسب، بل أكدت أيضا أنه مع التوسع فى استخدام التكنلوجيا فى العملية التعليمية تزايد معدل التفوق لدى البنات فى المدارس غير المختلطة، و أن الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۵۱ نسبة النجاح بينهن ارتفعت فى الشهادات العامة إلى ۹۳٪ و نسبة التفوق بامتياز إلى ۵۰٪. و قالت فليجورى (فى محيط نسائى خالص بعيد عن الضغوط النفسية و

الاجتماعیة و تأثیر الجنس الآخر، استطاعت البنات من أن یؤکدن تفوقهن و قدرتهن علی استیعاب المعلومات و استخدامها و تحلیلها و اتخاذ القرارات فیها) ... و لعل شهادة شیرلی ولیامز الأستاذة فی جامعة هارفارد و التی أمضت حیاتها الدراسیة فی مدارس غیر مختلطة حتی حصلت علی شهادة (LEVEL- A) ثم التحقت بکلیة سرفیل- غیر المختلطة أیضا- بجامعة أوکسفورد، توضح الکثیر من تمیز التعلیم غیر المختلط، فتقول (فی هذا الجو الخالی من الضغوط التی یسببها وجود الرجال، یکون عطاء البنات عالیا و إیجابیا و مثیرا یؤکد قدرتهن علی الإبداع و التفوق و العطاء، کما أن وجودهن لوحدهن دون الرجال یزرع فی أنفسهن الثقة العالیة و الصداقة الحمیمة البعیدة عن الأغراض و الشبهات). ۹. أعد عالم الاجتماع الأمریکی روس ستولز نبیرج دراسة لجامعة شیکاغو تحت عنوان (لما ذا تشکل الزوجة العاملة خطرا علی زوجها؟)، قال فیه (إن السبب الرئیسی فی ذلک هو أن الأزواج و الزوجات ما زالوا یؤدون أدوارا مختلفة فی الزواج، و لیس هناک مساواة بینهما فی هذا، و أن مهمة الحفاظ علی سلامة العائلة و صحتها تبقی ضمن مسئولیات الزوجة، فالنساء یتدربن منذ الطفولة علی التعامل مع المشاکل الطبیة و نشر الوعی الصحی بین أفراد الأسرة و یلممن بالأعراض المرضیة. کما و أنهن المسئولات عن الحیاة الاجتماعیة) ... و حذر فلاسفة غربیون من مغبة المساواة المطلقة غیر المنضبطة بین الرجال و النساء، فقد انتقد الدکتور الیکسس کاریل فی کتابه (الإنسان ذلک المجهول) الحضارة المادیة الغربیة و ما جنته من تحلل و انهیار للأسر و المجتمعات، و أعزی ذلک للمساواة بین الجنسین رغم وضوح الفروق العضویة و الجسدیة و الفیزیائیة و النفسیة بینهما. ۱۰. تشیر عدة إحصائیات فی دول متقدمة أن ۷۰٪ من النساء یفضلن البقاء فی البیت و عدم العمل إذا ما توفرت لهن القدرة المالیة للعیش بسبب الضغوط الشدیدة التی تتعرض لها المرأة فی العمل و الذی لا یتناسب مع قابلیة تحملها، مما یزید فی تعرضها لتدهور فی الصحة أو الحالة النفسیة. و قد کشفت نتائج فی الولایات المتحدة الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۵۲ أن المرأة استطاعت أن تقلص الهوة بینها و بین الرجل فی مجالات علمیة مختلفة و لکنها تفوقت علیه فی مجال الاکتئاب و التدخین و الانتحار و المخدرات و الکحول. ۱۱. یشیر الدکتور محمد رشید العوید ردا علی الداعین للمساواة و المتقولین بأن الفروق إنما جاءت بسبب البیئة المحیطة و العادات التی نشئا وسطها و التربیة التی تلقیاها فی الصغر بقوله (الدراسة و البحث و العلم أثبتت أن الفروق بین الجنسین فروق عضویة موروثة و لیست مکتسبة و من ثم فإن محاولة المساواة بینهما محاولة فاشلة مناقضة لطبیعة کل منهما. لقد قام فریق بحثی بتشکیل معسکر ضم عددا من الأطفال من الجنسین أشرف علی تربیتهم مربون یتبدلون کل فترة زمنیة معینة، و قد حذفت کلمة رجل و امرأة فی المعسکر و تم تجنب کل إشارة أو عمل أو سلوک فیه تفریق بین الجنسین من الأطفال الذین ترعرعوا أحرارا من کل قید أو صفة یطلقها علیهم المجتمع حتی أنهم ترکوهم یمارسون جمیع الأعمال دون الأخذ بنوع العمل إذا کان یخص الرجل أو المرأة .. و حین کبر سکان المعسکر و خرجوا للمجتمع آثرت المرأة القیام بدور الأم و ربة البیت، و آثر الرجل القیام بدوره فی تأمین دخل الأسرة و العمل الشاق و مارس الحیاة بشکل عادی جدا دون تأثیر محسوس لذلک المعسکر و ما بذل فیه من جهود و أموال و أمور أخری لمحو الفروق بین الجنسین، فثبت بذلک أن نمط الحیاة التی یختارها کل من الجنسین لنفسه تخضع لتحکم طبیعة الجنس و تکوینه العضوی). ۱۲. لقد بینت البحوث أن البنات یولدن بدهون أکثر و أنهن یسبقن الذکور فی الحصیلة اللغویة. یستطیع الطفل بعد العام الأول من عمره تمییز جنس الأطفال- ذکر أو أنثی- بغض النظر عما یرتدونه، کما تتمیز لعب کل جنس عن الآخر فی هذه السن، و فی سن الروضة یصبح لدیه فکرة واضحة عن الفارق بین الولد و البنت بل و یتصرف کل جنس بشکل یختلف عن الآخر. تقول الدکتورة میریام ستوبارد الاستشاریة النفسیة (تفرض الضغوط الاجتماعیة علی الأطفال منذ ولادتهم اتباع النموذج الخاص بکل جنس، و تحدد الأسرة ممیزات شخصیة کل منهما، و تأتی المدرسة و دور الحضانة بمن فیها من مدرسین و أصدقاء لصیاغة هویة کل من الجنسین أیضا). الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۵۳ ۱۳. من الناحیة الاجتماعیة و مجال النمو الجسمانی و اکتساب المهارات: تقول الدکتورة ستوبارد (یتمیز الأطفال بعضهم عن بعض سواء أ کانوا أناثا أم ذکورا، و یؤثر الأهل فی معدل سرعة التطور لاکتساب المهارات لدی الجنسین. فمن ناحیة النمو الجسمانی نری الإناث أسرع فی معدل نموهن فهن یسبقن الذکور فی النضوج فی مرحلة المراهقة، و یبدو نموهن أکثر انتظاما و

سرعة إلى أن يبلغ الصبى سن البلوغ فينضج و يصبح أكثر قوة و سرعة فتقوى لديه العضلات و العظام، و يصبح أقل سمنة و تنمو عضلة القلب و الرئتين لتستوعب أكبر قدر ممكن من الأوكسجين الذى يحتاجه الدم لتغذية العضلات و العظام. و تكون الإناث فى مرحلة ما قبل المدرسة أكثر رشاقة و مقدرة على القفز و الوثب و فى الحركات الإيقاعية و التوازن، بينما يصبح الذكر فى وقت لاحق أفضل فى تلك النشاطات التى تحتاج إلى الركض و القفز ... أما فى النمو اللغوى نجد الإناث أسرع من الذكور فى اكتساب المهارات الكلامية و يستطعن صياغة جمل أطول و تركيب أحاديث إنشائية و تلازم هذه الميزة الإناث فى حياتهن المستقبلية، كما يبدو أنهن يستطعن الكتابة و القراءة أسرع و تبدو قواعدهن اللغوية و نطقهن أفضل). و تضيف ستوبارد: (و يظهر أن الإناث و حتى سن البلوغ أفضل بقليل من الذكور فى الرياضيات و لكن الذكور يظهرون مهارات أفضل أثناء سن المراهقة و لا سيما فى الهندسة الفراغية و هم يستوعبون العلاقات الرياضية و الأبعاد الهندسية، و هذا التميز يبقى واضحا و مستمرا فى سن ما بعد المراهقة) .. و تضيف الدكتورة ستوبارد (يكون الذكور عادة أكثر عدائية و سيطرة من الإناث، كما يظهر الذكر ميلا إلى التنافس و الطموح، و مما لا شك فيه أن الإناث أكثر اجتماعية و يقمن علاقات صداقة متينة و تغلب عليهن صفة المسايرة، و يكن لينات العريكة). و تنصح ستوبارد الوالدين بضرورة مراعاة الاختلافات الفطرية بين الجنسين لتقويم نقاط الضعف لدى كل منهما كتوفير الكتب و المستلزمات الأخرى التى تعين كل جنس على معالجة نقاط ضعفه عن الجنس الآخر، و عدم ذكر تلك العيوب أمامهما. و تذكر الأبحاث أن البنات أكثر اتساقا و مرونة من الأولاد و أقل ميلا للنوم و أكثر استعدادا لتهدئة النفس، بينما الأولاد أكثر حركة و ميلا للقوة. ۱۴. من النواحى السلوكية و التطورات و التقلبات فى العلاقات الاجتماعية: الدكتور حامد الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۵۴ زهران أستاذ الصحة النفسية بجامعة عين شمس فيتحدث عن الفروق بين الجنسين من ناحية النمو الاجتماعى قائلا- (يتعلم كل جنس المعايير و القيم و الاتجاهات المرتبطة بجنسه مما يؤدى إلى اختلاف الذكور عن الإناث فى بعض أنماط السلوك. و يرى بعض الآباء أن بعض سمات السلوك الاجتماعى تليق. بالذكور كالشجاعة و القوة الجسمانية و التحكم فى الرياضة البدنية و الميل إلى التنافس و الاستقلال. بينما هناك أنماطا سلوكية تجتذب الإناث حصرا كالوقار الاجتماعى و النظام و الدقة. و فى مرحلة الطفولة الوسطى، نجد أن الإناث يسبقن الذكور دراسيا و يتفوقن عليهم، و رجع ذلك إلى أن نموهن أسرع عن أقرانهن الذكور خلال تلك السنوات، و لأنهن يقضين أوقاتا أطول فى البيت مع الكبار. و الذكور يتجهون ليصبحوا أكثر خشونة و استقلالا و منافسة من الإناث اللاتى يتجهن إلى أن يصبحن أكثر أدبا ورقة و رأفة و تعاونا من الذكور. و يشير الدكتور زهران إلى التنميط الجنسى أى تبنى الأدوار و اكتساب صفات الذكورة بالنسبة للذكور و الأنوثة بالنسبة للإناث، و يتضمن التنميط الجنسى اكتساب المعايير السلوكية و الميول و الاهتمامات و نوع الألعاب و النشاط العام. فنجد الذكور يهتمون بالنشاط التنافسى و الألعاب الخشنة كالدراجات و المصارعة و الفنون القتالية و كرة القدم و غيرها، بينما الإناث يهتمون بالنشاطات الرقيقة كالطبخ و الحياكة و الخياطة و أعمال المنزل. فالجنسين إذن يختلفون بحكم الوراثة و البيئة العضوية و وظائف الأعضاء، و مع النمو يتميز الجنسان اجتماعيا من حيث الملابس و المعايير السلوكية و خصائص الشخصية. و فى نهاية مرحلة الطفولة يبتعد كل جنس عن الآخر، و يظل هكذا حتى المراهقة، و تكون الاتصالات الاجتماعية بين الجنسين مشوبة بالفظاظة و نقص الاستجابة و المضايقات و الخجل و الانسحاب) .. و هنا تجدر الإشارة للحكمة الإسلامية فى تشريع هذه النقطة، فالمتأمل للتشريع الإسلامى المتعلق بحضانة الصغار يلمس إدراكا عبقريا للفروق بين الاحتياجات التربوية للذكر عن تلك التى للأنثى، فى عالم الطفولة. و فى ذلك تقول الدكتورة كوثر محمد المنياوى (تنتهى حضانة النساء للصبى فى الإسلام بانتهاء المدة التى يحتاج فيها للنساء، و ذلك بأن يأكل و يشرب و يلبس وحده ثم يكون مع أبيه حتى يبلغ سن الرشد فيستقل حينئذ بنفسه. بينما الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۵۵ حضانة البنت تنتهى إذا بلغت البلوغ الطبيعى للنساء. و إذا كانت الأم مطلقة لا يحق لها الاحتفاظ بالولد بل يجب تسليمه للأب الذى يوفر له سبل الحياة و التعود على حياة الرجولة و التخلق بأخلاق الرجال و اكتساب الخبرة و المعرفة و تحصيل الفضائل و غير ذلك، و لو ترك لأمه فلن تستطيع مواجهته أو منعه من فعل أمور قد توقعه فى التهلكة بعد أن يكبر لا لعيب فيها بل لعدم قدرتها على

منعه إذا تطلب الأمر استخدام الحزم، أما البنت فلا بأس فی ترکها للأم لأنها تستطیع تفهم مشاعرها و تقلبات السلوک الحاصل لها خلال نموها فیمکنها معالجة المسألة بحکمة). ۱۵. من الناحیة الطبیة و علم وظائف الأعضاء: لقد ثبت علمیا أن المرأة أقدر من الرجل بما لا یقاس علی الصمود فی وجه الأمراض، و المؤکد علمیا أنها متفوقة تفوقا عضویا واضحا علی الرجل. هذا التفوق یسمیه العلماء (الانتقاء الطبیعی)، أی أن اللّه تعالی کما زود الرجل بقوة جسمانیة فیزیائیة فی عضلاته فإنه زود المرأة بجهاز خلقی و قابلیة یضمن لها الصمود أمام الإرهاق المفرط و مقاومة و تحمل الأمراض المختلفة و آلامها أکثر من الرجل. یفسر الدکتور محمد رشید العوید ذلک بأن الخالق العلیم جل شأنه قد میز الأنثی بهذه القدرة لأنه تعالی أسند إلیها مهمات عضویة مرهقة لم یسند مثلها للذکور مثل الحمل و الولادة و ما یسبق ذلک و ما یلیه من حمل و نفاس ناهیک عن التغیرات الهرمونیة و العضویة، هذا فضلا عن الحیض و آلامه التی شرحناها فی کتاب سابق. و یضیف البروفیسور الألمانی المعروف فی جامعة برلین رودولف باوماشن (إن المرأة قادرة علی تحمل الإرهاق و الصدمات النفسیة أکثر من الرجل)، و أضاف استنادا لنتائج سلسلة من التجارب الطبیة و العلمیة أن جسم المرأة یتفاعل بسرعة عنیفة و سریعة مع حالات الإرهاق النفسی و یفرز کمیات کبیرة من هرمونات الإرهاق کمادة الأدرینالین و النورادنالین و أسیدات دهنیة متحرکة، إلا أن هذه الهرمونات تتقلص بسرعة کبیرة لدی المرأة بعد الإرهاق و الانفعال النفسی. و استخلص البروفیسور من هذه التجارب أن المرأة تنفعل بصورة أسرع من الرجل إلا أنها تهدأ بالسرعة نفسها. و خلافا لذلک فإن جسم الرجل یفرز هذه الهرمونات الناتجة عن الإرهاق بشکل بطیء مما یجعلها تستقر لمدة أطول فی الدورة الدمویة، الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۵۶ فالإرهاق أثره أطول فی الرجال مقارنة بالنساء. کذلک فإن للنساء عاطفة جیاشة و حس مرهف ورقة فی المشاعر بشکل أکبر من الرجل لأن تعاملها مع الأطفال بشکل مباشر یتطلب ذلک. لأجل ذلک جهز اللّه تعالی النساء بکل تلک الإمکانات و لم یزودها للرجال لأن لکل واحد منهما مهام تختلف عن الآخر و أحدهما یکمل الآخر و لا یتضاد أو یتقاطع معه لبناء أسرة أساسها المودة و الرحمة لبناء المجتمع الفاضل الراقی وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَکُمْ مِنْ أَنْفُسِکُمْ أَزْواجاً لِتَسْکُنُوا إِلَیْها وَ جَعَلَ بَیْنَکُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ (۲۱)، (الروم: ۲۱). و لأجل ذلک أیضا نبه تعالی عن تلک الآلام التی تعانیها المرأة عند الحمل و الوضع و غیره و التی أثبت علمیا أنها أقوی أنواع الآلام من بین کل أنواع آلام الأمراض الأخری التی تحصل للبشر فی کتابه الکریم و سماه (و هنا) بل و شدّد فقال (وهنا علی وهن)، و فی الآیة الأخری بلفظ (کرها) و هذا کله تبیانا لشدة التعبیر عن الألم و معاناته، بقوله سبحانه و تعالی وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلی وَهْنٍ وَ فِصالُهُ فِی عامَیْنِ أَنِ اشْکُرْ لِی وَ لِوالِدَیْکَ إِلَیَّ الْمَصِیرُ (۱۴)، (لقمان: ۱۴) .. وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ کُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ کُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّی إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِینَ سَنَةً قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِی أَنْ أَشْکُرَ نِعْمَتَکَ الَّتِی أَنْعَمْتَ عَلَیَّ وَ عَلی والِدَیَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَصْلِحْ لِی فِی ذُرِّیَّتِی إِنِّی تُبْتُ إِلَیْکَ وَ إِنِّی مِنَ الْمُسْلِمِینَ (۱۵)، (الأحقاف: ۱۵). فلم یبین القرآن الکریم فی کل آیاته ترکیزا علی حالة ألم لمرض قدر ترکیزه علی ألم الوضع. بل أن المرأة التی تموت فی الولادة تعتبر شهیدة، لذلک ذکرت أحادیث کثیرة للنبی صلّی اللّه علیه و سلّم فی الأم تبین لک منزلتها فی الإسلام. و یا لها من منزلة جعلت الجنة تحت قدمیها، و جعلت منزلة الأم مقدمة علی منزلة الأب بثلاثة أضعاف. ففی صحیح مسلم (البر و الصلة و الآداب ۴۶۲۲) عن أبی هریرة قال: قال رجل یا رسول اللّه من أحقّ النّاس بحسن الصّحبة، قال صلّی اللّه علیه و سلّم: (أمّک ثمّ أمّک ثمّ أمّک ثمّ أبوک ثمّ أدناک أدناک). ۱۶. أثبتت البحوث الطبیة أن الجنسین یستمران بفروقهما بعد البلوغ و الکبر، بل و یتطور الأمر إلی نشوء الخلاف الحقیقی بین الجنسین جسدیا و عضویا و نفسیا. فی الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۵۷ الذکور تبدأ الخصیة بإفراز هرمونات جنسیة ذکریة المعروفة بالأندروجین، أهم ما فیها التیستوستیرون (الذی ذکرنا السبق القرآنی حول تأثیره فی النظام الهرمونی فی سورة مریم فی کتاب الطب من هذه السلسلة) الذی یسبب العدید من التأثیرات الجسدیة المسئولة عن کل الخصائص الذکوریة للذکر، و هکذا تحصل مجموعة من الظواهر الجنسیة الثانویة کنمو الذقن و شعر الصدر فضلا عن عمق الصوت، کما یعزی للتیستوستیرون النمو السریع الذی یحصل فی هذا السن. هذا النمو یحصل متأخر لدی الذکور لکنه یدوم فترة أطول مما

لـدى الإناث، و يتجسـد ذلك بنمو أشد وضوحا فى تركيبة العضـلات و قوة الأطراف السـفلية التى يعتمد عليها نمو الشـباب أطول من الفتيات. كما أن توزيع الـدهون لـدى الرجال يختلف بحيث يـذهب السواد الأعظم منه للمعدة و الجزء الأعلى من الجسم .. بينما الفتاة عنـد بلوغهـا تبـدأ بإفراز هرمونات جنسـية هى الإستروجين من مبيضـها، و التى تأثيرها عن تأثير التيسـتوستيرون بحيث تنمى المبيض و الرحم و تدفع الإباضة الأولى. و يعتبر الإستروجين المسـئول أيضا عن الشكل الأنثوى الذى يتميز باتساع الحوض و ضيق الكتفين. كما و تختلف المرأة فى توزيع الدهون و كميتها، إذ يحتوى جسم المرأة على ضعف ما يحتويه الرجل من الدهون و يذهب أغلبه للفخذين و الردفين. كما و يحوى جسم المرأة على صـنف آخر من الهرمونات الجنسية هو البرجيستيرون الذى يكون فعالا خلال المرحلة الثانية من دورة مبيضـها أى بعد كل إباضة فيتولى نمو النهدين و بدء المحيض. ۱۷. الناحية المرضية: أثناء حياتهما سيتعرض الرجل و المرأة للأمراض، و لكن لكل جنس مكامن ضعفه، فالرجل أكثر تعرضا لأمراض القلب من المرأة بمعدل الضعف، ذلك ان التيستيرون يؤدى إلى تنميـة ما يعرف بالكوليستيرول السـيئ تأثيره على جدران الأوعية الدموية، بينما يعمل الأستروجين لدى المرأة على تنمية ما يعرف بـالكوليستيرول الجيـد الـذى يتولى تنظيف الأوعيـة الدمويـة. إلاـ أن المرأة تتوقف عن إنتـاج الأـستروجين بعـد سن اليأس مما يجعلها معرضة لأمراض القلب بمعدل النسبة ذاتها لدى الرجل. ۱۸. الفروق السلوكية عند الكبر: لا يستطيع الرجال التعبير عن عواطفهم فيلقون مـا الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۵۸ تحويه جعبتهم مرة واحـدة، بينمـا النساء يسـتخدمن المحاورة و الكلام غير المباشـر مما يجعلها قادرة على التحكم فى الحـديث كمـا ترغب و هى عنـد مـا تتحـدث تسـتخدم الابتسامـة أو الحركـات لتعبر عن التعجب أو الغضب. و المرأة تتحدث أكثر من الرجل و تقرأ أسـرع منه. الرجال يلجئون إلى الدعابة أكثر من النساء للتأثير على الآخرين فى حين تلجأ المرأة بالتعبير بـالوجه و الجسم للتـأثير على الآخرين. يفضل الرجال النظر إلى الأشـكال ذات الزوايا الحادة فى حين تفضل النساء النظر إلى الأشـكال الدائرية مثل شـكل القلب. ۱۹. فروق فسـيولوجية و تركيبية: عند تناول الرجل وجبة من النشويات يشـعر بالهدوء فى حين تشـعر المرأة بالنعاس، و يصاب ۴٪ من الرجال بعمى الألوان. الكرات الدمويـة البيضاء لـدى النساء أكثر من الرجال و جهاز المناعـة لـديها أقوى. و المرأة أقل إصابـة منه بأمراض القلب و قرحة المعدة، كما أن حجم معدتها أكبر من معدة الرجل، و هى تحرق الأوكسـجين أسـرع من الرجل حيث تزيد و تنقص نسـبة كريات الدم الحمراء مما ينتج عنه سرعة إغمائها. و يدق قلب الرجل فى المتوسط ۷۲ دقة لكل دقيقة بينمـا المرأة يـدق قلبهـا أكثر من الرجـل لكل دقيقـة. جسم الرجل فى المتوسط يحتوى على ۲۰ قـدما مربعا من الجلـد أما جسم المرأة فيحتوى على ۱۷ قـدما مربعا من الجلد. ۲۰. الفروق فى الـذكاء و وظائف الدماغ: رغم أن الدماغ مسـئول عن كل ما سـبق من فعاليات جسـمانية أو وظيفيـة، نقول أن المسألـة فيها بحوث تفصـيلية تبين الفارق بين دماغ الجنسـين فى سـبل تنظيمهما و أساليب عملهما رغم تساوى نسب الذكاء بينهما و تشابه الشكل العام فيهما. فقد قام علماء من جامعة ولاية نيويورك فى بافالو فى الولايات المتحدة بإجراء تجارب على ۱۷ ولـدا و ۱۸ بنتـا تتراوح أعمـارهم بين ۸- ۱۱ عامـا، لدراسـة كيف تتغير موجات الـدماغ فى جزءيه عنـد القيام بعملية التعرف على تعـابير وجـوه معينـة عرضـت عليهـم، و وجـد العلمـاء أن كـل جنس اسـتخدم جزءا من الـدماغ يختلـف عن الجزء الـذى اسـتخدمه الجنس الآخر فى معالجـة المعلومات. و يعتقـد العلماء أنه من المحتمل أن الأولاد تعرفوا على تعابير الوجوه بطريقـة عامـة، و هى مقـدرة مرتبطـة بالجزء الأيمن من الـدماغ، بينما عالجت الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۵۹ الفتيـات معلومات التعرف على تعابير الوجه بطريقـة خاصة، و هى قدرة مرتبطة بالجزء الأيسـر من الدماغ ... أما مخ الرجل فيزيد وزنه عن مخ المرأة بمقدار ۱۰۰ غرام و نسبة وزن مخ الرجل لجسمه تعدل ۱/ ۴۰ بينما نفس النسبة عند المرأة تعدل ۱/ ۴۴. و يقول الباحثون أنهم وجدوا تخزين المعلومات يختلف فى الرجـل عمـا هو فى المرأة، و هو مـا يفسـر تفوق الرجـل عن المرأة فى عـالم الاختراعـات و الابتكارات، بل أن جميع التخصـصات فى الفنون و الأعمال الخاصة بالمرأة كالطبخ و الأزياء زاحم الرجال بها النساء و تفوقوا عليهن. أما فى حالة الدماغ لمراحل النشاط الذهنى المتقـد فقـد تم الإثبات بالبحوث و التجارب و المراقبـة أن حقل الذاكرة فى دماغ الرجل أكبر حجما منه فى دماغ المرأة، و هنا يتجلى أمر اللّه تعـالى بجعـل الشـهادة برجلين، فإن تعـذر فرجل و امرأتان كى تـذكر إحـداهما الأخرى إن هى نسـيت، يقول تعالى فى البقرة

(۲۸۲): يـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا تَـدايَنْتُمْ بِـدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَـمًّى فَاكْتُبُوهُ وَ لْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَـدْلِ وَ لا يَأْبَ كاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَما عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَ لْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَ لْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَ لا يَبْخَسْ مِنْهُ شَـيْئاً فَإِنْ كانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَـفِيهاً أَوْ ضَـعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَـدْلِ وَ اسْتَشْـهِدُوا شَـهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَـداءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى وَ لا يَأْبَ الشُّهَداءُ إِذا ما دُعُوا وَ لا تَسْـئَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلى أَجَلِهِ ذلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أَقْوَمُ لِلشَّهادَةِ وَ أَدْنى أَلَّا تَرْتابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً حاضِرَةً تُدِيرُونَها بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَلَّا تَكْتُبُوها وَ أَشْهِدُوا إِذا تَبايَعْتُمْ وَ لا ـ يُضَارَّ كاتِبٌ وَ لا شَـهِيدٌ وَ إِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَـيْءٍ عَلِيمٌ (۲۸۲) ... أما فى حالة الكبر و الشيخوخة فإن المرأة المسنة تبدى مطولة أكبر من الرجل المسن فى نواحى وظيفية عديدة للدماغ، فقد أثبتت الدراسات أن النساء يمضين سنين أطول بعقل سليم و ذكاء يحسدن عليه، و جاء فى الدراسة التى أجريت لمصلحة جامعة ليدن فى هولندا و شملت ۵۹۹ شخصا تتجاوز أعمارهم الخامسة و الثمانين، أن النساء المسنات أسرع استجابة و عقولهن أكثر الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۶۰ حدة. كذلك أظهرت الدراسة أن النساء المسنات يتفوقن على الرجال المسنين فى القدرة على استعادة الماضى و التذكر. و العجيب كما ذكرت الدراسة أن ۷۰٪ من المستطلعات لم ينلن تعليما عاليا و على الرغم من ذلك سجل نتائج عقلية أفضل من الرجال، و عزا الخبراء السبب فى ذلك إلى أن دماغ المرأة مهيأ ليعمل لمدة أطول لأنها تعيش عمرا أطول. و أفادت نتائج بحث آخر لنفس الفئة العمرية روعى فيه أن النساء المبحوثات أقل تعليما من الرجال أن قدرة النساء المسنات العقلية أفضل مما هى لدى الرجال المسنين، و يرجع ذلك إلى كونهن أقل عرضة للإصابة بالنوبات القلبية مما يجعل تدفق الدم إلى أدمغتهن أيسر. كما أجرى الخبراء فى هذا البحث اختبارا لمعرفة سرعة التفكير و القدرة على التذكر لدى المبحوثين فحقق نسب أعلى فى اختبارات سرعة الفهم و القدرة على الاحتفاظ بذاكرة قوية، و تبين أن سرعة الفهم كانت ۳۳٪ لدى النساء مقابل ۲۸٪ لدى الرجال، و قد عزى ذلك لأمور عضوية تتعلق بالغياب النسبى لأمراض الشرايين عند النساء «۱». و بعد، و رغم كل تلك النتائج الواضحة و الصيحات المخلصة لا زالت دعوى الجندر تلقى رواجا فى مجتمعاتنا الإسلامية فارتفعت نبرة الحديث عن الاضطهاد للمرأة و وجوب حصولها على حقوقها كاملة، و لا ندرى ما ذلك الكمال فى الحقوق و إلى أى حد يصل؟!. كما وصلت الدعاوى إلى حد ضرورة إيجاد اتحاد عالمى يوجد هوية جديدة فوق القوميات و الاختلافات كى تتحدث نساء العالم عن أنفسهن، و عملت الأفلام السينمائية و التمثيليات التلفازية و الاجتماعات و المؤتمرات الدولية و صرفت الملايين من الدولارات على كل هذا دون الالتفات إلى حقيقة الداء و الانصراف لعلاجه بهدوء و دون تعصب أو تزمت لا ـ يؤدى إلا ـ إلى تباعد الهوة بين المشكلة و علاجها، و كأن المسألة حرب شعواء بين الجنسين، و ليس تكامل و تعاضد و تعاون. و هكذا و كخلاصة من هذا البحث فإننا نرى أن الإسلام أعطى للمرأة و الأسرة قيمة عظيمة لم يعطها أى دين سابق و لا شريعة و لا قانون أرضى، فهى لها القيمة المادية

(_____ ۱) هذه التفاصيل منقولة بتصرف عن ملف علمى متكامل أعدته مجلة الأسرة السعودية، العدد ۱۲۴، رجب ۱۴۲۴ ه، ص (۲۲- ۳۶). الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۶۱ العظمى المتمثلة بالذهب كما لها القيمة الاعتبارية الجليلة إذ أنها تربى الأجيال و تحفظ النسل فهى تمثل العمود الفقرى فى الحياة و مثلها كمثل الدرة المحفوظة فى لوح زجاجى يمنع لمسها إلا لصاحبها. و على هذا الأساس تآمر الغرب و على رأسهم اليهود على مكانة المرأة فى أمتنا و أوهموا ضعيفات الإيمان بأن نزع الحجاب و لبس اللئالئ و التزين و السفور و الإتيكيت و الموضة و معارضة الوالدين و الاختلاط و المساواة مع الرجال كل ذلك من باب التحضر، كما أوهموهن بأن ضرورة إيجاد ال "حبيب "لهن هو من دواعى الشخصية الحديثة المتطورة و الاستقلال فى التفكير، و ان الخلق و الحشمة و التصرف السليم المبنى على الشريعة و الدين فى كل مجالات الحياة هو من دواعى الرجعية و التخلف، ألا ساء ما يحكمون. قال مسئول غربى "لا تستقيم حالة الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة و يغطى به القرآن "أى لن يستطيع الغرب الحاقد السيطرة على الشرق المسلم حتى تزيح المرأة المسلمة الحجاب عن

وجهها و تنبذ كتاب اللّه وراء ظهرها «۱» ... و هذا ما أرادوه لنسائنا و مجتمعاتنا و استجاب لهم الكثيرون مخدوعين تارة و مطيعين تارة و مقلدين تارة أخرى بينما رفض هذه (العولمة) القديمة النساء المؤمنات و العوائل المؤمنة، و لهؤلاء المساكين المقلدين نقول إنكم بهذا اشتركتم ليس فقط بجريمة إغضاب رب العالمين و ترك الشرع الحنيف و إنما أصبحتم مشتركين فى جريمة هدم ما بنته أجيال و أجيال من خلق عظيم و تعاليم سامية و دفعت بسببه دماء زكية طاهرة كثيرة على مدى أكثر من ۱۳۰۰ عام. لنرى الوجه الحقيقى للإسلام من خلال ما قالته نساء غربيات، ففى مقابلة أجرتها مجلة الوطن العربى (العدد ۳۱۴) مع امرأة فرنسية متخصصة فى الفن الإسلامى نادية أوبريى قالت "وجدت المرأة المسلمة (العربية) محترمة و مقدرة داخل بيتها أكثر من الأوربية و أعتقد أن الزوجة و الأم العربيتين تعيشان سعادة تفوق سعادتنا. "ثم توجه النصح للمرأة المسلمة قائلة "لا تأخذى من العائلة الأوربية مثالا لك لأن عائلاتنا هى (_____ ۱) مقتطفات من كتاب اللئالئ الحسان من روائع الكلم و البيان، محمد عبد العزيز المسند، الجزء الثالث. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۶۲ أنموذج ردىء لا يصلح مثالا ليحتذى. "و فى مقابلة أخرى أجرتها مجلة صدى الأسبوع "مع براونين ميزاك ايفانز- إنجليزية أعلنت إسلامها فى البحرين- كان من الأمور التى دفعتها إلى اعتناق الإسلام هو مكانة المرأة فى الإسلام و كذلك تركيبة الأسرة المسلمة حيث قالت "المرأة المسلمة دائما فى حماية و رعاية، تجد من يعيلها أينما حلت، و هى جزء هام من المجتمع الإسلامى .. جو عائلى تفتقده الكثير من الأسر الغربية الأب و الأم ثم الأولاد و بعدهم الأقارب .. العائلة المسلمة كأنها مملكة واسعة الأطراف، أما العائلة الغربية فإنها تقتصر على رجل و امرأة فقط، طرفين لا توابع تخلفهما، أما فى الإسلام فلا يوجد و سيط بين الإنسان و ربه «"۱» .. و القصص من هذا القبيل أكثر من أن تذكر فى هذا الكتاب، و منها قصة القسيس إسحاق المصرى نائب البابا البروتستانتى الذى أسلم و سمى نفسه إبراهيم و فصلّ قصة إسلامه فى محاضرة شيقة «۲». فى محاضرته الرائعة «قصة الإيدز الكاملة»، يقول الدكتور عمر عبد الستار عن موضوع الحجاب بعد أن يعرض صور عديدة تتعلق بالموضوع و تخص تشخيص المسألة الطبية لمرض الإيدز، و عند ما يصل إلى الصورة أو السلايد الخاص بالبويضة يقول: انظروا روعة هذا الشكل و ما حوله من غشاء، هذا الغشاء الرقيق الجميل هو حجاب للبيضة فكل شىء أنثوى خلقه اللّه تعالى جميلا- و رقيقا محفوظا عن الذكر بحجاب لا يسمح لأحد أن يخترقه إلا واحدا فقط، فهذه البويضة يلاحقها ملايين من الحيوانات المنوية و لا يخترق الغشاء أو الحجاب هذا و لا يسمح بذلك إلا لواحد فقط، ثم يغلق الحجاب نهائيا .. هذا الأمر مشمول به كل شىء أنثوى فى الكون إلا نساء هذا العصر الذين ارتموا بوحل الحضارة الزائف. و لنعد الآن إلى الآية المباركة زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ ذلِكَ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (۱۴)، (آل عمران: ۱۴)، كيف أنها (_____ ۱) نفس المصدر السابق. (۲) المحاضرة مسجلة فى شريط كاسيت، نشر فى بداية تسعينات القرن العشرين. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۶۳ ربطت الشهوات بالتسلسل فإذا بالمرأة التى هى أقوى الشهوات للرجل تصبح بمساعدة القناطير المقنطرة من الذهب و الفضة المطحنة و الجاروشة التى تطحن الرجال و الأمم، و هذا ما كان فى تاريخ البشرية و فى حاضرها و فى مستقبلها إلا ما رحم ربى. و من أراد التخلص من هذا الإعصار الجارف و التيار الهائل الذى لم يرحم و لن يرحم أحد فما عليه إلا التمسك بزورق النجاة الذى هو فى حمى ملك الملوك ألا و هو الإسلام الحنيف الذى يعطى الجميع حقوقهم دون استثناء و لا يهمه فى ذلك تعليقات الجهال و الفسقة و السفهاء فهؤلاء هم المحرقة التى تتقد فيها نيران هذه الفتن «۱».

منزلة الوالدين فى الإسلام:

منزلة الوالدين فى الإسلام: أما عن الوالدين و احترامهما فإنه لا يوجد تشريع أرضى أو سماوى أعطى لهما أهمية قدر اهتمام الإسلام

بهما، فيكفى أن القرآن الكريم قد قرن فى غير موضع الإشراك باللّه بعقوقهما* وَ قَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَ لا تَنْهَرْهُما وَ قُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيماً (۲۳) وَ اخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً (۲۴) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صالِحِينَ فَإِنَّهُ كانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً (۲۵)، (الإسراء) .. هذه الآية تحديدا عند ما قرأها الأمير تشارلز الشخصية البريطانية المعروفة و أمير ويلز تغيرت نظرته تماما عن الإسلام، فامتدحه بخطبة مشهورة أمام البرلمان البريطانى عام ۱۹۹۶ م. و بعد خير الكلام كلام اللّه يأتى خير الهدى هدى رسوله صلّى اللّه عليه و سلّم فى مسألة الوالدين، و قد جعل بر الوالدين مفضلا على الجهاد فى سبيل اللّه و هو ما قاله صلّى اللّه عليه و سلّم للصحابى الذى أراد الجهاد «أ لك والدان»، قال نعم، قال صلّى اللّه عليه و سلّم «ففيهما جاهد»، و عن عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه عنه أنّ رجلا سأل النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم أىّ الأعمال أفضل قال «الصّلاة لوقتها و برّ الوالدين ثمّ الجهاد فى سبيل اللّه»، و فى حديث قلت يا نبىّ اللّه أىّ الأعمال أقرب إلى الجنّة قال «الصّلاة على مواقيتها قلت و ما ذا يا نبىّ اللّه قال برّ الوالدين قلت و ما ذا يا نبىّ

(_____ ۱) المنظار الهندسى للقرآن الكريم، للمؤلف، ص (۵۷۲- ۵۸۲)، بتصرف. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۶۴ اللّه قال الجهاد فى سبيل اللّه». و بعد فهذا غيض من فيض رحمة الإسلام الشاملة لكل خلق اللّه تعالى و التى لم تتميز بشموليتها و خصائصها أية حضارة أخرى باعتراف كبار منظرى و مستشرقى الغرب و تلك مقارنة بسيطة لأجل وضع القارئ الكريم بالصورة المطلوبة للدخول فى قوانين القرآن الكريم فى الحضارات. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۶۵

الفصل الرابع بعض دلائل الرقى فى السلوك الاجتماعى فى الإسلام

الفصل الرابع بعض دلائل الرقى فى السلوك الاجتماعى فى الإسلام يبنى الإسلام مجتمعا عاملا غير خامل و لا كسول، متكلا غير متواكل، خلوقا غير منحرف، عادلا- غير متطرف. للرجل دوره، و للمرأة دورها، و الكل راع و مسئول عن رعيته. الفساد و الانحراف بكل أشكاله و ما يؤدى إليه مرفوض لأن اللّه تعالى لا- يحب الفساد. و الإسلام يحث على العمل و النجاح و الكد و عدم الركون للكسل و الفشل و الإحباط، و فى هذا تفصيل كبير، و لعلنا ذكرنا بعض الآيات و الأحاديث الدالة على العمل خلال هذا الكتاب و غيره «۱» .. و لقد أثبت العلم الحديث أن النجاح فى العمل هو من أحد أسرار إطالة الأجل، و لعل العمل الصالح على رأس هذه الأعمال لما يوفره من شحنة طاقة للخير تعم النفس فتجعل منها شعلة للخير و الإنجاز .. و ما الأحاديث الدالة على شروط حسن الخاتمة و التى تتعهد بتوفيرها لأهل العمل الصلح مثل الإخلاص و بر الوالدين و صلة الرحم و حسن الخلق و السريرة و غيرها لتدل على هذا المفهوم من بابه الواسع، و صدق الصادق الأمين الذى بين فى الحديث الصحيح الذى يرويه أهل السير و منهم البخارى و مسلم و أبى داود و غيرهم أن العمل الصالح و على رأسه صلة الرحم هو من شروط طيب الرزق و طول العمر و بقاء الأثر، فقد روى البخارى فى البيوع (۱۹۲۵) عن أنس بن مالك رضى اللّه عنه، سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يقول (من سرّه أن يبسط له فى رزقه

(_____ ۱) يمكن للقارئ الرجوع لكتب مهمة فى هذا مثل كتاب (صناعة الحياة) للأستاذ الجليل محمد احمد الراشد، و كتاب (الهمة طريق إلى القمة) للأستاذ محمد بن حسن بن عقيل بن موسى، أو يدرس سير الأماجد و العمالقة لهذه الأمة و غيرها، أو يتابع برنامج صناعة النجاح (للأستاذ الدكتور طارق السويدان)، أو صناع الحياة للأستاذ (عمرو خالد)، و غيرها من مشاريع إحياء فقه الدعوة و النهوض بالأمة. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۶۶ أو ينسأ لّه فى أثره فليصل رحمه) .. و لقد بينت البحوث الحديثة صدق هذا السبق الإسلامى، فى بحث أجرى مؤخرا تبين أن نجاح المرء فى عمله و حياته من أهم أسباب زيادة العمر و طيب الرزق .. يقول أحد المشتركين فى البحث: (لما ذا يعيش بعض الناس لفترة أطول من غيرهم؟ هذا السؤال شغل بال الكثيرين لعدة أجيال. و فى كثير من الأحوال تبدو الإجابة واضحة: اتباع نظام غذائى جيد و

رعایـة صـحیة جیـدة و عـدم الإصابـة بـالکثیر من الأمراض. لکن بالنسـبة لآخرین فإن السـبب یشوبه الکثیر من الغموض. فلما ذا، مثلا، یعیش رجـل یابانی أربع سـنوات أکثر من البریطانی؟ و لما ذا تتوفی سـیدة تعیش فی مانشـستر قبل ثلاث سـنوات من سـیدة تعیش فی ظروف مماثلـة لکن فی لنـدن؟. و لما ذا یطول عمر رجل یعیش فی غرب لنـدن ست سـنوات عن رجل یعیش فی شـرق لندن). وضـع العلماء مجموعـة من الأسـباب علی مـدی السـنوات تتراوح بین أسـلوب الحیاة و الاختیارات التی یقوم بها الإنسان مثل التدخین، و بین الجینات. إلا أن کتابا لسـیر مایکل مارموت بروفیسور علم الأوبئـة و الصـحة العامـة فی جامعـة یونیفیرستی کولیـج لندن، یوفر إجابات مختلفة لهذه الأسئلة. و قام مارموت بدراسة الاختلافات بین طول الأعمار لمدة ثلاثة عقود. و فی الستینات أجری ما أصبح یعرف الآن باسم دراسة وایتهول، و هی دراسة علی صحة الموظفین الحکومیین فی لندن. و خلصت الدراسة إلی أن صحة موظفی الحکومة ترتبط بعلاقـة وثیقة بدرجتهم الوظیفیة فی الحکومة. و أن الموظفین الذین یحتلون مناصب کبری یتمتعون بصـحة أفضل. و خلصت دراسات أخری إلی نتائج مماثلة فی جماعات اجتماعیة مختلفة مثل الأکادمیین و الحاصلین علی جوائز أوسکار. فقد خلصت الدراسات إلی أن الحاصلین علی درجة الدکتوراة یعیشون أطول من الحاصلین علی درجة الماجیستر، و الذین یعیشون بدورهم فترة أطول من الحاصلین علی شـهادة جامعیة، و الذین یعیشون أطول ممن لم یکملوا دراسـتهم الجامعیة. و بالصورة نفسـها، فإن الممثلین الحاصـلین علی جائزة أوسـکار یعیشون متوسط ثلاث سـنوات أطول من الذین رشحوا للحصول علی الجائزة دون أن یحصلوا علیها بالفعل. و یعتقد مارموت أن هـذه النظریـة یمکن تطبیقها علی أی جماعـة فی المجتمع بـدءا من السیاسـیین إلی الذین یعیشون تحت خط الفقر. و یصـر علی أن الصـحة العامـة و طول الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۶۷ العمر یتأثر بدرجـة کبیرة بمکانـة الإنسان فی المجتمع. و أطلق مارموت علی هـذا اسم "عرض الوضع الاجتماعی "و هو نفس الاسم الذی أطلقه علی کتابه. و یقول ":الدلیل دامغ. و یشیر إلی أن تبوأ منصب اجتماعی مرموق یؤدی إلی تحسن الصـحة. و الـذین یحتلون قمة الهرم الاجتماعی یعیشون أطول ".و یعتقد مارموت أن الوضع الاجتماعی ربما یکون أهم من النظام الغذائی المتبع و الرعایة الصـحیة. و یقول ":یعتقد الناس أن طول العمر یتحدد إما بالرعایة الصـحیة و التدخین أو النظام الغذائی المتبع .. ".هذه الأمور مهمة أیضا لکن الدلیل یظهر أنها مجرد جزء من الصورة الکاملة ".و یقول مارموت إن موقعنا فی الهرم الوظیفی یتأثر بأمرین: الدرجة التی نسـیطر بها علی حیاتنا و الدور الذی نلعبه فی المجتمع و یسأل ":هل یشـعرون بأنهم یسیطرون علی حیـاتهم و یتمتعون بفرص تمکنهم من التواصـل الاجتمـاعی الکامل .. "؟و یبـدو أن المال لیس له تأثیر کبیر، و یقول مارموت": المزیـد من المال لا یعنی صـحة أحسن. المال حـد ذاته لیس مهمّا ".و ربما تفسـر هـذه النظریـة السـبب فی أن الحیاة فی بعض الدول الفقیرة نسبیا مثل الیونان و مالطـة أطول منها فی المملکـة المتحـدة أو الولایات المتحـدة. و یعتقـد مارموت أن منـح الناس المزیـد من السیطرة علی حیاتهم و ضمان أن یلعبوا دورا کاملا فی المجتمع سیعزز صحتهم و یزید من أعمارهم و یوصی بأن تعمل الحکومة علی ضمان أن یحصل جمیع الأطفال علی تعلیم جید، و أن یحصل العمال علی المزید من السـیطرة علی حیاتهم و ألا تعتبر المسنین مجرد" کومة من العظام. "کما یوصـی بضرورة أن یبذل المزید من الجهود لضمان أن یشعر المواطنون بأنهم جزء من مجتمعاتهم. الفساد کل اضـطراب فی النوامیس الإلهیـة ماديـة کانت أم معنویـة، فی البر و فی البحر، للزرع و الضـرع، للحرث و النسل، للإنسان و الحیوان، فی الخلق و السلوک کما فی المجتمعات و الدول. للفساد هذا أشکال عدة فصلها القرآن الکریم بما یأتی: ۱. وَ إِذا تَوَلَّی سَعی فِی الْأَرْضِ لِیُفْسِـدَ فِیها وَ یُهْلِکَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لا یُحِبُّ الْفَسادَ (۲۰۵) (البقرة: ۲۰۵). ۲. فَلَوْ لا- کانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِکُمْ أُولُوا بَقِیَّةٍ یَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسـادِ فِی الْأَرْضِ إِلَّا الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۶۸ قَلِیلًـا مِمَّنْ أَنْجَیْنا مِنْهُمْ وَ اتَّبَعَ الَّذِینَ ظَلَمُوا ما أُتْرِفُوا فِیهِ وَ کانُوا مُجْرِمِینَ (۱۱۶) (هود: ۱۱۶). ۳. وَ ابْتَغِ فِیمـا آتـاکَ اللَّهُ الـدَّارَ الْآخِرَةَ وَ لا تَنْسَ نَصِـیبَکَ مِنَ الـدُّنْیا وَ أَحْسِنْ کَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَیْکَ وَ لا تَبْغِ الْفَسادَ فِی الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا یُحِبُّ الْمُفْسِـدِینَ (۷۷) (القصص: ۷۷). ۴. ظَهَرَ الْفَسادُ فِی الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِما کَسَـبَتْ أَیْدِی النَّاسِ لِیُذِیقَهُمْ بَعْضَ الَّذِی عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ (۴۱) (الروم: ۴۱). ۵. وَ قـالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِی أَقْتُلْ مُوسـی وَ لْیَـدْعُ رَبَّهُ إِنِّی أَخافُ أَنْ یُبَـدِّلَ دِینَکُمْ أَوْ أَنْ یُظْهِرَ فِی الْأَرْضِ الْفَسادَ (۲۶) (غـافر: ۲۶). من أهم ما حـذر الإسـلام منه هو الانکباب علی الـدنیا و ملـذاتها، و جعلها القیمـة الأساسـیة لفلسـفة

الوجود، فهی رأس کل فتنة و فساد. علی عکس الحضارة الغربیة التی جعلت من الدنیا أساس کل شیء، و دونها یهون کل خلق و تموت کل فضیلة. فکان الفکر الغربی ربیب الفکر الیهودی یدعو دائما إلی شیوع الغرائز کالجنس و التسلط و القتل و النفوذ و التعصب الأعمی، و أساس کل ذلک اللهث وراء المال، إله الیهود الذی أشرب فی قلوبهم بعد ما عبدوا العجل المصنوع من الحلی الذی سرقوه من المصریین القدماء، رغم کل المعجزات الإلهیة التی أعطاها اللّه تعالی لنبیه موسی علیه السّلام لعل هؤلاء القوم یفقهون حدیثا، إلا أن قلوبهم أصبحت أقسی من الحجارة، فماتت قلوبهم و ضمائرهم فهم کالأنعام بل هم أضل. و لأن هذا الفکر المسخ یعلم مدی تأثیر النساء، شجع هؤلاء الحیوانات البشریة الجنس و التحلل و الشذوذ الجنسی، و جعل المرأة جسد یباع و یشتری تحت تعریف واحد هو (الحب) بین الجنسین الذی یجب أن یقدس و لا یمس بأی سوء. و ما هو فی الواقع إلا الجنس بعینه و تحلل المجتمع و تدمیر فکره و سلوکه کی یسهل السیطرة علیه کما جاء فی بروتوکولات حکماء صهیون، و مع الأسف طبق فی مجتمعاتنا الإسلامیة: ۱ ".إذا أردت أن تدمر مجتمعا فانشر فیه الفساد. "۲ ".إذا أردت أن تدمر أمة فسلمها بید جهالها، "و معلوم أن الجهال أکثر الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۶۹ الناس استجابة للشهوات. ۳ ".إذا أردت أن تدمر جیشا فسلمه بید المدنیین، "و معلوم ما للجیش فی الأمة و الوطن من اهمیة فتدمیره داخلیا یکون من أناس لا یفهمون فی الترتیبات العسکریة و هم المدنیون. ۴ ".کأس و غانیة تدمر أمة محمد. "و رغم أن اللّه تعالی قد حذرنا من هذه الأمور بقوله جل و علا: زُیِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِینَ وَ الْقَناطِیرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَیْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ ذلِکَ مَتاعُ الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (۱۴) (آل عمران: ۱۴). إلا أننا رکضنا وراء دعاوی هذا الفکر و اعتبرنا أن هذا کله من دواعی الحضارة و التطور، و ما هو إلا الفساد بعینه الذی حذرنا اللّه تعالی منه. حول هذا الموضوع (موضوع الحب و الهوی) الذی تدور حوله کل ما یسمی بالأعمال الدرامیة من تمثیلیات و أفلام و مسلسلات و أغانی، حتی انهم إذا أرادوا أن یخرجوا فیلما تاریخیا مثلا حول شخصیة معینة أقحموا فیها دورا فیه عشقا و حبا. بل و أحیانا یزورون الأحداث بحجة الحبکة الدرامیة لیضعوا فیها امرأة تعشق و تلبس الثیاب (العاریة) لتغری و تفتن من یراها کی یقال أن هذا الأمر أمرا مقدسا حتی فی الأدیان. هذا ما عودوا علیه الأجیال منذ نشأة السینما و لحد الآن و ضحکوا بها علی الکثیرین. و هذا هو لعمری بالضبط ما تریده الصهیونیة و الماسونیة و مأجوریهم من المستشرقین و أدعیاء الحضارة (الجاهلیة) الغربیة و أصحاب القلوب و العقول الخالیة من کل شیء إلا من الهوی و الهوس بکل ما یدفع الإنسان إلی حیوانیة مقیتة و قسوة أین منها قسوة الحجر و الصوان و هی بالتأکید خالیة من محبة اللّه و رسوله و من الغیرة المحمدیة .. إذن الهدف واضح و هو أنهم أرادوا تدمیر أجیال بکاملها و خلع محبة اللّه و رسوله من القلوب و وضع محلها محبة الهوی و النساء و النفس و النفوذ و الجاه و المال و کل الشهوات الأخری کی یسهل تحطیمها، و کان لهم ما أرادوا بفعل هؤلاء من یدعون أنهم فنانین، رغم أن الفن رسالة سامیة تسمو بالفکر الإنسانی و تقومه و ترفع عنه کل معانی الرذیلة و الانحطاط الخلقی. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۷۰ لکنهم أرادوا به أمرا آخر، أی کلمة حق یراد بها باطل، فبدعوی الحب هذه یحققون ما یصبون إلیه، فأنصت لهم دون تروی من کان بقلبه مرض، و هم أدعیاء الفن هؤلاء المساکین الذین یتصورون انهم یحسنون صنیعا، و اللّه تعالی یقول: قُلْ هَلْ نُنَبِّئُکُمْ بِالْأَخْسَرِینَ أَعْمالًا (۱۰۳) الَّذِینَ ضَلَّ سَعْیُهُمْ فِی الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ هُمْ یَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ یُحْسِنُونَ صُنْعاً (۱۰۴)، (الکهف). و المصیبة أنهم إذا ما حاولت نصحهم و إرشادهم إلی الحق اتهموک بالجهل و الرجعیة و عدم مواکبة العصر و ما إلی ذلک من التهم، و قد تحقق فیهم قول اللّه تعالی: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یَشْتَرِی لَهْوَ الْحَدِیثِ لِیُضِلَّ عَنْ سَبِیلِ اللَّهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَ یَتَّخِذَها هُزُواً أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِینٌ (۶) وَ إِذا تُتْلی عَلَیْهِ آیاتُنا وَلَّی مُسْتَکْبِراً کَأَنْ لَمْ یَسْمَعْها کَأَنَّ فِی أُذُنَیْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِیمٍ (۷)، (لقمان)، أی و من الناس من یشری ما یلهی عن طاعة اللّه و یصد عن سبیله، مما لا خیر و لا فائدة فیه، قال الزمخشری: و اللهو کل باطل ألهی عن الخیر، نحو السمر بالأساطیر و التحدث بالخرافات المضحکة، و فضول الکلام و ما لا ینبغی، و روی ابن جریر عن عبد اللّه بن مسعود رضی اللّه عنه انه سئل عن الآیة فقال: و اللّه الذی لا إله إلا هو- یکررها ثلاثا- إنما هو الغناء، و قال الحسن البصری نزلت هذه الآیة فی الغناء و المزامیر «۱». و هذا أیضا تفسیر الکشاف و الطبری و ابن کثیر. و الأدهی و الأمر انهم

ينسبون هذا إلى اللّه تعالى و يقولون أن نجاحنا و شهرتنا بفضل اللّه- حاشا للّه- وَ إِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَ اللَّهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (۲۸)، (الأعراف: ۲۸)، فسبحان اللّه عما يصفون و تعالى اللّه علوا كبيرا فأولئك و أمثالهم قال اللّه عنهم الَّذِينَ كانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَ كانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً (۱۰۱)، (الكهف: ۱۰۱). و قد سئل الدكتور عبد الملك السعدى حول الفتوى فى هذا الأمر فرأيت أن انقله بالكامل لما فيه من الفائدة: السؤال: ما هو حكم الشريعة فى الغناء من الرجل و المرأة و ما حكم الموسيقى المقترنة

(_____ ۱) صفوة التفاسير، محمد على الصابونى، ج/ ۲، ص ۴۸۷- ۴۸۸. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۷۱ به أو منفردة عنه؟ الجواب: هذا السؤال ذو شقين الغناء و المغنى. أولا: الغناء الغناء ... كلام منظوم حسنه حسن و قبيحه قبيح. فالحسن .. هو المدح المعتدل، و الرثاء بدون مغالاة، و الشعر الحماسى الباعث على البطولة كما سنذكر من غناء يوم بعاث «۱»، و ما فيه من حث على الخير و العمل الصالح، و الشعر الوطنى المحبب للوطن و للحفاظ عليه، و مدح البارى جل شأنه و دعاؤه، و مدح النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و إخوانه و أصحابه الصالحين دون مبالغة فهذا مباح يجوز التغنى به و سماعه. القبيح .. ما فيه إثارة الفتنة أو إثارة الغريزة كالشعر الغزلى و ما فيه وصف النساء أو فيه غرام و حب و هوى جنسى فهذا يحرّم التغنى به و سماعه .. و الأدلة على ذلك: منها قوله تعالى وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَها هُزُواً أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ (۶). و الغناء الماجن من لهو الحديث لا من خيره و حسنه. و منها قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم «إن الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل» رواه الترمذى و الإمام احمد. و ما ينبت النفاق يحرم قوله و سماعه .. و من ذلك نهيه صلّى اللّه عليه و سلّم عن بيع و شراء القينات، أى الجاريات المغنيات. حيث يقول صلّى اللّه عليه و سلّم «لا تبيعوا القينات و لا تشتروهن و لا تعلموهن و لا خير فى تجارة فيهن و ثمنهن حرام» رواه الترمذى و الإمام احمد و ابن ماجة ... و النهى عن شرائهن و تحريم ثمنهن دليل على تحريم فعلهن و قولهن، قد ورد بروايات متعددة و بطرق مختلفة حتى بلغ درجة الحسن لغيره و ان كان سند كل رواية فيها ضعف إلا أنها بمجموعها تبلغ درجة الحسن لغيره.

(_____ ۱) يوم بعاث: يوم مشهور عند العرب حدث فيه قتال بين الأوس و الخزرج دام مائة و عشرين عاما إلى ان من اللّه عليهم بالإسلام فانتهت. و بعاث موقع فى بنى قريظة وقعت فيه الواقعة/ راجع العينى فى شرح البخارى، ۶/ ۲۶۹. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۷۲ ثانيا: المغنى و هو إما ذكر أو أنثى: فالذكر .. يجوز أن يغنى للذكور إذ لا تحصل بصوته فتنة لهم إذا كان غناؤه من النوع الحسن .. و أما المرأة .. يجوز أن تغنى للنساء لأنه لا يحصل بصوتها فتنة لهن و لا سيما إذا كانت جارية «۱» صغيرة و كان الغناء من النوع الحسن. فقد روى البخارى عن عائشة رضى اللّه عنها قالت: «دخل علىّ أبو بكر رضى اللّه عنه و عندى جاريتان تغنيان بغناء يوم بعاث فانتهرنى و قال (مزمارة الشيطان عند النبى صلّى اللّه عليه و سلّم) فأقبل عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقال (دعهما) فلما غفل غمزتهما فخرجتا» رواه البخارى (باب الحراب و الدرق يوم العيد). أما غناء الجنس لغيره، كأن تغنى المرأة للرجال أو للرجال و النساء أو الرجل للنساء كما فى الوسائل الصوتية و المرئية الآن فعلى من يرى أن صوت المرأة عورة و هى رواية عن الإمام احمد و المرجوع عند الحنفية و المشهور لدى الإمامية فإنها آثمة إذا غنت و حرام الاستماع إليها .. و أما على من يرى أنه ليس عورة و هم الجمهور ففيه تفصيل: إن غنت بصوت مرقق و خاضع و فيه تليّن و تميّع تستميل به الرجال و يحصل فتنة حرّم عليها الغناء، و ان أظهرته بشكل طبيعى و بصوت غليظ و كان من النوع الحسن فلا أرى مانعا من ذلك لأنه لا يثير الغرائز و كذا حكم الاستماع إليه إن استمع إليه ببراءة و عدم طمع فلا مانع. و الدليل على ذلك قوله تعالى .. فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ...، (الأحزاب: من الآية ۳۲)، و لم يقل و لا تقلن بل قال لا تخضعن بالقول، و بالنسبة للرجل جعل المحذور الطمع الذى فى قلبه و يعنى به الافتتان و الغريزة الجنسية. هذا التفصيل إذا خلا من المعازف أما إذا اقترنت به المعازف (كالموسيقى) المهيجة فانه حرام لغيره استماعه لاقترانه بمحرم .. و من أدلة تحريم المعازف ... ما روى

البخاری- فی باب ما جاء من یستحل الحر- عن أبی مالک الأشعری انه سمع النبی صلّی اللّه علیه و سلّم یقول: «لیکونن من أمتی أقوام یستحلون الحر- بکسر الحاء و تخفیف الراء أی الفرج- و الحریر و الخمر و المعازف» .. و وجه الاستدلال به أن المعازف محرمة و استحلالها کفر (_____ ۱) الجاریة: هی العبدة الصغیرة دون البلوغ و سمیت بذلک لکثرة جریانها بالذهاب و الإیاب. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۷۳ و قد قرنها صلّی اللّه علیه و سلّم بالخمر و الحریر و الزنا. و کذا إذا ظهرت المغنیة علی الرائی (التلفزیون) و هی متبرجة و وضعها مثیر فانه حرام لغیره مطلقا. و قد أخطأ من أطلق العنان لبعض الفنانات بالإباحة مطلقا و لو من علی شاشات التلفاز و بشکل مثیر و معه التبرج أو قال بإباحته مطلقا، و کذا من یفسر الحدیث أعلاه بأن المراد أن یجتمع الکل فی آن واحد أی تحرم المعازف إذا کانت مقترنة بالخمر و الحریر و الحر فإنه لم یتذوق العربیة و لم یعرف أن الواو لمطلق الجمع و لیس (واو) حال أو (واو) معیة فقط، و کذا من طعن بإسناد الحدیث بأنه معلق و یرفض ما قام به ابن حجر العسقلانی فی إثبات وصله و کل ذلک لأجل أن یرضی المجتمع علی حساب غضب اللّه تعالی و رسوله. نعوذ باللّه من علم یسخر لمجاراة الناس و محاباتهم «۱». أما الدکتور عبد الکریم زیدان فیقول فی مفصله حول هذا الموضوع و بعد أن یفصل کل ما یخصه، و تاریخ نشوء الغناء و تطوره، و أسالیبه، و ما ذهب إلیه الأئمة و العلماء من مختلف المذاهب ما نتیجته: و فی ضوء ما ذکرنا کله لا یبدو لنا سائغا سماع الغناء فی المذیاع فی الرادیو أو التلفزیون لما فیه من الفتنة الظاهرة و لما یقترن به، مما یجعله محظورا علی النحو الذی بیناه، لا سیما أغانی التلفزیون حیث تجتمع الصورة و ما فیها من فتنة و شبه عری مع حرکات المغنیة و ما فیها من فتنة و إثارة، و مع الصوت المفتن، و بالإضافة إلی ذلک کله فإن الغناء قلما تخلو ألفاظه و عباراته من الخنا و الفحش و وصف محاسن النساء و إثارة الشهوات، و کذلک الحال فی أغانی الذکور من صبیان مرد، و من شباب مخنثین، و من رجال متصابین. و فی ضوء هذا الواقع یمکن القول أن غناء المغنیات و المغنین فی الرادیو و التلفزیون علی النحو الذی وصفناه- و هو الواقع- لا یجوز، و إن الاستماع إلیه لا- یجوز لا سیما أغانی التلفزیون «۲». الحقیقة العلمیة: یقول الدکتور فائق السامرائی: إن للموسیقی تأثیرا علاجیا کما (_____ ۱) جاءت هذه المقالة فی مجلة التربیة الإسلامیة العدد السابع، السنة ۳۴ ذو الحجة ۴۱۹ ه، ۱۹۹۹ م ص ۳۹۵- ۳۹۷. (۲) المفصل فی أحکام المرأة و البیت المسلم فی الشریعة الإسلامیة، د. عبد الکریم زیدان، ج/ ۴، ص ۹۱. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۷۴ أثبتت البحوث الحدیثة، فحالیا هناک الکثیر من المعاهد العلاجیة فی دول عدیدة تأخذ بنظریة الموسیقی و العلاج النفسی بواسطة الموسیقی ... یقسم شیکوفنسکی أستاذ الأمراض النفسیة و العصبیة فی جامعة صوفیا طرائق هذه المعالجة الطبیة الموسیقیة إلی خمسة أنواع و کالآتی: ۱- المحیط الخلفی العلاجی: و ذلک بوساطة بث برامج موسیقیة غیر منتقاة تشیع جوا هادئا أثناء العمل و الطعام و المطالعة فی المستشفی. ۲- العلاج التأملی الموسیقی: تجری علی شکل جلسات فردیة أو اجتماعیة، و فیه تنتقی الموسیقی انتقاء یتلاءم مع شخص المریض و أسلوب علاجه، فالکآبة لها موسیقاها، و کذلک الجنون و الحزن و غیرها. فآلات النفخ الهوائیة تزید من حالات التوتر و الاضطراب و عدم الراحة، بینما الوتریة و البیانو تضفی جوا رقیقا هادئا. ۳- العلاج الجماعی الموسیقی: و یعتمد علی الحرکات الراقصة المشابهة للتمارین الریاضیة و یشترک فیه الإیقاع مع الموسیقی لإعطاء توافق بین الفعالیات الحسیة و الجسدیة. و یتطلب هذا النوع تظافر جهود کل من مصمم الرقصات و المعالج الموسیقی و الطبیب لوضع برنامج علاجی بکل مواصفاته. و هنالک أسالیب أخری لهذا النوع من العلاج یدخل فیه التنویم المتزامن مع الموسیقی، و طرق و تقنیات مختلفة أخری لتنفیذ العلاج بحسب إمکانات المعهد و مقدرة معالجیه علی الابتکار. ۴- العلاج الدوائی: یتم هذا العلاج أما بشکل فردی أو جماعی سواء کان عزفا أو غناء مع تفضیل الشکل الجماعی علی الفردی. و هنالک توقیتات لجلسات هذا العلاج حسب ما یراه الطبیب، و تنتقی الموسیقی و الکلمات حسب حالة المریض. و هو مطبق منذ قرن من الزمن فی بریطانیا ثم کندا و بلغاریا و بقیة دول العالم، کما أثبت أنه یفید الأطفال خصوصا لحالات العوق العقلی و الانحراف السلوکی و الأمراض العقیلة و العصبیة. ۵- العلاج الموسیقی الإبداعی: و قسمها شواب عام ۱۹۷۴ م إلی ثلاثة أنماط: لحنی

و إيقاعى و ارتجالى، و يتم الأداء فيها من قبل المرضى. ثم توصل الباحث فى نهاية البحث إلى أن الموسيقى علاج مساعد و ثانوى و ليس أساسى، فهو لا يرقى إلى مستويات العلاجات الطبية التقليدية، و يمكن درجه ضمن قائمة المؤثرات الثقافية التى يمكن استخدامها ضمن و سائل العلاج الذى يهدف إلى إزالة الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۷۵ المتسلط النفسى للمريض بعد تشخيصه و تصميم الطرق العلاجية الكفيلة بتخفيفه و التخلص منه. كما أنها تساعد فى تحرير المريض من المتسلط المرضى النفسى للانحرافات العاطفية و الهواجس و الأوهام و التخيلات و الانحراف الغريزى «۱». لقد أوضحنا فى كتابنا (المنظار الهندسى للقرآن الكريم)، الأشكال الذبذبية لأصوات الآلات الموسيقية المختلفة، و كيف أن هذه الأصوات درست علميا بشكل مفصل بما يتعلق بعلم الصوت و هندسته و كيف أنها تحمل شدة ضوضاء عالية، و إذا ما ربطنا هذا مع ما توصل إليه الأطباء النفسانيون بتأثير الموسيقى كعلاج و وقاية- و ليس تأثيرها على الأشخاص الأسوياء- فإن نتائجها ليست أساسية كما تم توضيح هذا فى البحث السابق، بل إنها أحيانا تؤدى إلى عكس النتائج كالاضطراب النفسى و الانحراف الغريزى و الأوهام و التخيلات خصوصا إذا ما صوحبت بصور مرئية مليئة بمحركات الشهوات و الأمراض و العقد النفسية التى يتلقاها المتلقى بشكل يؤثر سلبا على نفسيته و بالتالى على تصرفاته. و لعل العود الحميد إلى اللّه تعالى لكثير من أهل الوسط الفنى فى مصر، و اعتزالهم العمل فيه بوضعه المزرى الذى لا يبنى عقلا و لا خلقا من جهة، و انتحار عدد من الفنانات و الفنانين من مختلف الجنسيات أو إصابتهم بأمراض نفسية أو عقلية أو جسمانية من جهة أخرى، يوضح دون أدنى شك لكل مراقب مدى اضطراب الحالة النفسية لأهل هذا الوسط خصوصا من لديه حس مرهف منهم و هم يرون أمام أعينهم مستنقع الانحطاط و السوقية و الإسفاف الذى و قعوا فيه، فتراهم إما أن يعودوا و يتوبوا و يعتزلوا، أو يحصل لهم تطرف فى السلوك كردة فعل على الرفض الداخلى لما هم فيه فينتحروا أو يصابوا بمرض معين، و العياذ باللّه! ... نسأل اللّه تعالى ان يكون هذا العود الحميد لكثير من هؤلاء الفنانين و الفنانات إلى رشدهم، و ارتداء الكثيرات منهن الحجاب و اعتزالهم الرذيلة التى سموها فنا لهو الخير و الأمل فى أسلمة فننا و تطهيره من الدس اللعين للحاقدين من بعض أهل الغرب. و إذا ما حولنا نظرنا صوب التأثير النفسى و الروحى لكتاب اللّه فإننا نجده شفاء

(۱) العلاج بالموسيقى، الدكتور فائق السامرائى، مجلة علوم العراقية، العدد ۵۷، ص ۱۲- ۱۳. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۷۶ للمرضى و راحة للمتعبين و هدوءا و سكينة للأسوياء، فهذا ما أثبتته معاهد كبيرة فى الولايات المتحدة الأمريكية و دول أخرى عديدة إسلامية و غير إسلامية، فمنذ عدة سنوات و البحوث مستمرة حول هذا الموضوع و وصلت إلى دراسة الموجات الصوتية للقرآن الكريم الذى أدخل بصوت الحاسوب و تأثيره على المرضى و الأصحاء، و أثبتت فيه أن تأثيره مهما جدا و أكثر أهمية من الموسيقى العلاجية .. على أن هذا الأمر يجب أن ينتبه إليه المسلمون بشكل حذر، فإذا كان على أساس علمى بحت فمرحبا به، أما إذا كان يهدف إلى تحويل أنظار العالم من المعانى الروحية العظيمة للقرآن الكريم و الأمور التشريعية و العلمية الرائعة التى جاءت فيه صوب مقارنته بالموسيقى فإن هذا هو الكيد بعينه. إن الإسلام لا يعارض أى غريزة أعطاها اللّه للإنسان، فغريزة التمتع بالأصوات الشجية هو شىء جميل وافقت الشريعة الغراء عليه، فوضعت له الأطر و القوانين المثلى التى تمنعه من الانحراف .. فالإسلام الذى شرعه خالق البشر قد اعطى الأمر بناء على القمة العليا للعلم، إذ إن الموسيقى المبنية على الآلة و ليس الصوت البشرى أو الحيوانى سيكون لها تأثيرات سلبية جانبية على السلوك البشرى عموما، فضلا عن الأصوات البشرية التى تعمل على تخريب الأخلاق و إفساد الذمم بالكلام المعسول الذى لا ينفع، و هذا ما نلمسه اليوم فى مجتمعاتنا التى اضحت مدمنة على سماع المسكرات الصوتية و المخدرات الموسيقية. و حيث إن العلم البشرى لم يصل بعد إلى نهايته فإن دراسة التأثيرات الموسيقية على السلوك لم تبلغ مواصفاتها النهائية بسبب عدم معرفة الإنسان و إحاطته بكافة جوانب عقله و استغلاله بشكل صحيح. و على هذا الأساس كان تعامل الإسلام مع سماع المعازف و الأغانى- بالصورة التى بيناها آنفا- و التى تؤدى إلى الانحراف السلوكى الذى نجده اليوم واضحا أمامنا، فجاء هذا التعامل على أساس هذا الباب و ليس غيره، فهو تعامل علمى قبل أكثر من ألف و أربعمائة عام بدأ علماء اليوم- و ليس السفهاء- يتعاملون معه و يذهبون إلى

صحة مذهبه. لننظر الآن إلى المسألة من ناحية علمية بحثية بعيدا عن العواطف و الاتجاهات الفكرية: فقد قام باحثون من جامعات أمريكية متعددة بدراسة إحصائية دامت سنين عديدة الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۷۷ حول المتزوجين من علاقة تسبق الزواج من عشق و غيره و نشرت عام ۱۹۹۷ م، و اتضح من هذه الدراسة أن اكثر نسب الطلاق، و الانفصال و عدم التفاهم بعد الزواج، كانت من هؤلاء و هذه النسبة اكبر بكثير من الزواج المتأنى و الناضج و المعتمد على التعارف بعد الزواج عند العوائل المحافظة على تقاليدها، كما و أعطى البحث دراسة إحصائية حول موضوع الحالات النفسية للأزواج قبل و بعد الزواج و تبين أن اكثر المشمولين بالدراسة يكذبون على الطرف الآخر قبل الزواج و يبنون حياتهم على كذبة ثم يزول القناع بعد الزواج لتتبين الحقائق التى تصدم الطرف الآخر فيكون رد الفعل عنيفا و يحصل التباعد و التنافر و الطلاق أحيانا كثيرة و كذلك الخيانات الزوجية و غير ذلك من الأمور التى أدت إلى تدمير الأسر و تفككها و بالتالى انحلال المجتمع و أثبت فى نهاية البحث أن موضوع العشق و الهوى هذا ما هو إلا كذبة كبيرة تخدع الكثيرين و أن الزواج الناضج المتأنى هو الادوم و الأكثر استقرارية و اتزان، و قد شمل البحث أشخاصا مختلفى الأعمار و الوظائف و الأحوال الاجتماعية و الاقتصادية «۱». و من أراد التفصيل فى هذا الأمر فبإمكانه الرجوع إلى أطباء نفسيين متخصصين فى هذا المجال و علماء اجتماع ليعلموا هذه الحقيقة علميا و عمليا و واقعيا. و لئن كان العلم قد توصل إلى أن القشرة الدماغية لدى البشر متطورة و معقدة بشكل عظيم جدا، و أن الجهاز المسئول عن الانفعالات و منها الحب و العواطف الموجود فى الفص الأيمن للدماغ يحفز الهرمونات الجنسية لأداء وظيفتها، فإن عملية الخفقان و الاضطراب الذى يحصل للقلب و المرافقة لعملية النظر إلى الجنس الآخر لم يتوصل العلم لحد الآن لفهم مكنوناتها و أسرارها العجيبة فهى لا تزال قيد البحث و الدراسة، و إن كل ما توصل إليه العلم فى هذا المجال هو أن الاضطراب القلبى مصاحب لكل انفعال عاطفى حزنا كان أم فرحا، غضبا أم خوفا يأتى بسبب إفراز هرمونات و مواد معينة كمادة الأدرينالين مثلا فى حالة الخوف. و إن الاضطراب القلبى الناتج عن فعل المحرمات

(_____ ۱) خبر سمعته من إذاعة بغداد و نشر فى صحف محلية عديدة، و أكده الدكتور يوسف القرضاوى فى برنامج الشريعة و الحياة الذى تبثه قناة الجزيرة القطرية الفضائية و كانت الحلقة حول موضوع علاقة الجنسين قبل الزواج ۱۹۹۹ م. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۷۸ كالسرقة و الرشوة و الزنا و النظر إلى الجنس الآخر يأتى من حيث شدته بالمرتبة الثانية بعد حالة الخوف المباشر. إلا أن الإسلام العظيم قد حسم الأمر بقوله تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ (۳۰) وَ قُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَ لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا ما ظَهَرَ مِنْها وَ لْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيُوبِهِنَّ وَ لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبائِهِنَّ أَوْ آباءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنائِهِنَّ أَوْ أَبْناءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَواتِهِنَّ أَوْ نِسائِهِنَّ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلى عَوْراتِ النِّساءِ وَ لا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۳۱)، (سورة النور)، فقد ربط بين النظر و الشهوة الجنسية ربطا سببيا واضحا. و هنا دعوة إلى المتخصصين فى مجال النفس و الجملة العصبية و الدماغ إلى سبر أغوار هذا اللغز و خصوصا من لديهم حس دينى و خلقى كى لا ندع الشيطان و حزبه يتمكنوا منا، و صدق اللّه العظيم إذ ينبئنا أن فعل الشيطان و جيشه فى شياطين الإنس و الجن سيتمكن ممن يتولونه و يتبعونه، فيقول الحق جل و علا وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ وَ شارِكْهُمْ فِي الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ وَ عِدْهُمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلَّا غُرُوراً (۶۴)، (الإسراء: ۶۴). إن التحليل المنطقى للحالة هو أن غريزة الجنس تتحرك داخل النفس البشرية عند رؤية الجنس الآخر إذ يقع منها موقعا يحرك النزوات الشهوانية و تعتمد هذه الحالة على التراكم النفسى للشخص و الجو البيئى و التربوى له و تختلف درجتها من شخص إلى آخر، هذه النزوة تتحول إلى رغبة جامحة و خصوصا عند اللذين لهم حالات عاطفية متهيجة كالمراهقين أو أصحاب التطرف الجنسى و الأمراض النفسية المرتبطة بالجنس و لكن دور القلب هنا يشبه دور المعارضة فى العمل السياسى إذ أن له صوت آخر يمتزج مع صوت النفس الراغبة و التى تشتهى دائما كالطفل المدلل الذى لا

يمل من الطلبات، و صوت القلب هذا لا يعرف الكذب فهو كالجهاز المبرمج لأداء وظيفة و وظيفته هو إرشاد الإنسان إلى صحة العمل الذى يقوم به فإذا ارتكبت الحواس أى عمل لا يرضاه اللّه تعالى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۷۹ فإن القلب يضطرب كما هو الحال عند ما يقدم إنسان على سرقة أو رشوة أو قتل أو غش أو كذب أو نظرة إلى امرأة أو سماع لكلام يثير الشهوة و كذلك فى حالة الخوف .. و هكذا هنا القلب يضطرب لأنه يرفض هذه الحالات لأن اللّه تعالى فطره على هذا العمل و إذا استمع الإنسان لهذا الصوت سلم أما إذا لم يفهمه أو لم يستمع إليه فإن الصدأ يصيب القلب شيئا فشيئا حتى يصبح الأمر طبيعيا لدى الشخص صاحب هذا القلب و هؤلاء هم أصحاب القلوب الميتة. هذه الحقائق العلمية هى التى يعتمد عليها جهاز الكشف عن الكذب إذ يضطرب القلب عند ما يكذب بذبذبات أسرع من الحالة الطبيعية بسبب إفراز مادة الأدرينالين، فيسجل الجهاز هذه الذبذبات و يتبين إن كان الرجل يكذب أم لا. و هكذا فإن القلب كأنما ينادى صاحبه، أن احذر يا حاملى فإنك تخالف أمر اللّه و لا يحق لك عمل ذلك، و هذا الأمر بالضبط هو مفتاح اللغز الذى لم يفهم عند الكثيرين فيفسرون خفقان القلب على انه صوت يدعوك لعمل الشىء الذى ترغب النفس له، و لكن الحقيقة هو أن الصوت هذا هو صوت معارض لرغبة النفس لذلك فمن يستمع إليه فإن هذا يقوده إلى تزكية نفسه و تعويدها على تحمل الضغط النفسى الناتج من الغرائز الزائدة عن الحاجة البشرية، و من لا يستمع إليه فإنه سيتبع هواه و غرائزه و ينحدر إلى الحيوانية حتى و إن كان مثقفا أو متعلما علما ماديا إلا أن ميكانيكية سيطرته على هواه لا تزال جاهلة و أمية. و الدليل العلمى لهذا إضافة إلى ما سبق يكمن فى حالتين: الأولى هو أنه فى الحيوانات عند رؤية الجنس الآخر لها لا يضطرب قلبها و هذا منطقى شرعا إذ أن الحيوانات فطرت على الغريزة. و أما الحالة الثانية فتخص البشر إذ أن المتزوجين لا يتعرضون لاضطراب قلبى عند ممارسة الجماع مع أزواجهم أو عند رؤيتهم ما يثير الشهوة الجنسية فيهم بنفس الشدة التى تحصل عند ممارسة الزنا و العياذ باللّه، و هذا دليل أن القلب هنا لا يعترض على هذا إذ أن الأمر لا خطأ فيه و لا جريرة و لكنه مع الأسف يفسر عند الكثيرون خطأ على أن الحب قد مات بين الزوجين بينما هو فى الحقيقة الحالة الطبيعية لعمل القلب ... إذن نحن أمام حقيقة علمية و واقعية تقول إن هذا الأمر كله مبالغ فيه و إن التركيز يجب أن ينصب على كيفية إرشاد الناس إلى الزواج الصحيح و بناء الأسر بشكل عقلانى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۸۰ و ملتزم لا كما يطبل و يزمر له جنود إبليس و خدمة الماسونية و الصهيونية من الفنانين و المطربين علموا أم لم يعلموا، فإن كنت لا تدرى فتلك مصيبة و ان كنت لا تدرى فالمصيبة أعظم، و إن الحب الذى زوروه و حرفوه هو الحب الملائكى العظيم الذى ليس فيه استفادة مادية و لذة شهوانية بل هو حب روحى لمساته وجدانية صافية تسمو بالنفس و تجعلها فى مرحلة ملائكية راقية سامية ألا و هو حب اللّه و رسوله صلّى اللّه عليه و سلّم و دينه و قرآنه و حب الوالدين و الأولاد و الأسرة و الوطن و الأمة و الإخوان و الأصحاب مصداقا لقوله تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۳۱)، (آل عمران: ۳۱)، بينما الحب غير السامى ربطه اللّه تعالى بالشهوة المحرمة و المقصود بها فى غير أبواب الحلال فى قوله تعالى: * وَ قالَ نِسْوَةٌ فِى الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُراوِدُ فَتاها عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَها حُبًّا إِنَّا لَنَراها فِى ضَلالٍ مُبِينٍ (۳۰)، (يوسف: ۳۰). و من يشأ التفصيل فى موضوع الأثر الذى يتركه التلاعب بمشاعر الناس باستخدام موضوع الحب هذا عن طريق التمثيل و الغناء، فهناك كتب صدرت عن الماسونية فى الوطن العربى و سيجد فيها صور فوتوغرافية لممثلين و فنانين مصريين من الجيل القديم و هم يؤدون القسم الماسونى، هؤلاء الذين دفعوا المجتمع إلى الانحراف الخلقى و التفسخ و التهتك فعمت الفوضى، و انقلب الابن و البنت على والديهما تحت شعارات باطلة، و انتشر الزنا، و ابتعدنا عن كل خلق و سمو و معروف دافعت عنه أجيال و سالت بسببه دماء زكية و استشهد فى سبيله مئات الألوف و الملايين من أبناء هذه الأمة العظيمة، و نسينا قول اللّه سبحانه و تعالى وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ ساءَ سَبِيلًا (۳۲)، (الإسراء: ۳۲) و لم يقل (و لا تزنوا) أى كل المقربات و المؤديات إلى الزنا يجب مقاطعتها، و كذلك قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا ذلك لا محالة فالعينين زناهما النظر و الأذنان زناهما الاستماع و اللسان زناه الكلام و اليد زناها البطش و الرجل زناها الخطا و القلب يهوى و يتمنى و يصدق ذلك الفرج و يكذبه» «۱»، و قوله صلّى اللّه عليه و سلّم «إذا زنى

(_____ ۱) أخرجه البخارى (الاستئذان ۶۲۴۳، و القدر ۶۶۱۲)، مسلم (القدر ۲۶۵۷)، و أبو داود و أحمد. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۸۱ العبد خرج منه الإيمان فكان على رأسه كالظلة فإن أقلع رجع إليه» رواه أبو داود و الحاكم و الصحيح الجامع ۵۸۶، و الحقيقة أن الإنسان يجب أن يقى نفسه و أولاده و أهله من الأسباب المؤدية إلى الزنا و أخطرها النظر إلى ما فشا من تبرج و سفور و خلاعة تصديقا لقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم و يثبت الجهل و يشرب الخمر و يظهر الزنا» «۱» .. و ليعلم أولياء الأمور انهم مسئولون أمام اللّه عن هذا لقوله صلّى اللّه عليه و سلّم «أن اللّه سائل كل راع عمّا استرعاه أحفظ أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» رواه النسائى فى الكبرى ۹۱۷۴، السلسلة الصحيحة ۱۶۳۶، و قد ذكرنا الآثار الصحية السيئة للزنا فى كتاب الطب من هذه السلسلة. فصدر و صدق قول اللّه تعالى فى حق أدعياء الفن هؤلاء: إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذابُ الْحَرِيقِ (۱۰)، (البروج: ۱۰). وَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيماً (۲۷)، (النساء: ۲۷) ... و صدق المثل الأجنبى الذى يقول: (إن الأغبياء فقط يقعون فى الحب). أسال اللّه أن يهدينا و يهديهم أجمعين و يعيدنا إلى ديننا الحق عودة حميدة، إلى دين العزة و الرفعة و المجد و العلم العظيم و الخلق الكريم، الدين الذى وصلت به هذه الأمة إلى منزلة لم تصلها أمة عبر التاريخ. و آخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين و أفضل الصلاة و أتم التسليم على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين. اللهم لك الحمد ملء السماوات و ملء الأرض و ملء ما شئت من شيء بعد. إلى اللقاء مع الكتاب القادم و السلام عليكم و رحمة اللّه تعالى و بركاته (_____ ۱) أخرجه البخارى (العلم ۸۰)، و مسلم (العلم ۲۶۷۱)، الترمذى (الفتن ۲۲۰۵)، و ابن ماجة و أحمد. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۸۳

الملحق تاريخ التشريع الإسلامى

اشارة

الملحق تاريخ التشريع الإسلامى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۸۵ تاريخ التشريع الإسلامى «۱»

التشريع الإسلامى:

التشريع الإسلامى: التشريع أو الفقه الإسلامى هو مجموعة الأحكام الشرعية التى أمر اللّه عباده بها، و مصادره أربعة و هى التالية: ۱. القرآن الكريم. ۲. السّنّة النبوية. ۳. الإجماع. ۴. القياس. سوف نتناول فى بحثنا فى هذا الملحق مواضيع تتعلق بالشريعة الإسلامية و تاريخها و كيفية تكاملها و كيفية وصولها إلينا، و سنفصّل مصادر التشريع الإسلامى و نشرح كيفية تدوين القرآن و السنة مع ذكر آراء و مذاهب الصحابة، و نركز على مسألة المذاهب و نشأتها و وجه الحاجة إلى أن يتبع المسلم مذهبا من هذه المذاهب، ذلك لأن الكثيرين لا يعلمون شيئا عن كيفية نشأتها، و من ثم فهم لا يعلمون لما ذا ينبغى لهم أن يتبعوا واحدا منها. و هذا بحث ينبغى على كل مسلم أن يتعلمه لأنه يتعلق تعلقا وثيقا بأساس الدين. و سنبدأ إن شاء اللّه تعالى بدراسة تاريخية للشريعة الإسلامية منذ فجر ظهورها تقريبا إلى يومنا هذا، سائلين المولى عز و جل أن يتقبل منا عملنا المتواضع جدا بقبول حسن، كما نرجو من الإخوة و الأحبة أن لا يقصروا كما عودونا بأى نصيحة أو اقتراح، جزاكم اللّه تعالى عنا كل خير.

أدوار تاريخ التشريع الإسلامى

أدوار تاريخ التشريع الإسلامى ينقسم تاريخ التشريع إلى ستة أدوار: ۱. الدور الأول: التشريع فى حياة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

۲. الدور الثانی: التشریع فی عصر کبار الصحابة (من سنة ۱۱ إلی سنة أربعین هجریة). ۳. الدور الثالث: التشریع فی عهد صغار الصحابة و مـن تلقی عنهـم مـن التـابعین (_____ ۱)

الموسوعة الإسـلامیة المعاصـرة، قرص مدمج/ تاریخ التشـریع الإسلامی. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۸۶ ۴. الدور الرابع: تدوین السـنة و أصول الفقه و ظهور الفقهاء الأربعـة الـذین اعترف الجمهور لهم بالإمامـة و الاجتهاد المطلق، و أنه من اتبع واحدا منهم کان ناجیا عند اللّه تعالی إن شاء اللّه عز و جل. ۵. الدور الخامس: القیام علی المذاهب و تأییدها و شیوع المناظرة و الجدل من أوائل القرن الرابع إلی سقوط الدولة العباسیة. ۶. الـدور السادس: من سـقوط بغداد علی ید هولاکو إلی الآن و هو دور التقلید المحض ... و لا یعنی هذا بأی حال من الأحوال توقف الاجتهاد، فالمسائل المسـتحثة و المسـتجدة التی تسـتوجب الفتوی فإن هناک من علماء الأمـة من یتصـدی لها مخلصا النیة للّه تعال معتمدا علی مصادر التشریع الرئیسیة.

مصادر التشریع الإسلامی:

اشارة

مصادر التشریع الإسلامی: مصادر التشریع الرئیسیة فی الإسلام أربعة، و هی:

۱. القرآن الکریم:

۱. القرآن الکریم: و هو کلام اللّه تعالی و هو المصـدر و المرجع لأحکام الفقه الإسـلامی، فإذا عرضت لنا مسألة رجعنا قبل کل شـیء إلی کتاب اللّه عز و جل لنبحث عن حکمها فیه، فإن وجـدنا فیه الحکم أخـذنا به، و لم نرجع إلی غیره. و لکن القرآن لم یقصد بآیاته کل جزئیات المسائل و تبیین أحکامها و النص علیها، و إنما نص القرآن الکریم علی العقائـد تفصـیلا، و العبادات و المعاملات إجمالا و رسم الخطوط العامة لحیاة المسـلمین، و جعل تفصـیل ذلک للسـنة النبویة. فمثلا: أمر القرآن بالصـلاة، و لم یبین کیفیاتها، و لا عدد رکعاتها. لذلک کان القرآن مرتبطا بالسنة النبویة لتبیین تلک الخطوط العامة و تفصیل ما فیه من المسائل المجملة.

۲. السنّة النبویة:

۲. السنّة النبویة: و هی کل ما نقل عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم من قول أو فعل أو تقریر. و تعدّ فی المنزلة الثانیة بعد القرآن الکریم، شریطة أن تکون ثابتة عن الرسول صلّی اللّه علیه و سلّم بسند صحیح، و العمل بها واجب، و هی ضروریة لفهم القرآن و العمل به.

۳. الإجماع:

۳. الإجماع: هو اتفاق جمیع العلماء المجتهدین من أمة سیدنا محمد صلّی اللّه علیه و سلّم فی عصر من العصور علی حکم شرعی، فإذا اتفق هؤلاء العلماء- سواء کانوا فی عصـر الصـحابة أو بعدهم- علی حکم من الأحکام الشـرعیة کان اتفاقهم هذا إجماعا و کان العمل بمـا أجمعوا علیه واجبا. و دلیل ذلک أن النبی صـلّی اللّه علیه و سـلّم أخبر أن علماء المسـلمین لا یجتمعون علی الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۸۷ ضـلالة، فما اتفقوا علیه کان حقا، فقد روی أحمد فی مسـنده عن أبی بصـرة الغفاری رضـی اللّه عنه: أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سـلّم قال ":سألت اللّه عز و جل أن لا یجمع أمّتی علی ضـلالة فأعطانیها ... "و الإجماع یأتی فی المرتبة الثالثة من حیث الرجوع إلیه، فإذا لم نجد الحکم فی القرآن، و لا فی السـنة، نظرنا هل أجمع علماء المسلمین علیه، فإن وجدنا ذلک أخذنا و عملنا به ... مثاله، إجماع الصحابة رضی اللّه تعالی عنهم علی أن الجد یأخذ سدس الترکة مع الولد الذکر، عند عدم وجود الأب.

۴. القياس:

۴. القياس: و هو إلحاق أمر ليس فيه حكم شرعى بآخر منصوص على حكمه لاتحاد العلة بينهما. و هذا القياس نرجع إليه إذا لم نجد نصا على حكم مسألة من المسائل فى القرآن و لا فى السنة و لا فى الإجماع. فالقياس إذا فى المرتبة الرابعة من حيث الرجوع إليه ... و أركان القياس أربعة: أصل مقيس عليه، و فرع مقيس، و حكم الأصل المنصوص عليه، و علة تجمع بين الأصل و الفرع ... و دليله قوله عز و جل: فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ (۲)، [الحشر: ۲]، أى لا تجمدوا أمام مسألة ما، بل قيسوا وقائعكم الآتية على سنّة اللّه الماضية. و روى مسلم و غيره عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ":إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، و إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر. "و روى أبو داود و الترمذى عن أبى هريرة أن معاذ بن جبل رضى اللّه تعالى عنه أرسله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى اليمن ليعلّم الناس دينهم، فقال صلّى اللّه عليه و سلّم: (يا معاذ بما تقضى؟)، قال: بكتاب اللّه، قال صلّى اللّه عليه و سلّم: (فإن لم تجد فى كتاب اللّه؟)، قال: فبسنّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، قال: (فإن لم تجد؟)، قال: أقيس الأمور بمشبهاتها (و هذا هو الاجتهاد)، فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و قد تهلل وجهه سرورا: (الحمد للّه الذى وفق رسول رسول اللّه لما يرضى رسول اللّه)، و فى رواية أخرى قال صلّى اللّه عليه و سلّم: (فإن لم تجد فى سنة رسول اللّه؟)، قال: أجتهد رأيى و لا آلو (أى أجتهد و لا أترك) ... مثاله: إن اللّه تعالى حرّم الخمر بنص القرآن الكريم، و العلة فى تحريمه: هى أنه مسكر يذهب العقل، فإذا وجدنا شرابا آخر له اسم غير الخمر، و وجدنا هذا الشراب مسكرا حكمنا بتحريمه قياسا على الخمر، لأن علة التحريم- و هى الإسكار- موجودة فى هذا الشراب؛ فيكون حراما قياسا على الخمر. و سيأتى فيما يلى معالجة و تعريف و تبيان كل مصدر من هذه المصادر من خلال الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۸۸ الحديث عن الأدوار التى مر بها تاريخ التشريع الإسلامى.

ضرورة التزام الفقه الإسلامى، و التمسك بأحكامه:

اشارة

ضرورة التزام الفقه الإسلامى، و التمسك بأحكامه: لقد أوجب اللّه تعالى على المسلمين التمسك بأحكام الفقه الإسلامى، و فرض عليهم التزامه فى كل أوجه نشاط حياتهم و علاقاتهم. و أحكام الفقه الإسلامى كلها تستند إلى نصوص القرآن الكريم و السنّة الشريفة. فإذا استباح المسلمون ترك أحكام الفقه الإسلامى، فقد استباحوا ترك القرآن و السنّة، و عطّلوا بذلك مجموع الدين الإسلامى، و لم يعد ينفعهم أن يتسمّوا بالمسلمين أو يدّعوا الإيمان، لأن الإيمان فى حقيقته هو التصديق باللّه تعالى، و بما أنزل فى كتابه، و فى سنّة نبيّه صلّى اللّه عليه و سلّم ... و الإسلام الحقيقى يعنى الطاعة و الامتثال لكل ما جاء به الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم عن ربه عز و جل مع الإذعان و الخضوع و الرضا. و أحكام الفقه الإسلامى ثابتة لا تتغير و لا تتبدل مهما تبدّل الزمن و تغيّر، و لا يباح تركها بحال من الأحوال. فشرع اللّه صالح لكل زمان و مكان، و الأدلة من القرآن و السنّة كثيرة و عديدة. أما فى الكتاب، فقد قال اللّه تعالى: اتَّبِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لا- تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ قَلِيلًا ما تَذَكَّرُونَ (۳)، [الأعراف: ۳] ... فَلا- وَ رَبِّكَ لا- يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً (۶۵)، [النساء: ۶۵] ... وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا، [الحشر: ۷] ... وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِيناً (۳۶)، [الأحزاب: ۳۶] ... و أما فى السنة فالأحاديث كثيرة أيضا منها: - ما رواه البخارى و مسلم عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ": من أطاعنى فقد أطاع اللّه، و من عصانى فقد عصى اللّه - ".ما رواه أبو داود و الترمذى قوله صلّى اللّه عليه و سلّم ":عليكم بسنّتى. "و بناء على هذه النصوص يعدّ من يختار من الأحكام غير ما اختاره اللّه و رسوله، قد ضلّ ضلالا بعيدا، قال تعالى: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ

(۶۳)، [النور: ۶۳]. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۸۹ و سنتناول فيما يأتى من هذا الملحق إن شاء اللّه تعالى معالجة أهم النقاط المتعلقة بالأدوار الأربعة الأولى فقط و التى تهمنا.

۱- الدور الأول: التشريع فى حياة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الكتاب و السنة:

اشارة

۱- الدور الأول: التشريع فى حياة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الكتاب و السنة: من المعلوم أنّ أهم مصدرين من مصادر الشريعة الإسلامية هما كتاب اللّه عز و جل و سنة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فهما المصدران الأساسيان للتشريع الإسلامى و سائر أحكام الإسلام. و لكن فى الحقيقة هناك مصدر أساسى واحد لا ثانى له للشريعة الإسلامية ألا و هو القرآن الكريم، و لكن لما أمرنا اللّه عز و جل أن نتّخذ من كلام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم شارحا و مبيّنا و مفصّلا لكتابه الكريم، كانت السنة النبوية بأمر القرآن المصدر الثانى للتشريع. لقد أمرنا اللّه تعالى أن نطيع الرسول عليه الصلاة و السلام فى ما أخبر و أن نعتمد على شرحه فى غوامض كتاب اللّه، فطاعتنا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إنما هى فرع من طاعة اللّه عز و جل. قال تعالى: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ، [النساء: ۸۰] .. وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (۴۴)، [النحل: ۴۴] ... وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ احْذَرُوا، [المائدة: ۹۲] .. وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا، [الحشر: ۷] .. وَ ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، [النحل: ۶۴] .. إذا فالشريعة الإسلامية فى عهد النبى عليه الصلاة و السلام، كانت تعتمد اعتمادا فعليا على مصدرين فقط هما القرآن و السنة، أما الإجماع و القياس فلم يكن لهما وجود فى ذاك العصر لأن القياس يلجأ إليه عند وجود مسألة لا نص فيها، و ما دام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم حيا فالنص مستمر و لا إشكال و حتى لو أنّ النبى عليه الصلاة و السلام قاس أو اجتهد فلا بد أن يتحول هذا الاجتهاد إلى نص. و تفصيل ذلك أنه إذا اجتهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى مسألة فإما أن يقره اللّه تعالى عليها فتصبح نصا حينئذ أو أن يصوب اللّه تعالى له فيكون نصا أيضا.

۱- القرآن الكريم:

أ- تعريفه:

أ- تعريفه: هو كلام اللّه تعالى القديم، المنزل على سيدنا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، المتعبّد بتلاوته، المبتدأ ب بسم اللّه الرحمن الرحيم، الحمد للّه رب العالمين و المختتم بسورة الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۹۰ الناس. و القرآن الكريم هو وحى من اللّه تعالى للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم باللفظ و المعنى.

ب- الفرق بينه و بين الحديث النبوى و الحديث القدسى:

ب- الفرق بينه و بين الحديث النبوى و الحديث القدسى: لكى نعرف الفرق بين القرآن و بين الحديث القدسى و الحديث النبوى، نعطى التعريفين الآتيين: - الحديث النبوى: هو ما أضيف إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقيّة أو خلقيّة. مثال القول: قوله عليه الصلاة و السلام ":إنما الأعمال بالنيات، " ...جزء من حديث رواه البخارى و مسلم. مثال الفعل: قول عائشة رضى اللّه عنها فى صفة صوم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ":كان يصوم حتى نقول لا يفطر و يفطر حتى نقول لا يصوم. " و

كالـذى ثبت من تعليمه لأصـحابه كيفية الصـلاة ثم قال ":صـلوا كما رأيتمونى أصـلى "رواه البخارى. مثال الإقرار: كأن يقر أمرا علمه عن أحد الصحابة من قول أو فعل، سواء أ كان ذلك فى حضرته صلّى اللّه عليه و سلّم، أم فى غيبته ثم بلغه، و من أمثلته ":أكل الضب على مائدته صلّى اللّه عليه و سلّم، "فأقرهم على أكله- و هذا دليل الشافعية على جواز أكل الضب- و لم ينكر عليهم ذلك إذ يستحيل أن يرى معصية و لا ينكرها أو يسكت عنها. فائدة: إذا فعل إنسان طاعة و سكت عنها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، دل ذلك على استحبابها فضلا عن جوازها، لأنه لا يجوز لأحد أن يختلق طاعة ما ليتعبّد اللّه بها، فليس للعبد أن يتعبّد له بأمر لم يأمره به جل و علا، من هنا كان عدم صحة و جواز النذر إلا فيما كان من جنسه طاعة أو واجب، فمن نذر أن يشرب كوب ماء مثلا، لا يصح نذره و بالتالى لا يلزمه الوفاء به. مثال الصفة: ما روى: من أنه صلّى اللّه عليه و سلّم "،كان دائم البشر، سهل الخلق، " ...رواه البخارى و مسلم. - الحديث القدسى: هو ما يضيفه النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى اللّه تعالى: أى أنّ النبى صلّى اللّه عليه و سلّم يرويه على أنه من كلام اللّه، فالرسول عليه الصلاة و السلام راو لكلام اللّه بلفظ من عنده. فالحديث القدسى معناه وحى من عند اللّه عز و جل و لفظه من عند النبى صلّى اللّه عليه و سلّم. مثال الحديث القدسى: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فيما يرويه عن ربه عز و جل ":إنى حرمت الظلم على نفسى و جعلته بينكم محرما. "الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۹۱ و عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: يقول اللّه تعالى ":أنا عند ظن عبدى بى، و أنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، " ...أخرجه البخارى و مسلم. إذا فالحديث القدسى هو حديث تلقى الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم مضمونه من الوحى فبيّنه للناس بكلامه و لفظه أى أوحى اللّه تعالى له بالمعنى و الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم صاغ هذا المعنى بعبارته. - الفرق بين القرآن و الحديث النبوى: هناك فروق عدة أهمها: ۱- أنّ القرآن الكريم كلام اللّه أوحى به تبارك و تعالى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بلفظه و معناه، و تحدى به العرب الفصحاء و الجن و الإنس و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا، فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، و لا يزال التحدى قائما، فهو معجزة خالدة إلى يوم الدين. أما الحديث لم يقع به التحدى و الإعجاز. إعجاز السنّة لا يضاهى إعجاز القرآن رغم أنّ السنة تعتبر من أفصح كلام العرب حيث ورد فى الحديث الشريف أنه صلّى اللّه عليه و سلّم أوتى جوامع الكلم، إلا أنها تأتى بالمرتبة الثانية بعد القرآن. ۲- القرآن الكريم جميعه منقول بالتواتر، فهو قطعى الثبوت، و الأحاديث أكثرها ظنية الثبوت أما الأحاديث المتواترة فهى قطعية الثبوت. فائدة: كون الحديث قدسيا لا يعنى أنه متواتر أو صحيح، إذ لا علاقة بين كونه قدسيا و بين درجته، فقد يكون الحديث القدسى صحيحا، و قد يكون حسنا، و قد يكون ضعيفا أو حتى موضوعا، ذلك لأن الحكم على الحديث من حيث الصحة أو الضعف إنما يكون على السند الذى وصل به إلينا. ۳- القرآن من عند اللّه لفظا و معنى، فهو وحى باللفظ و المعنى، أما الحديث فمعناه من عند اللّه و لفظه من عند الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم، فهو و حى بالمعنى دون اللفظ. ۴- القرآن نتعبّد اللّه بتلاوته، فهو الذى تتعين القراءة به فى الصلاة، أما الحديث فلا تجزئ قراءته فى الصلاة. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۹۲

ج- نزول القرآن الكريم «۱»:

اشارة

ج- نزول القرآن الكريم «۱»: الراجح أنّ القرآن له تنزلان: الأول: نزوله جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ فى السماء السابعة إلى بيت العزة فى السماء الدنيا. يقول اللّه تعالى فى كتابه العزيز مبينا هذا المعنى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ، [البقرة: ۱۸۵] ... و قال جل و علا: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (۳) فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (۴)، [الدخان: ۳- ۴]، أى فى ليلة القدر و ليست ليلة النصف من شعبان كما يعتقد كثير من عامة الناس ... و قال تبارك و تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ (۱)، [القدر: ۱]. الثانى: نزوله من السماء الدنيا إلى الأرض مفرّقا منجما فى ثلاث و عشرين سنة ... يقول

اللّه تعالى: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا (۱۰۶) [الإسراء: ۱۰۶] ... تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (۲) [الجاثية: ۲]. هذه الآيات و كثير غيرها، تفيد أنّ جبريل عليه السّلام نزل به على قلب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و أنّ هذا النزول غير النزول الأول إلى السماء الدنيا فالمراد به نزوله منجّما أى على دفعات، و يدل التعبير بلفظ التنزيل دون الإنزال على أنّ المقصود النزول على سبيل التدرج، فالتنزيل لما نزل مفرقا و الإنزال أعم يفيد النزول دفعة واحدة كما كان حال التوراة و الإنجيل، قال تعالى: الم (۱) اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (۲) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ (۳) مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ أَنْزَلَ الْفُرْقانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ (۴)، [آل عمران . و قد نزل القرآن منجّما فى ثلاث و عشرين سنة منها ثلاث عشرة سنة بمكة على الرأى الراجح، و عشر بالمدينة، و كان ينزل بحسب الوقائع و الأحداث خمس آيات و عشر (_____ ۱) لتفاصيل فى هذا العلم انظر كتبنا (القرآن منهل العلوم- طبع الجامعة الإسلامية ببغداد)، و كتاب (استنباط الحلول من أسباب النزول). الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۹۳ آيات و أكثر أو أقل.

الحكمة من نزوله منجّما:

الحكمة من نزوله منجّما: ۱- تثبيت فؤاد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و تكريمه بإنزال الوحى عليه مرارا و تكرارا. قال تعالى: كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا (۳۲)، [الفرقان: ۳۲]. قال السخاوى "فى نزوله إلى السماء جملة تكريم بنى آدم و تعظيم شأنهم عند الملائكة و تعريفهم عناية اللّه بهم، و رحمته لهم، و لهذا المعنى أمر سبعين ألفا من الملائكة أن تشيع سورة الأنعام، و زاد سبحانه فى هذا المعنى بأن أمر جبريل بإملائه على السفرة الكرام، و إنساخهم إياه، و تلاوتهم له ".۲- التحدى و الإعجاز. ۳- تيسير حفظه و فهمه و تدبر معانيه و الوقوف عند أحكامه. ۴- مراعاة حال المخاطبين بالوحى و عدم مفاجأتهم بما لا عهد لهم به و مسايرة الحوادث و التدرج فى التشريع .. و أوضح مثال على ذلك، التدرج فى تحريم الخمر: فقد نزل قوله تعالى: وَ مِنْ ثَمَراتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَ رِزْقاً حَسَناً، [النحل: ۶۷] أشارت الآية إشارة خفية إلى أن الخمر ليس رزقا أى لا ينتفع به. ثم نزل قوله تعالى:* يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما، [البقرة: ۲۱۹]، ثم نزل قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى [النساء: ۴۳]، ثم قال تبارك و تعالى مصرّحا بالنهى و التحريم القاطع فى سورة المائدة: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۹۰)، [المائدة: ۹۰]. ۵- الدلالة القاطعة على أنّ القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد، إذ لو كان من كلام البشر لوقع فيه التفكك و الانفصام و استعصى أن يكون بينه التوافق و الانسجام، يقول تعالى: وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً (۸۲)، [النساء: ۸۲]. فأحاديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم- و هى ذروة الفصاحة و البلاغة بعد القرآن الكريم- لا تنتظم حباتها فى كتاب واحد سلس العبارة، دقيق السبك، مترابط المعانى، الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۹۴ رصين الأسلوب و متناسق الآيات و السور.

د- نزول القرآن على سبعة أحرف:

اشارة

د- نزول القرآن على سبعة أحرف: لقد كان للعرب لهجات شتى، فكل قبيلة لها من اللحن فى كثير من الكلمات ما ليس للآخرين، إلا أنّ قريشا من بين العرب قد تهيّأت لها عوامل جعلت للغتها الصدارة بين فروع العربية الأخرى، فكان طبيعيا أن يتنزّل القرآن بلغة قريش تأليفا للعرب و تحقيقا لإعجاز القرآن ... فقد أخرج أبو داود من طريق كعب الأنصارى أن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه كتب إلى

ابن مسعود رضى اللّه عنه ":إنّ القرآن نزل بلسان قريش، فأقرئ الناس بلغة قريش. "...و لقد كان واضحا لكبار الصحابة رضوان اللّه عليهم أنّ القرآن إنما نزل بلسان قريش قوم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و فى ذلك حكم جليلة أهمها: ۱- أنّ قريشا هم قوم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و قد جرت سنّة اللّه فى رسله أن يبعثهم بألسنة أقوامهم، قال تعالى: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...، [إبراهيم: ۴]. ۲- أنه عليه الصلاة و السلام قد أمر بتبليغهم الرسالة أولا، قال تعالى: وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (۲۱۴)، [الشعراء: ۲۱۴]. فلا بد من مخاطبتهم بما يألفون و يعرفون ليستبين لهم أمر دينهم. فأنزل اللّه القرآن بلغتهم و أساليبهم التى يفضلونها فى مستوى رفيع من البلاغة لا يجارى. ۳- إنّ لغة قريش هى أفصح اللغات العربية و هى تشمل معظم هذه اللغات لاختلاط قريش بالقبائل و لاحتوائها الجيّد الفصيح من لغاتها. و إذا كان العرب تتفاوت لهجاتهم فى المعنى الواحد بوجه من وجوه التفاوت، فكان لا بد للقرآن أن يكون مستجمعا و شاملا لهذه اللهجات مما ييسر على العرب القراءة و الحفظ و الفهم. و نصوص السنّة قد تواترت بأحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف. عن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه قال ":سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم. فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم. فكدت أساوره فى الصلاة. فتصبّرت حتى سلّم فلبّبته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ، قال: أقرأنيها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم. فقلت له الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۹۵ كذبت، أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم. فقلت: إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها. فقال صلّى اللّه عليه و سلّم: أرسله. اقرأ يا هشام، فقرا القراءة التى سمعته ... فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: كذلك أنزلت. ثم قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: اقرأ يا عمر، فقرأت التى أقرأنى فقال صلّى اللّه عليه و سلّم: كذلك أنزلت. إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسّر منه، "رواه البخارى و مسلم و أبو داود و النسائى و الترمذى و أحمد و ابن جرير. قوله ":فكدت أساوره فى الصلاة: "أى أواثبه و أقاتله، و قال النووى: أى أعاجله و أواثبه ... و قوله ":فلبّبته بردائه: "أى جمعت عليه ثوبه عند لبّته و جررته به لئلا يتفلت منى. و اللبة: الهزمة التى فوق الصدر، و فيها تنحر الإبل ... و قوله ":كذبت: "أى أخطأت، لأن أهل الحجاز يطلقون الكذب فى موضع الخطأ ... و سبب تخطئة عمر كان بسبب رسوخ قدمه فى الإسلام بخلاف هشام فإنه كان قريب العهد بالإسلام فخشى عمر من ذلك أن لا يكون أتقن القراءة، بخلاف نفسه فإنه أتقن ما سمع، و كان سبب اختلاف قراءتهما أن عمر حفظ هذه السورة من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قديما، ثم لم يسمع ما أنزل فيها بخلاف ما حفظه و شاهده و لأن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أقرأ هشاما على ما نزل أخيرا فنشأ اختلافهما من ذلك. و مبادرة عمر للإنكار محمولة على أنه لم يكن سمع حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف إلا فى هذه الحادثة. يفيد هذا الحديث أنّ النزاع بين الصحابيين الجليلين راجع إلى كيفية تلاوة القرآن، لا إلى تفسيره و بيان معانيه و هذا يبرهن على أنّ القرآن يقرأ بأكثر من وجه. و هذه الأوجه التى أنزل عليها القرآن ليست من لغة واحدة بل هى من عدة لغات عربية كلها توقيفية أى أوحى بها إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم. و روى مسلم فى صحيحه عن أبى بن كعب قوله رضى اللّه عنه ":كنت فى المسجد فدخل رجل يصلى فقرأ قراءة أنكرتها عليه. ثم دخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم. فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه. و دخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه. فأمرهما رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقرءا. فحسّن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم شأنهما. فسقط فى نفسى من التكذيب و لا إذ كنت فى الجاهلية. فلما رأى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ما قد غشينى ضرب فى صدرى ففضت عرقا و كأنى أنظر إلى اللّه عز و جل فرقا، فقال لى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۹۶ صلّى اللّه عليه و سلّم: (يا أبى أرسل إلىّ أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هوّن على أمّتى فردّ إلىّ الثانية اقرأه على حرفين. فرددت إليه أن هوّن على أمّتى. فردّ إلىّ الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها فقلت: اللهم اغفر لأمّتى. اللهم اغفر لأمّتى، و أخّرت الثالثة ليوم يرغب إلىّ الخلق كلهم حتى إبراهيم صلّى اللّه عليه و سلّم). يتبيّن من ذلك أن كل حرف من الأحرف السبعة تنزيل من حكيم حميد. و قد يتساءل المرء عن كلام اللّه تعالى كيف يقرأ على سبعة أوجه ...؟ و قد تعتريه الدهشة و يختلجه

الشک بإثارة الشيطان وساوسه فی نفسه ليکدر صفو إيمانها، و يوهن من قوة يقينها باللّه و رسوله و کتابه. و فی هذا الحديث معالجة عملية لمثل هذه الحالة النفسية الدقيقة الحرجة. فالرسول صلوات اللّه و سلامه عليه و علی آله يباشر بنفسه القيام بهذه المداواة. فلقد ضرب فی صدر الصحابی الجليل ضربة نبويّة قطع بها دابر الشک الوافد قبل استقراره و تمکنه، فأخذ علی الشيطان سبيله إلی قلب أبیّ، ثم أتبع ذلک ببيان يثلج الصدر ببرد اليقين، و يفعم القلب بنور الإيمان، أعلی مراتب الإيمان "اعبد اللّه کأنک تراه "مما جعل أبيا يری نفسه کماثل أمام الحضرة الإلهية، فغشيه شعور عظيم بالمهابة و الحياء من اللّه، و يروعه ما کاد ينزلق فيه بعد إذ هداه اللّه من ضلال أشد من ضلال الجاهلية، فانتابه إحساس قوی بالخجل و الوجل فلاذ بالإذعان لمشيئة اللّه و حکمته البالغة التی قضت بإنزال القرآن علی سبعة أحرف. ما المراد بالأحرف السبعة؟: اختلف العلماء فی المراد بالأحرف السبعة، و تشعبت أقوالهم، و تعددت، و لکننا سنورد أرجح الأقوال و هو قول محمد بن الجزری فی بيان المراد بحديث أنزل القرآن علی سبعة أحرف. قال ابن الجزری: لا زلت أستشکل هذا الحديث و أفکر فيه و أمعن النظر من نيف و ثلاثين سنة، حتی فتح اللّه علیّ بما يمکن أن يکون صوابا إن شاء اللّه. ذلک أنی تتبعت القراءات صحيحها و شاذها و ضعيفها و منکرها فإذا هو يرجع اختلافها إلی سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها و ذلک: أولا- الاختلاف فی الحرکات بلا- تغير فی المعنی و الصورة: نحو: (البخل) بأربعة أوجه و (يحسب) بوجهين. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۹۷ ثانيا: الاختلاف فی الحرکات بتغير المعنی فقط: نحو: فَتَلَقَّی آدَمُ مِنْ رَبِّهِ کَلِماتٍ، [البقرة: ۳۷]، و قرئ بنصب" آدم "و رفع "کلمات. "ثالثا: الاختلاف فی الحروف بتغير المعنی لا- الصورة: نحو: (تبلو) و (تتلو) و (ننجيک ببدنک) و (ينجيک ببدنک). رابعا: الاختلاف فی الحروف بتغير الصورة لا المعنی: نحو: (بصطة و بسطة) و نحو (الصراط و السراط). خامسا: الاختلاف فی الحروف بتغير الصورة و المعنی: نحو: (فامضوا، فاسعوا). سادسا: الاختلاف فی التقديم و التأخير: نحو: (فيقتلون و يقتلون)، قرئ (فيقتلون و يقتلون). سابعا: الاختلاف فی الزيادة و النقصان: نحو: (أوصی، و وصی). قال ابن الجزری: فهذه سبعة لا يخرج الاختلاف عنها. و هنا لا بد من التوضيح بأن کل کلام اللّه المنزل علی سيدنا محمد صلّی اللّه عليه و سلّم منسجم يؤکد بعضه بعضا، و يفسر بعضه الآخر، لا تصادم بين نصوصه و لا تنافی بين مدلولاته .. قال تعالی: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ کانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً کَثِيراً (۸۲)، [النساء: ۸۲]. و هذه الحقيقة تنطبق علی القرآن فی قراءاته علی حرف أو علی السبعة بمجموعها. فإنها جميعا لا تخرج فی تفاوتها إلی تصادم النصوص أو تنافی المدلولات، بل التوسعة بالأحرف السبعة لا تحلّ حراما و لا تحرم حلالا. قال ابن شهاب الزهری ":بلغنی أن تلک السبعة الأحرف إنما هی فی الأمر الذی يکون واحدا، لا يختلف فی حلال و لا حرام. "و حکی ابن عطية انعقاد الإجماع علی ذلک ":فالإجماع أن التوسعة لم تقع فی تحريم حلال، و لا فی تحليل حرام، و لا فی تغيير شیء من المعانی المذکورة. "الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۹۸

حکمة نزول القرآن علی سبعة أحرف:

حکمة نزول القرآن علی سبعة أحرف: ۱- تيسير القراءة و الحفظ و التخفيف علی العباد و التسهيل عليهم و مراعاة حال العرب فی اختلاف ألسنتهم. ۲- مزيد الإعجاز اللغوی فی القرآن. ۳- الإعجاز فی المعانی و الأحکام ذلک أن حکما فقهيا معينا أو معنی جديدا يفهم من قراءة أخری کقوله تعالی: وَ يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذیً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِی الْمَحِيضِ وَ لا- تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّی يَطْهُرْنَ، [البقرة: ۲۲۲]، و فی قراءة حَتَّی يَطْهُرْنَ، فأفادت القراءة الثانية عدم جواز مجامعة الرجل زوجته إذا طهرت من حيضها حتی تغتسل. ۴- توحيد لغات العرب. فلقد نزل القرآن بلسان قريش أولا- ثم أنزلت الحروف لتسهّل تلاوته للعرب قاطبة علی اختلاف لغاتهم، لأن الحروف قد راعت تفاوت اللغات فی الألفاظ التی يحرج العرب النطق بها کونها قرشية. ۵- الأحرف السبعة خصيصة لأمة محمد صلّی اللّه عليه و سلّم. قال الإمام ابن الجزری مفصلا حکم إنزال القرآن علی سبعة أحرف ":و منها إعظام أجور هذه الأمة من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم فی تتبع معانی ذلک و استنباط الحکم و الأحکام من دلالة کاللفظ ... و منها بيان فضل هذه الأمة و

شرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقى و إقبالهم عليه و البحث عنه لفظة لفظة و الكشف عنه صيغة صيغة، فلم يهملوا تحريكا و لا- تسكينا و لا تفخيما و لا ترقيقا ... مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم. الأحرف السبعة مزية للقرآن على الكتب السماوية: قال الطبرى فى شرح حديث الأحرف السبعة ":و معنى ذلك كله، الخبر منه صلّى اللّه عليه و سلّم عما خصه اللّه تعالى به و أمته من الفضيلة و الكرامة التى لم يؤتها أحدا فى تنزيله. و ذلك أن كل كتاب تقدم كتابنا نزوله على نبى من أنبياء اللّه، صلوات اللّه عليهم، فإنما نزل بلسان واحد، متى حول إلى غير اللسان الذى نزل به كان ذلك له ترجمة و تفسيرا لا تلاوة له على ما أنزله اللّه ... و منها ظهور سر اللّه تعالى فى توليه حفظ كتابه العزيز و صيانة كلامه المنزل بأوفى البيان و التمييز. " ..الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۹۹ و نشير هنا إلى أن الأحرف السبعة لا تعنى القراءات السبعة بل تعنى سبعة أوجه فى الخلاف و قد وصل إلينا عشرة قراءات متواترة لكتاب اللّه تعالى. القراءات هى اختلاف ألفاظ الوحى فى كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف و تثقيل و غيرهما. و قد عرّف ابن الجزرى القراءات بقوله ":علم القراءات، علم بكيفية أداء كلمات القرآن و اختلافها حسب ناقليها."

ه- جمع القرآن و ترتيبه:

اشارة

ه- جمع القرآن و ترتيبه: كلمة جمع تأتى بمعنيين: المعنى الأول: بمعنى حفظه و منه يقال جمّاع القرآن أى حفّاظه، و هذا المعنى هو الذى ورد فى قوله تعالى: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (۱۷)، [القيامة: ۱۷] ذلك أنه كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يجهد نفسه و يردد وراء جبريل حين كان ينزل عليه بالوحى خشية أن لا يحفظ ما أنزل عليه فأنزل اللّه تعالى هذه الآية تطمينا للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم و تثبيتا لفؤاده حيث أوضحت الآية الكريمة أن اللّه سبحانه و تعالى قد تعهد بتحفيظه إياه و عدم نسيانه و تفهميه معناه. المعنى الثانى، جمع القرآن بمعنى كتابته كله فى صحيفة واحدة بين دفتى كتاب.

۱- جمع القرآن بمعنى حفظه على عهد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم:

۱- جمع القرآن بمعنى حفظه على عهد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم مولعا بالوحى، يترقّب نزوله بشوق، فما من آية تنزل إلا و يدعو ثلة من أصحابه، اختارهم لكتابة الوحى، فيأمرهم بكتابة ما نزل. و كان كلما نزلت آية حفظت فى الصدور و وعتها القلوب. و قد اتخذ النبى عليه الصلاة و السلام كتّابا للوحى منهم: الخلفاء الأربعة، و عبد اللّه بن مسعود و معاذ بن جبل و زيد بن ثابت و أبى بن كعب و خالد بن الوليد و غيرهم رضى اللّه عنهم. و هكذا كان القرآن يكتب آية فآية و مقطعا فمقطعا. و لم يكن ترتيبه حسب ترتيب النزول بل كان سيدنا جبريل يقول للمصطفى عليه الصلاة و السلام إنّ اللّه يأمرك أن تضع هذه الآية على رأس كذا آية من سورة كذا، فيأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كتّاب الوحى بوضع هذه الآية فى ذلك المكان. و عند ما نزلت آخر آية- على الرأى الذى رجّحه كثير من علماء الحديث- و هى قول اللّه تعالى: وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۰۰ (۲۸۱)، [البقرة: ۲۸۱]، قال جبريل لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، ضع هذه الآية على رأس مائتين و واحد و ثمانين آية من سورة البقرة بين آيتى الربا و الدّين. و هكذا تكامل نزول القرآن كله، و توفى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بعد ذلك بتسع ليال. و كان صلّى اللّه عليه و سلّم يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده من كتاب اللّه، و قد عرضه كله مرتين عليه فى نفس السنة التى توفى فيها صلّى اللّه عليه و سلّم. إذا القرآن كان يكتب من فم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و كان الصحابة يخطّونه على جريد النخل و صفائح الحجارة و رقاع الجلد ... و هذا يدل على مدى المشقة التى كانوا يتحملوها فى الكتابة حيث لم تتيسر لهم أدوات الكتابة إلا بهذه الوسائل. و لم تكن هذه الكتابة فى عهد النبى صلّى

اللّه عليه و سلّم مجتمعة فى مصحف عام، و لم يجمع الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم القرآن بين دفتى كتاب فى حياته لأن إمكان نزول الوحى كان مستمرا كما أنّ إمكان نسخ بعض الآيات كان مستمرا. و قبض النبى عليه الصلاة و السلام و القرآن محفوظ فى الصدور و مكتوب على نحو ما سبق، بالأحرف السبعة التى أنزل عليها، و هذا ما يسمى بالجمع الأول (حفظا و كتابة).

۲- ترتيب الآيات و السور:

۲- ترتيب الآيات و السور: إنّ ترتيب الآيات و السور فى القرآن الكريم توقيفى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن جبريل عليه السّلام عن رب العزة سبحانه و تعالى و هذا بإجماع العلماء، فقد كان جبريل عليه السّلام يتنزل بالآيات و يرشد إلى موضعها من السورة أو الآيات التى نزلت قبل، فيأمر الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم كتبة الوحى بكتابتها فى موضعها. أخرج الحاكم فى المستدرك بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت أنه قال ":كنا عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم نؤلف القرآن من الرقاع، ("أى كنا نرتب الآيات و السور وفق إشارة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم).

۲- تاريخ الحديث النبوى:

كتابة الحديث فى عهد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم:

كتابة الحديث فى عهد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: من المتفق عليه أنّ النبى عليه الصلاة و السلام منع أصحابه من كتابة غير القرآن فى أول عهد النبوة خلال ثلاث سنوات أو تزيد قليلا، و قد صح عنه عليه الصلاة و السلام أنه قال لأصحابه ":لا تكتبوا عنى غير القرآن و من كتب عنى فليمحه. "و لكن الأمر اختلف فيما بعد حيث سمح لهم بعد ذلك بالكتابة. لكن ترى ما الحكمة فى ذلك؟. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۰۱ السبب أنّ النبى صلّى اللّه عليه و سلّم خشى فى أول الأمر أن يلتبس على الناس أسلوب القرآن بأسلوب الحديث فيختلط عليهم هذا بذاك فيكتبون حديثا و هم يظنونه قرآنا أو يكتبون آية و هم يظنونها حديثا و هذا احتمال وارد جدا، لأن الصحابة لم يتعرفوا بعد على القرآن تعرفا تاما و لم يتذوقوه تذوقا يجعلهم يفرّقون بينه و بين غيره من أحاديث النبى عليه الصلاة و السلام ... فلما نزل قسط كبير من القرآن، و تعرفوا إلى أصوله و خصائصه، أذن لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أن يكتبوا الحديث. و لقد صح عن النبى عليه الصلاة و السلام أنّ بعضا من الصحابة نهى عبد اللّه بن عمر رضى اللّه عنهما أن يكتب عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الحديث و قال إنّ رسول اللّه بشر و هو ينطق بالغضب و الرضى فلا تكتب إلا القرآن، فذهب و سأل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم عن ذلك فقال له ":اكتب، فو اللّه لا يخرج منه- و أشار إلى فمه- إلا الحق. "كما ورد أيضا عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أنه قال ":لم يكن أحد من الصحابة أكثر منى حديثا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلا ما كان من شأن عبد اللّه بن عمر فإنه كان يكتب و لم أكن أكتب. "إذا قسط يسير من حياة النبى عليه الصلاة و السلام بعد البعثة، الحديث لم يكن يكتب فيه و القسط الأكبر كان يكتب على قطع متفرقة من الصحف و الأوراق و نحو ذلك و لم يدوّن- أى لم يجمع بين دفتى كتاب- لا فى حياته و لا بعد وفاته عليه الصلاة و السلام إلا فى ما بعد أواخر عصر التابعين- كما سوف نرى- على يد أبى بكر بن حزم رضى اللّه عنه و من ثم باقى العلماء من بعده بأمر من عمر بن عبد العزيز ثم باقى العلماء من بعده كالإمام مالك و أحمد و غيرهم. فائدة: الفرق بين الكتابة و التدوين: الكتابة هى أن يكتب الإنسان ما يريد كتابته فى أوراق متفرقة دون ضم بين دفّتى كتاب، و هذا ما يسمى بالكتابة المطلقة. أما التدوين فهو جمع ما يراد كتابته مرتبا بين غلافين فى كتاب واحد ... من هنا كان خلط المستشرقين بين الكتابة و التدوين، لجهلهم باللغة العربية- إن حسنّا الظن بهم- فقالوا إنّ الحديث لم يكتب إلا بعد وفاة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و انقراض

عصر الصحابة و الحقيقة أنّ الحديث كتب و لكنه لم يدوّن أى لم يجمع بين دفتى كتاب. و لقد كان عند سيدنا على رضى اللّه عنه صحيفة تسمى "الصحيفة الصادقة "و لكنها ليست صحيفة واحدة فقد كان مكتوب فيها مجموعة أحاديث متفرقة، و كثيرون آخرون من الصحابة كانوا يكتبون أيضا. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۰۲

۲- الدور الثانى: التشريع فى عصر كبار الصحابة

الكتاب و السنة فى الدور الثانى:

اشارة

الكتاب و السنة فى الدور الثانى: توفى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و قد تكامل القرآن نزولا و لكنه لم يجمع فى مصحف واحد بين دفتى كتاب، بل كان محفوظا فى صدور الحفّاظ و صحف كتّاب الوحى، و كان عدد الحفاظ فى العهد النبوى كثيرا جدا. و كان قد وعى كثير من الصحابة حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، بعضهم فى الصدور كأبى هريرة، و بعضهم فى الكتابة فى السطور لا تدوينا. و تولى أبو بكر رضى اللّه عنه الخلافة و لا يزال التشريع يعتمد على مصدرين أساسيين هما القرآن و السنة، و سنتكلم أولا عن القرآن و ما طرأ عليه من جديد.

أ- القرآن الكريم فى عهد أبى بكر رضى اللّه عنه

أ- القرآن الكريم فى عهد أبى بكر رضى اللّه عنه حصل فى أول عهد أبى بكر رضى اللّه عنه ما دفعه إلى وجوب جمع القرآن كله فى مصحف ذلك أنه واجهته أحداث جسام فى ارتداد جمهرة العرب، فجهز الجيوش لحروب المرتدين، و كانت غزوة أهل اليمامة سنة ۱۲ للهجرة تضم عددا كبيرا من الصحابة القرّاء، فاستشهد فى هذه الغزوة سبعون قارئا (أى حافظا) من الصحابة، فهال ذلك عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه، فدخل على أبى بكر و أشار عليه بجمع القرآن و كتابته بين دفتى كتاب خشية الضياع بسبب وفاة الحفاظ فى المعارك. و لكن أبا بكر نفر من هذه الفكرة و كبر عليه أن يفعل ما لم يفعله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و ظل عمر يراوده حتى شرح اللّه تعالى صدر أبى بكر لهذا الأمر، فأرسل إلى زيد بن ثابت لمكانته فى القراءة و الكتابة و الفهم و العقل، و لأنه كان صاحب العرضة الأخيرة على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أى كان آخر الصحابة الذين قرءوا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كاملا و قال صلّى اللّه عليه و سلّم ":خذوا عنه القرآن "أو بما معناه، و قصّ عليه قول عمر رضى اللّه عنه. نفر زيد من ذلك كما نفر أبو بكر الذى ظل يراجعه حتى شرح اللّه تعالى صدره لذلك. و يروى زيد بن ثابت فيقول ":قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك، و قد كنت تكتب الوحى لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فتتبع القرآن فاجمعه. يقول زيد ":فو اللّه لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل مما أمرنى به من جمع القرآن، "و قال لأبى بكر: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؟. قال: هو و اللّه خير، فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح اللّه صدرى للذى شرح الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۰۳ اللّه له صدر أبى بكر و عمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب و اللخاف و صدور الرجال، و وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى. لم أجدها مع غيره لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، [التوبة: ۱۲۸] حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه اللّه، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر. "و كان زيد بن ثابت لا يكتفى بالحفظ دون الكتابة، و قوله أنه لم يجد آخر سورة التوبة إلا عند أبى خزيمة الأنصارى لا- يعنى أنها ليست متواترة، و إنما المراد أنه لم يجدها مكتوبة عند غيره، و كان زيد يحفظها، و كان كثير من

الصحابة يحفظونها كذلك، و لكنّ زيدا كان يعتمد على الحفظ و الكتابة معا، فكان لا يكتب الآية حتى يأتيه اثنان من الصحابة حفظا هذه الآية من فم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و اثنان آخران كتباها بين يدى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و لا يكتفى بمن كتب و لكن ليس بين يدى المصطفى صلّى اللّه عليه و سلّم، و هذا شرط لا بد منه حيث إن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مع أنه كان أمّيا و بقى أمّيا حتى توفى و لكنه كان يصوّب و يصحح لكتبة الوحى الذين يكتبون بين يديه إذا أخطئوا و هذا من معجزاته صلّى اللّه عليه و سلّم. و هنا يظهر لنا شدة حرص زيد بن ثابت رضى اللّه عنه و مبالغته فى الاحتياط. أخرج ابن أبى داود من طريق هشام ابن عروة عن أبيه أنّ أبا بكر قال لعمر و لزيد ":اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب اللّه فاكتباه. "و فسر الجمهور أنّ المقصود شاهدين عدلين فى الكتابة و شاهدين عدلين فى الحفظ. قال السخاوى ":المراد أنهما يشهدان على أنّ ذلك المكتوب كتب بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ... "و قال أبو شامة ":و كان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، لا من مجرد الحفظ. " ...و الذى يظهر أنّ أبو خزيمة الأنصارى شهادته بشهادة رجلين و لذلك أخذ منه زيد بن ثابت. و لعله جاء بعد أبى خزيمة من عنده هذه الآية مكتوبة بين يدى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و لكن زيدا كان قد اكتفى بأبى خزيمة لأن شهادته بشهادتين كما ذكرنا و ذلك لأنه كان لأحد من اليهود دين على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أدّاه له، فجاءه اليهودى يوما و أخذ يوبخ رسول اللّه عليه الصلاة و السلام و يعيّره و يتهمه بأنه أخّر سداد دينه، فأخبره عليه الصلاة و السلام أنه أدّى له الدّين، و لكن اليهودى أنكر، فقال صلّى اللّه عليه و سلّم (من يشهد لى؟)، فقام أبو خزيمة فشهد له. فقال له صلّى اللّه عليه و سلّم: (كيف تشهد لى على شيء لم تره؟)، (أى إنك ما رأيتنى حين سددت دين ذلك اليهودى)، فقال أبو الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۰۴ خزيمة: يا رسول اللّه أصدقك بخبر السماء أ فلا أشهد لك على هذا! ... فقال صلّى اللّه عليه و سلّم: (شهادة أبى خزيمة بشهادتين)، فكان أحد من الصحابة إذا أراد نكاحا أو معاملة أتى بأبى خزيمة الذى كان يكفى عن شاهدين. و قد تم جمع القرآن كله بين دفتى كتاب خلال سنة واحدة تقريبا أى بعد سنة من وفاة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فكان أبو بكر رضى اللّه عنه أول من جمعه بهذه الصفة فى مصحف واحد مرتب الآيات و السور مشتملا على الأحرف السبعة التى نزل بها، و يرى بعض العلماء أنّ تسمية القرآن بالمصحف نشأت منذ ذلك الحين، و هذا الجمع هو المسمى "بالجمع الثانى. "و قد ظفر مصحف أبى بكر بإجماع الأمة عليه و تواتر ما فيه. و بعد وفاة أبى بكر رضى اللّه عنه، انتقلت هذه الصحف أو الأوراق المجمّعة إلى بيت سيدنا عمر طوال فترة خلافته، و لما توفى أصبحت هذه الأوراق عند ابنته حفصة رضى اللّه عنها. سؤال: لما ذا كانت هذه الصحف عند حفصة بعد عمر لا عند عثمان بن عفان؟. الجواب: حفصة هى زوجة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أم المؤمنين، و كانت حافظة للقرآن كله فضلا عن كونها تجيد القراءة و الكتابة، هذه المميزات جعلتها أهلا لحفظ الصحف عندها، و كذلك لأن عمر رضى اللّه تعالى عنه توفى دون أن يعيّن خليفة، بل جعل الأمر شورى بين ستة توفى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و هو عنهم راض، فبايع المسلمون عثمان، فكيف يوصى بالمصحف إلى عثمان و هو لم يعيّنه خليفة من بعده؟، لذلك بقى المصحف عند ابنته حفصة رضى اللّه عنها.

ب- جمع القرآن فى عهد عثمان بن عفان رضى اللّه عنه

اشارة

ب- جمع القرآن فى عهد عثمان بن عفان رضى اللّه عنه روى البخارى عن أنس أنّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان و كان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية و أذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة- ذلك لأنهم أعاجم يخطئون بقراءة القرآن- فقال لعثمان أدرك الأمّة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود و النصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا الصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت، و عبد اللّه بن الزبير و سعيد بن العاص، و عبد الرحمن

بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف، و قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۰۵ فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة و أرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا و أمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة و مصحف أن يحرق. و قد شرعت اللجنة الرباعية فى تنفيذ قرار عثمان سنة خمس و عشرين أى بعد وفاة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بحوالى أربعة عشر سنة. كتبت هذه المصاحف على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن. لقد تعمد الصحابة كتابة هذه المصاحف بالخط الذى يكون أكثر احتمالا للأحرف، و قد وفّقوا لذلك لعدم وجود النقط و الشكل ... و هكذا فإن الأصل فى عمل عثمان أن يكون مستجمعا كافة الأحرف السبعة فى مصاحفه و أن عثمان و من معه لا يفرطون فى شىء أوحى به اللّه إلى رسوله صلّى اللّه عليه و سلّم. روى ابن أبى داود أن سويد بن غفلة الجعفى قال ":سمعت على بن أبى طالب رضى اللّه عنه يقول: يا أيها الناس لا تغلوا فى عثمان، و لا تقولوا له إلا خيرا (أو قولوا له خيرا) فى المصاحف و إحراق المصاحف، فو اللّه ما فعل الذى فعل فى المصاحف إلا ـ عن ملأ ـ منا جميعا، فقال ما تقولون فى هذه القراءة، فقد بلغنى أن بعضهم يقول إن قراءتى خير من قراءتك و هذا يكاد يكون كفرا، قلنا فما ترى؟ قال نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا ـ تكون فرقة و لا ـ يكون اختلاف، قلنا فنعم ما رأيت. "و استنسخت اللجنة سبعة مصاحف، فأرسل عثمان بستة منها إلى الآفاق و احتفظ لنفسه بواحد منها هو مصحفه الذى يسمى "الإمام، "و لقد تلقّت الأمّة ذلك بالطاعة و أجمعت الصحابة على هذه المصاحف. و لقد جرّدت المصاحف العثمانية مما ليس من القرآن كالشروح و التفاسير، فمن الصحابة من كان يكتب فى مصحفه ما سمع تفسيره و إيضاحه من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم مثال ذلك: قوله تعالى: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ...، (البقرة: من الآية ۱۹۸) ... فقد قرأ ابن مسعود و أثبت فى مصحفه: ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج، فهذه الزيادة للتفسير و الإيضاح. و بهذا قطع عثمان رضى اللّه عنه دابر الفتنة و حصّن القرآن من أن يتطرّق إليه شىء من الزيادة و التحريف على مر العصور. و جمع عثمان للقرآن هو المسمى "ب ":الجمع الثالث. "و اتّبع زيد بن ثابت و الثلاثة القرشيون معه طريقة خاصة فى الكتابة ارتضاها لهم عثمان، و قد سمى العلماء هذه الطريقة ب": الرسم العثمانى للمصحف "نسبة إليه، و هو رسم لا بد من كتابة القرآن به لأنه الرسم الاصطلاحى الذى توارثته الأمة منذ عهد عثمان رضى اللّه الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۰۶ عنه. و لهذا الرسم أحكام و قواعد حيث كتب على نحو يتوافق و القراءات العشر. و لما أعيدت صحف حفصة إليها ظلّت عندها حتى توفيت و قد حاول مروان بن الحكم أن يأخذها منها ليحرقها فرفضت، حتى إذا توفيت أخذ مروان الصحف و أحرقها و قال مدافعا عن وجهة نظره ":إنما فعلت هذا لأنّ ما فيها قد كتب و حفظ بالمصحف الإمام، فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب فى شأن هذه الصحف مرتاب. "و قد وافقه علماء عصره على هذا و كان فعله صوابا و حكمته عظيمة. و من المعروف أنّ ابن كثير و هو من علماء القرن الثامن هجرى، قد رأى مصحف الشام أى المصحف الذى أرسله عثمان رضى اللّه تعالى عنه إلى الشام و قال فى كتابه "فضائل القرآن ":أمّا المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذى فى الشام بجامع دمشق عند الركن شرقى المقصورة المعمورة بذكر اللّه، و قد كان قديما بمدينة طبرية ثم نقل منها إلى دمشق فى حدود سنة ۵۱۸ ه. و قد رأيته كتابا عزيزا جليلا عظيما ضخما بخط حسن مبين قوى، بحبر محكم، فى رق أظنه من جلود الإبل."

رسم القرآن:

رسم القرآن: مما لا شك فيه أنّ الصحف التى كتبت على عهد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و المصاحف العثمانية التى وزّعت على الأمصار، كانت خالية من الشكل و النقط أى من التشكيل بالفتحة و الضمة و الكسرة. و مما لا ريب فيه أيضا أنّ رسم المصاحف العثمانية التى نسخت على هدى المصحف الأول، يقوم على إملاء خاص به فى ذلك العصر و فيما بعده أيضا و هو يتفق فى جملته مع الرسم القرشى فى ذلك الوقت، و من هنا قال عثمان رضى اللّه عنه للكاتبين كما ورد فى صحيح البخارى ":إذا اختلفتم أنتم و زيد فى

کلمـة من کلمـات القرآن (أی فی کیفیـة کتابتهـا أی إملائها) فاکتبوها بلسان قریش فإنّ القرآن أنزل بلسانهم. "إذا کان للقرآن إملاء خاصا من حیث کتابـة الهمزة مثلا أو الأحرف الیائیـة و الواویـة و من حیث الزیادة و النقص و ما شابه ذلک. أما ظاهرة کتابته و هجائه الخاص فلم یطرأ علیها تغییر أو تحویر یذکر. فقد أخذ الناس یعتبرون الرسم القرآنی رسـما معیّنا خاصا به و لم یجدوا ما یدعو إلی مدّ یـد التغییر إلیه، بعـد أن وصـل إلیهم بهـذا الشـکل صورة طبق الأصل للکتابـة المعتمـدة الأولی. لقـد رأی العلماء أنّ الحیطـة فی حفظ القرآن تـدعو إلی وجـوب إبقـائه علی شـکله الأـول، و تحریم أو تکریه أی تطـویر کتـابی فیه تطبیقـا للقاعـدة الشـرعیة الکـبری (سـد الذرائع). فنهی مالک عن تغییر هذه الکتابة الخاصة الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۰۷ بالقرآن کما حرّم أحمد بن حنبل ذلک أیضا.

تحسین الرسم العثمانی:

تحسـین الرسم العثمانی: کانت المصاحف العثمانیـة خالیة من النقط و الشـکل لأنّ العرب کانوا یعتمدون علی السـلیقة العربیة السـلیمة التی لا تحتاج إلی الشـکل بالحرکات. و ظل الناس یقرءون القرآن فی تلک المصاحف بضـعا و أربعین سـنة حتی خلافة عبد الملک، فلما تطرّق إلی اللسان العربی الفساد بکثرة الاختلاط بالأعاجم و ذلک بسـبب الفتوحات الإسـلامیة الواسـعة، أحسّ أولو الأمر بضرورة تحسـین کتابـة المصـحف بالشـکل و النقط و غیرهما مما یساعـد علی القراءة الصـحیحة. و یرجّـح أنّ أول من وضع ضوابط للعربیـة و تشـکیل القرآن، هو أبو الأـسود الـدّؤلی من التـابعین، و ذلک بأمر من علی ابن أبی طالب کرّم اللّه وجهه و کان قـد أمره بـذلک زیاد والی البصـرة و لکنه تباطأ فی بادئ الأمر إلی أن سـمع قارئا یقرأ قوله تعالی: أَنَّ اللَّهَ بَرِیءٌ مِنَ الْمُشْرِکِینَ وَ رَسُولُهُ، [التوبـة: ۳]، فقرأها بجر اللام من کلمـة "رسوله "فغیر بذلک المعنی کله و أصـبح معنی هذه القراءة الخاطئة أن اللّه تعالی بریء من کل المشـرکین و من النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و العیاذ باللّه تعالی، بینما المعنی الصحیح للآیة هو أن اللّه تعالی و کذلک رسوله صلّی اللّه علیه و سلّم کلّ بریء من المشـرکین. أفزع هـذا اللحن (الخطأ) أبـا الأسود فـذهب إلی الوالی زیاد و قال له ":قـد أجبتک إلی ما سألت. "و انتهی فی اجتهاده أن جعل علامـة الفتحـة نقطة فوق الحرف و جعل علامة الکسـرة نقطة أسـفله و جعل علامة الضـمة نقطة بین أجزاء الحرف و جعل علامة السـکون نقطتین. و أعانه فی ذلک عدد من العلماء و تبعه آخرون منهم: یحیی بن یعمر، و نصر بن عاصم اللیثی و غیرهما ... فلم ینفرد أبو الأسود الدؤلی وحده فی تشـکیل القرآن و لکنه کان أول من بدأ بذلک. و کلما امتد الزمان بالناس، ازدادت عنایتهم بتیسـیر الرسم العثمانی، فکان الخلیل بن أحمد الفراهیدی أول من صـنّف النقط و رسمه فی کتاب و أول من وضع الهمزة و التشدید و الرّوم و الإشـمام. و من المعلوم إنّ علم النحو لم یقعّد و یدوّن إلا خدمة لضـبط القرآن، حتی إنّ معظم علوم العربیة الأخری إنما قامت لخدمـة القرآن أو نبعت من مضـمونه. ثم تـدرج الناس بعـد ذلک فقاموا بکتابة العناوین فی رأس کل سورة و وضع رموز فاصـلة عند رءوس الآی و تقسـیم القرآن إلی أجزاء و أحزاب و أرباع و الإشارة إلی ذلک برسوم خاصة، و ذکر المکی و المدنی من السور. حتی إذا کانت نهایة القرن الهجری الثالث، بلغ الرسم ذروته من الجودة و الحسن. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۰۸

ضوابط القراءة الصحیحة:

ضوابط القراءة الصحیحة: من شروط کون القراءة مقبولة و صحیحة: ۱- أن تکون موافقة للرسم العثمانی فی أحد مصاحفه السبعة. ۲- أن تکـون متواترة عن رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و سـلّم. ۳- أن تکون صـحیحة فی لغة العرب. إن القراءة الصـحیحة التی وصـلت إلینا عشـرة، و من المعلوم أنه من فروض الکفایة أن یکون فی کل بلدة (کبیروت مثلا) حافظا لکتاب اللّه تعالی علی القراءات العشر بالسند المتصل إلی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و مجازا بذلک.

عنایة العلماء بالمکی و المدنی:

عنایة العلماء بالمکی و المدنی: قام أعلام الهدی من الصحابة و التابعین بضبط منازل القرآن ضبطا یحدد الزمان و المکان، فکانوا یؤرخون کل آیة بوقت و مکان نزولها. روی البخاری عن ابن مسعود رضی اللّه عنه أنه قال ":و اللّه الذی لا إله غیره ما نزلت سورة من کتاب اللّه إلا و أنا أعلم أین نزلت؟ و لا نزلت آیة من کتاب اللّه إلا و أنا أعلم فیم نزلت؟ و لو أعلم أنّ أحدا أعلم منی بکتاب اللّه تبلغه الإبل لرکبت إلیه. "و قد عنی العلماء بتحقیق المکی و المدنی بدقة و عنایة فائقة، فتتبعوا القرآن آیة آیة و سورة سورة، لترتیبها وفق نزولها، مراعین فی ذلک الزمان و المکان و الخطاب حتی اکتمل بذلک علم سمی "ب ":علم المکی و المدنی."

الفرق بین المکی و المدنی:

الفرق بین المکی و المدنی: أصح الأقوال أن: المکی: ما نزل قبل الهجرة و إن کان بغیر مکة. المدنی: ما نزل بعد الهجرة و إن کان بغیر المدینة، بأن نزلت آیة ما فی مکة بعد الهجرة مثلا عند ما فتح النبی صلّی اللّه علیه و سلّم مکة، فتسمّی مدنیة و لا تسمّی مکیة.

أهمیة معرفة المکی و المدنی:

۱- الاستعانة بها فی تفسیر القرآن:

۱- الاستعانة بها فی تفسیر القرآن: فإنّ معرفة مواقع النزول تساعد علی فهم الآیة و تفسیرها تفسیرا دقیقا. مثال ذلک: من قرأ سورة "الکافرون "و لم یعلم زمن نزولها و هل هی مکیة أم مدنیة، فإنه یحار فی معناها، و قد یستخرج منها أنّ المسلمین غیر مکلفین بالجهاد فی أی الأحوال و إنما علیهم أن یقولوا للآخرین لکم دینکم ولی دین. فإذا علم أنّ هذه السورة إنما نزلت فی مکة عند ما قال بعض صنادید الشّرک لرسول الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۰۹ اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم ":تعال یا محمد نعبد إلهک یوما و تعبد إلهنا یوما،" إذا علم هذا، أدرک أنّ هذه السورة إنما هی علاج لتلک المرحلة ذاتها و لیست دلیلا علی عدم مشروعیة الجهاد الذی نزلت فیه آیات کثیرة أخری فی المدینة.

۲- معرفة الناسخ و المنسوخ من الآیات:

۲- معرفة الناسخ و المنسوخ من الآیات: سؤال: من المعلوم أن سورتی المعوذتین نزلتا علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فی المدینة المنورة بعد أن سحره ذلک الیهودی لبید بن الأعصم، فلما ذا یکتب عنهما فی المصاحف أنهما مکّیتان؟. الجواب: قد تکون هاتین السورتین نزلتا علی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم أکثر من مرة. فقد ورد أن سورة الفاتحة نزلت علی قلب النبی صلّی اللّه علیه و سلّم مرات عدیدة تثبیتا لفؤاده، فقد تکون هاتین السورتین نزلتا لما سحر لبید بن الأعصم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فی المدینة بعد الهجرة، و أوحی اللّه تعالی إلی نبیه صلّی اللّه علیه و سلّم مرة أخری بهاتین السورتین تثبیتا لفؤاده و تعلیما له و لأمته من بعده أن قراءتهما تبطل سحر الساحر و هما رقیة من سحر الساحر أو الحاسد.

الحدیث فی عهد الصحابة رضی اللّه عنهم:

اشارة

الحدیث فی عهد الصحابة رضی اللّه عنهم: بعد وفاة النبی علیه الصلاة و السلام، قام الصحابة من بعده بحمل لواء الإسلام و تبلیغ ما علموه منه صلّی اللّه علیه و سلّم. و لقد تمیّز الصحابة بخصائص و ممیزات أهّلتهم لحفظ الحدیث فی الصدور، و فیما یلی نورد أهم العوامل التی ساعدتهم لحفظ الحدیث الشریف:

عوامل حفظ الصحابة للحدیث:

عوامل حفظ الصحابة للحدیث: ۱- صفاء أذهانهم و قوة قرائحهم و ذلک أنّ العرب أمة أمّیة لا تقرأ و لا تکتب، و الأمّی یعتمد علی ذاکرته فتنمو و تقوی لتسعفه حین الحاجة، کما أنّ بساطة عیشهم بعیدا عن تعقید الحضارة جعلتهم ذوی أذهان نقیة، لذلک عرفوا بالحفظ النادر و الذکاء العجیب حیث اشتهروا بحفظ القصائد من المرة الأولی و حفظ الأنساب ... ۲- قوة الدافع الدینی لأنهم أیقنوا أن لا سعادة لهم فی الدنیا و لا فوز فی الآخرة إلا بهذا الإسلام، فتلقّفوا الحدیث النبوی بغایة الاهتمام و نهایة الحرص. ۳- تحریض النبی صلّی اللّه علیه و سلّم علی حفظ حدیثه، قال زید بن ثابت ":سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یقول: (نضّر اللّه امرأ سمع مقالتی فبلّغها، فربّ حامل فقه غیر فقیه و ربّ حامل الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۱۰ فقه إلی من هو أفقه منه) أخرجه أبو داود و الترمذی و ابن ماجة، و فی روایة: (نضّر اللّه امرأ سمع منا شیئا فبلّغه کما سمعه، فربّ مبلّغ أوعی من سامع)، قال الترمذی حدیث حسن صحیح. قال العلّامة القسطلانی ":المعنی أنّ اللّه تعالی خصّه (أی ناقل حدیث النبی صلّی اللّه علیه و سلّم) بالبهجة و السرور لأنه سعی فی نضارة العلم و تجدید السنّة، فجازاه النبی صلّی اللّه علیه و سلّم فی دعائه له بما یناسب حاله من المعاملة. "و بالفعل هذا ما نجده فی وجوه المحدثین من نضارة و نور یعلو محیاهم و حسن سمت یضفی علیهم هیبة و وقارا. ۴- اتباع النبی صلّی اللّه علیه و سلّم الوسائل التربویة فی إلقاء الحدیث علی الصحابة و سلوکه سبیل الحکمة کی یجعلهم أهلا لحمل الأمانة و تبلیغ الرسالة من بعده، فکان من شمائله فی توجیه الکلام: أ- أنه لم یکن یسرد الحدیث سردا متتابعا بل یتأنّی فی إلقاء الکلام لیتمکّن من الذهن، قالت عائشة رضی اللّه عنها فیما أخرجه الترمذی ":ما کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یسرد کسردکم هذا و لکنه کان یتکلم بکلام بیّن فصل یحفظه من جلس إلیه. "ب- لم یکن یطیل الحدیث بل کان کلامه قصدا، قالت عائشة فیما هو متفق علیه ":کان یحدّث حدیثا لو عدّه العادّ لأحصاه. "ج- أنه کثیرا ما یعید الحدیث لتعیه الصدور، روی البخاری و غیره عن أنس فقال ":کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یعید الکلمة ثلاثا لتعقل عنه. "۵- مواظبة الصحابة علی حضور مجالس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم التی کان یخصصها للتعلیم و اجتهادهم فی التوفیق بین مطالب حیاتهم الیومیة و بین التفرغ للعلم، فها هو عمر بن الخطاب یتناوب الحضور مع جار له من الأنصار علی تلک المجالس، فقال عمر ":کان ینزل صاحبی یوما و أنزل یوما فإذا نزلت جئته بخبر ذلک الیوم من الوحی و غیره و إذا نزل فعل مثل ذلک، "رواه البخاری. ۶- مذاکرة الصحابة فیما بینهم، قال أنس ":کنا نکون عند النبی صلّی اللّه علیه و سلّم فنسمع منه الحدیث فإذا قمنا تذاکرناه فیما بیننا حتی نحفظه. "۷- أسلوب الحدیث النبوی، فقد أوتی النبی صلّی اللّه علیه و سلّم بلاغة نادرة شغفت بها قلوب العرب و قوة بیان یندر مثلها فی البشر و من هنا سمی القرآن الکریم الحدیث "حکمة. "۸- کتابة الحدیث و هی من أهم وسائل حفظ المعلومات و نقلها للأجیال. ورد فی الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۱۱ سنن أبی داود عن عبد اللّه بن عمرو أنه قال": کنت أکتب کل شیء أسمعه من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم أرید حفظه. " ...و قد تناولت الکتابة فی عهد النبی صلّی اللّه علیه و سلّم قسما کبیرا من أهم الأحادیث و أدقها لاشتمالها علی أمهات الأمور و علی أحکام دقیقة.

قوانین الروایة فی عهد الصحابة:

قوانین الروایة فی عهد الصحابة: اعتمد أئمة المفتین فی هذا الدور و جلّ الصحابة قوانین محددة فیما یتعلق بروایة الحدیث عن رسول

اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و أهم هذه القوانين هى التالية: التقليل من الرواية: خشية أن ينتشر الكذب و الخطأ على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ... روى الحافظ الذهبى فى تذكرة الحفاظ عن سيدنا أبى بكر أنه جمع الناس بعد وفاة نبيهم عليه الصلاة و السلام فقال": إنكم تحدّثون عن رسول اللّه أحاديث تختلفون فيها و الناس بعدكم أشد اختلافا، فلا تحدّثوا عن رسول اللّه شيئا، فمن سألكم فقولوا بيننا و بينكم كتاب اللّه فاستحلّوا حلاله و حرّموا حرامه. "التّثبت فى الرواية: كان الصحابة يتثبتون فيما يروى لهم، فلم يكن أبو بكر و لا عمر يقبلان من الأحاديث إلا ما شهد اثنان أنهما سمعاه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و ذلك للأسباب التالية: أ- قوله تعالى: إِنَّما يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْكاذِبُونَ (۱۰۵)، [النحل: ۱۰۵]. ب- قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ...، [الحجرات: ۶]. ج- لما سئل الزبير بن العوّام لما ذا لا تحدّث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كما يحدّث فلان و فلان؟ قال ":أما إنى لم أفارق رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و لكنى سمعته يقول ":من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار. "د- ورد فى الحديث الصحيح أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال ":من حدّث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين. "إذا فقد كان من طبع الصحابة الحرص الشديد و الخوف من الكذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كيف لا و قد مدحهم النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فيما يرويه البخارى ":اللّه اللّه فى أصحابى لا تسبوهم الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۱۲ و لا تؤذوهم فمن آذاهم فقد آذانى و من آذانى فقد آذى اللّه، و الذى نفسى بيده لو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم و لا نصيفه ... "روى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أنّ جدة جاءت إلى أبى بكر تلتمس أن تورّث فقال ":ما أجد لك فى كتاب اللّه شيئا و ما علمت أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ذكر لك شيئا، "ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال ":سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يعطيها السدس "فقال ":هل معك أحد؟، "فشهد محمد ابن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر رضى اللّه عنه (أى أعطاها السدس) ... و عن سعيد أنّ أبا موسى رضى اللّه عنه سلّم على عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه من وراء الباب ثلاث مرات فلم يؤذن له فرجع فأرسل عمر فى أثره فقال: لم رجعت؟ قال ":سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول (إذا سلّم أحدكم ثلاثا فلم يجب فليرجع)، قال ":لتأتينى على ذلك ببيّنة أو لأفعلنّ بك، "فجاءنا أبو موسى منتقعا لونه و نحن جلوس فقلنا ":ما شأنك؟" فأخبرنا و قال ":فهل سمع أحد منكم؟ "فقلنا ":نعم كلنا سمعه، "فأرسلوا معه رجلا منهم حتى أتى عمر فأخبره. و قد قال عمر لغير واحد من الصحابة ":أما إنى لم أتهمك و لكننى أحببت أن أتثبت. "نقد الروايات: و ذلك بعرضها على نصوص و قواعد الدين، فإن وجد مخالفا لشىء منها ردوه و تركوا العمل به. هذا هو الخليفة عمر فيما أخرج مسلم عنه: أفتى عمر ابن الخطاب بأنّ المبتوتة (التى طلقها زوجها ثلاثا) لها النفقة و لها السكنى و لمّا بلغه حديث فاطمة بنت قيس أنّ زوجها طلقها ثلاثا فلم يجعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لها سكنى و لا نفقة، قال ":لا نترك كتاب اللّه و سنّة نبينا لقول امرأة لعلها حفظت أو نسيت، قال اللّه عز و جل: لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَ لا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، [الطلاق: ۱]. و لا بد من الإشارة إلى أنه لم يكن هناك حاجة إلى جرح و تعديل أى البحث و التدقيق عن عدالة و صدق الراوى لأنّ الصحابة كلهم عدول و ذلك بنص القرآن، قال تعالى: وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ، [التوبة: ۱۰۰]. أما المنافقون فكانوا كما قال عنهم العلماء أحقر من أن يحملوا علما أو يؤخذ عنهم العلم!!!. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۱۳

فقه الصحابة:

فقه الصحابة: كان علماء الصحابة إذا سئلوا فى مسألة ما، نظروا فى كتاب اللّه تعالى فإن لم يجدوا نظروا فى سنة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، فإن لم يجدوا نصا لا من الكتاب و لا من السنة، سألوا باقى الصحابة هل قضى أحد قبلنا فى هذا الأمر بقضاء؟ فإن سمعوا أنّ أحدا قضى بقضاء و نفذ و وجدوا أنّ الأمر قريب قضوا. و لقد كان الصحابة يتحفظون تحفظا شديدا فى الاجتهاد، فكان الواحد منهم إذا اضطر إلى الاجتهاد فى حال عدم وجود نص، جمع مجلس الشورى و طرح القضية التى هو بصددها و استشار الصحابة العلماء و

تجاذب معهم أطراف البحث و النقاش و لم ينفرد فى إعطاء حكم، فإن انتهى إلى شىء- سواء كان أبو بكر أو عمر أو عثمان أو أى ممن جاء بعدهم- كان يقول ":هذا رأيى فإن كان صوابا فمن اللّه تعالى و إن كان خطأ فمنى و أستغفر اللّه تعالى ... "و ورد أنّ رجلا ممن أرسلهم سيدنا عمر واليا على جهة من الجهات قال للناس: هذا ما قضى به اللّه و قضى به عمر، فسمع عمر ذلك و أرسل إليه يقول ":بئس ما قلت، بل هذا ما قضاه عمر، لا تجعلوا الرأى سنّة اللّه فى الناس فتحمّلوها خطأ الناس. "و كان الصحابة يقولون إذا كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم المؤيّد بالوحى، قال اللّه تعالى له: وَ شاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ [آل عمران: ۱۵۹] فما بالك بمن جاء بعده! فإذا استشاروا و أجمعوا على رأى واحد، فذاك هو الإجماع، أما إذا اختلفوا فكل يقضى بما يرى. و من مظاهر الشورى أنّ سيدنا أبا بكر رضى اللّه عنه لمّا جهّز جيش أسامة بعد وفاة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم- و كان هذا أول ما قام به أبو بكر- قال لأسامة و قد رأى أنّ عمرا رضى اللّه عنه قد انخرط بين أفراد الجيش ":إن رأيت أن تعطينى عمر و تبقيه عندى فعلت. "انظروا كيف يقول خليفة المسلمين،- ذاك الشيخ الكبير لأسامة الذى لم يبلغ من العمر التاسعة عشر بعد، هذا الكلام بأدب متناهى! لما ذا؟ لأنّ أبا بكر كان يرى أنه قد تعرض له الفتوى و المشكلات و هو بحاجة إلى أمثال سيدنا عمر رضى اللّه عنه ليستشيره و ليأخذ رأيه. و طبعا أجابه أسامة لذلك و بقى عمر عند أبى بكر الذى لا يتأخر فى استشارة من حوله من الصحابة كعثمان و علىّ و غيرهم رضى اللّه عنهم أجمعين. و ما أكثر ما كان يقول عمر ":لو لا على لهلك عمر. "و كذلك على كان إذا عرض عليه رأى لم يبتّ بهذا الرأى حتى يستشير كبار الصحابة و فى مقدمة هؤلاء أبو بكر و عمر. فلنلاحظ صورة الأخوّة الواقعية فى حياة الصحابة و آل البيت و محبتهم لبعضهم الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۱۴ البعض، لا شك أنّ جيلا ربّاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لا بد أن يكون هذا حاله. مستحيل أن يكون النبى عليه الصلاة و السلام أعظم مربّى أوجده اللّه تعالى لينجد به الإنسانية ثم يخفق فى تربية أصحابه. فإن تصوّرنا أنه بعد وفاته صلّى اللّه عليه و سلّم كان أصحابه أعداء لآل البيت و العكس لكان ذلك علامة على أنه أخفق فى تربية هذا الجيل و هذا يعدّ عيبا شديدا فى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم- و حاشاه من ذلك- الذى لم يستطع أن يربى جيلا واحدا فهو أعجز من أن يربّى أمّة!!! و الرسول صلوات اللّه و سلامه عليه منزّه عن مثل هذا ... و قد سئل علىّ لما ذا كثرت الفتن فى عصره و لم تكثر فى عصر أبى بكر و عمر فقال رضى اللّه عنه ":لما كانوا هم الخلفاء كنت أنا الرعية فأطعنا و لمّا صرت أنا الخليفة كنتم أنتم الرعية فعصيتم. "إذا كان الصحابة يتواصون بالتدقيق فى مسألة الاجتهاد بعد الشروط التى ذكرناها كلها، كما كانوا يتواصون فيما بينهم بالتريّث و الفهم الشديد و عدم العجلة فى الإفتاء، فها هو عمر لمّا أرسل كتابه لأبى موسى قال له بعد أن أمره أن يتتبع نصوص القرآن و السنّة فإن لم يجد، قال له": الفهم، الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب اللّه و سنّة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، أى لا تستعجل، تريّث و فكّر و تأمّل. و لا بد من الإشارة إلى أنّ سيدنا عمر رضى اللّه عنه هو أول من فصل سلطة القضاء عن رئاسة الدولة، ففى عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و عهد أبى بكر كان كل منهما رئيس الدولة و القاضى فى آن واحد. و فى عصر عمر، عند ما اتسعت الفتوحات و لم يعد يجد الوقت كافيا لأن يجلس مجلس القضاء و مجلس إدارة أمور المسلمين، عندئذ فصل سلطة القضاء عن سلطة رئاسة الدولة و عيّن أول قاض أثناء خلافته و هو جريج رضى اللّه عنه ... و كان الصحابة لا يجيبون على سؤال فرض لم يقع بعد، فإذا سألهم سائل عن مسألة ما، كان أحدهم يجيب ":هل وقعت هذه المشكلة التى تسأل عنها؟ فإن قال لا ما وقعت بعد و لكننا نحب أن نعلم إن وقعت هذه المشكلة ما ذا نصنع! كان الصحابى يجيب ":إذا وقعت فاسألوا عنها أمّا الآن فقد كفانا اللّه مهمة البحث فى أمر لم يقع. "فهم لا يريدون توسيع نطاق الاجتهاد إلى أكثر من الحد الضرورى، و هذه سياسة كانت متّبعة من قبل جميع علماء ذاك العصر. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۱۵ سؤال: هل وقع الخلاف فى الاجتهاد فى أحكام الشريعة الإسلامية و متى وقع و لما ذا؟ الجواب: أمّا فى عصر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فالخلاف لم يقع و لا سبيل أصلا للخلاف ما دام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم حى يمكن الرجوع إليه فى أى أمر. و بعد وفاته عليه الصلاة و السلام، بدأ الخلاف الاجتهادى يظهر فى بعض المسائل الفرعية التى لا تتعارض مع أصول الدين للأسباب التالية: أولا: تفاوت الصحابة فى رواية الحديث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كل حسب وضعه و مقدار تفرغه و

ملازمته له. و نتيجة لذلك كان إذا وقعت مشكلة، تساءل الصحابة عن حكمها، و الذى لم يسمع من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى هذا الأمر شيئا، يفتى بظاهر القرآن. أما الذى حفظ و روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قدرا أكبرا فهو يذكر أنّ هذا الموضوع قد أوضح النبى عليه الصلاة و السلام حكمه، فهو يختلف فى فتواه عن الأول الذى لم يسمع و القاعدة تقول: من حفظ حجة على من لم يحفظ. من هنا كان لا بد أن يقع الاختلاف فى الفتاوى بين أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم. فكانت إذا عرضت على أبى بكر أو عمر حادثة جديدة و لم يسمع من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فيها شيئا، جمع الصحابة و قال ":أنشدكم اللّه رجلا سمع من فم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فتوى فى هذه القضية. "و كان من عادة عمر رضى اللّه عنه إذا سئل فى موضوع أن يبحث عنه فى كتاب اللّه ثم السنّة فإن لم يكن قد سمع فى المسألة شيئا نادى فى الناس ":من سمع عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى هذه المسألة شيئا؟، "فإن لم يجبه أحد قال ":هل قضى أبو بكر فى هذا الموضوع من قبلى شيئا؟ "فإن قال له قائل إنّ أبا بكر قد سئل و قضى فى هذا الأمر بكذا، قضى عمر بمثل ما قضى به أبو بكر رضى اللّه عنهما و إلا اجتهد عمر. مثال: دية الأصابع، رجل قطعت إصبعه، الخنصر أو البنصر أو السبابة أو الوسطى، ما هو القدر الذى ينبغى أن يؤخذ من الجانى كدية لهذا الإنسان؟ فكر عمر ابن الخطاب رضى اللّه عنه فى الموضوع و هو لا يذكر فى هذا حديثا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فأراد أن يجتهد فى الأمر، و أراد أن يجعل دية كل إصبع على حسب فائدة تلك الإصبع، و لكنه تريّث و أخذ يسأل أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فجاء من أخبره أنّ النبى عليه الصلاة و السلام قضى بأنّ فى كل إصبع عشرا من الإبل متساوية يعنى فى قطع الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۱۶ الأصابع العشرة دية كاملة. فرجع عمر رضى اللّه عنه و قال ":إن كدنا لنقضى فى هذا برأينا. "مثال آخر دية الجنين: سئل سيدنا عمر رضى اللّه عنه عن دية الجنين، اعتدى إنسان على امرأة حامل فأسقطت جنينا، ما الجزاء؟ وقف عمر يناشد المسلمين أن يكون فيهم رجلا- سمع عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أمرا فى الدية. معلوم فى القرآن أنّ عقاب من اعتدى على إنسان و مات، هو القصاص فإن عفا وليّه تصبح عقوبته دفع الدية، هذا هو الحكم العام و الجنين يعتبر إنسانا و مات، و على هذا يأخذ الجانى الحكم نفسه، إما القصاص و إما الدية ... و لكن عمر تريّث، لعل فى سنة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم شيئا خاصا. فقام أحد الصحابة و قال إنّ جمل بن مالك جاء يشكو إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أنه كانت له زوجتان فتخاصمتا فضربت إحداهما الأخرى فألقت جنينا ميتا، فقضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم للجنين بغرّة يعنى بنصف عشر الدية (خمسة من الإبل) فتهلل وجه عمر باسما و قال ":إن كدنا أن نقضى فى هذا برأينا. "ثانيا: عدم الاتفاق على صحة نسبة حديث ما إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم. ثالثا: عدم الاتفاق على معنى كلمة أو جملة فى كتاب اللّه تعالى أو حديث المصطفى عليه الصلاة و السلام و ذلك بسبب ورود لفظ يحتمل معنيين. رابعا: اختلاف الفتوى بسبب الرأى: كانت ترد على الصحابة أقضية لا يرون فيها نصا من كتاب أو سنّة و إذ ذاك كانوا يلجئون إلى القياس و كانوا يعبّرون عنه بالرأى. خامسا: قياس الفرع على الأصل: البعض يرى إنّ هذا الفرع يشبه ما نص اللّه تعالى عليه فى آية كذا. نعرض لطائفة من أمثلة الخلاف بين الصحابة فى بعض الفتاوى: - عرضت مشكلة على ابن مسعود رضى اللّه عنه: رجل عقد نكاحه على امرأة و لم ينص فى هذا العقد على مهر و مات قبل الدخول بها، فما الذى تستحقه هذه المرأة؟ أفتى ابن مسعود بأنّ لها كامل مهرها أى صداق مثلها من النساء. بينما سيدنا على كرّم اللّه وجهه عند ما سمع بهذه القضية قال ":أنا أختلف معه فى هذه المسألة، هذه المرأة إذا مات زوجها ليس لها إلا- الميراث، تأخذه و ليس لها ما وراء ذلك شىء و عليها العدة و لا الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۱۷ صداق لها. "سبب هذا الخلاف أنّ هذه المسألة ليس فيها نص واضح صريح من كتاب اللّه تعالى، كل ما فى الأمر قوله تعالى: لا- جُناحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّساءَ ما لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً، [البقرة: ۲۳۶]. يقول سيدنا على رضى اللّه عنه ":أ رأيت لو أنّ زوجها لم يمت و لكن طلق، ليس لها شىء بنص كلام اللّه عز و جل. "فسيدنا على قاس وفاة الزوج على طلاقه لها. قال ابن مسعود ":الرجل الذى يطلق، يطلق بقصد الاختيار و يترتب على ذلك أشياء كثيرة، لكن مات الزوج و حبل الزوجية موجود، و لا يسبب الموت انقطاع الزوجية عند جمهور العلماء، فالموت لا يقاس على الطلاق لأن الطلاق عمل اختيارى و الموت أمر

قصری. "مسألة أخری: المرأة التی توفی عنها زوجها و هی حامل، ما عدتها؟ سیدنا عمر رضی اللّه عنه قال: عدتها وضع حملها. و قال سیدنا علی و ابن عباس رضی اللّه عنهم: عدتها بأبعد الأجلین، أی أیهما کان أبعد وضع حملها أم مضی أربعة أشهر و عشرا تأخذ به. قال جمهور الفقهاء أنّ عدة المرأة تنتهی بوضع حملها و القول بأبعد الأجلین مرجوح، و دلیل ذلک ما أخرجه البخاری و مسلم عن سبیعة بنت الحارث الأسلمیة أنها کانت تحت سعد بن خولة و هو ممن شهد بدرا فتوفی عنها فی حجة الوداع و هی حامل، فلم تلبث أن وضعت حملها بعد وفاة زوجها، فلما طهرت من دم النفاس تجمّلت للخطّاب، فدخل علیها أبو السنابل بن بعکک فقال لها ":ما لی أراک متجمّلة، لعلک ترجین النکاح؟ و اللّه ما أنت بناکح حتی یمر علیک أربعة أشهر و عشرا! "قالت سبیعة ":فلما قال لی ذلک جمعت علیّ ثیابی حین أمسیت، فأتیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم فسألته عن ذلک، فأفتانی بأنی قد حللت حین وضعت حملی و أمرنی بالتزوج إن بدا لی. "و قد روی أنّ ابن عباس رجع إلی حدیث سبیعة لما احتجّ به علیه. أبرز من کانت إلیهم الفتیا فی عصر الصحابة: الخلفاء الراشدون و سیدنا عبد اللّه بن مسعود و زید بن ثابت و عبد اللّه بن عباس و عبد اللّه بن عوف و عبد اللّه بن عمر و هؤلاء التسعة کانوا فی ذلک العصر بمثابة الأئمة الأربعة فی عصرنا. أسئلة و أجوبة: سؤال: لما ذا انحصرت الفتیا ببعض الصحابة و لم یفتوا کلهم؟. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۱۸ الجواب: لأن عامة الصحابة لا وقت و لا قدرة لهم علی الاجتهاد، فمنهم من کان یشتغل بالزراعة و منهم من کان یشتغل بالتجارة و منهم من کان یشتغل بالجهاد و هکذا و حتی یصل الإنسان لرتبة یستطیع معها الاجتهاد لا بد له من علم غزیر و ذلک یحتاج عادة إلی وقت و تفرّغ. فکان عامة الصحابة یأخذون بفتاوی واحد من هؤلاء التسعة غالبا کما نأخذ نحن الیوم بفتاوی واحد من الأئمة الأربعة. سؤال: لما ذا لم یمد اللّه تعالی بحیاة النبی صلّی اللّه علیه و سلّم لیجیب علی هذه الأسئلة التی حدثت و استجدت فی عصر الصحابة؟. الجواب: لکی یعلّم اللّه سبحانه و تعالی هذه الأمة الاجتهاد و کیفیة استنباط الأحکام من النصوص و حتی یخفف عنها لأن فی اختلاف الفقهاء سعة. سؤال: الحکم فی شرع اللّه تعالی أ لیس واحدا؟ فکیف لنا أن نأخذ بقول أکثر من إمام؟. الجواب: إنّ اللّه تعالی لا یکلف نفسا إلا وسعها، فإذا عمّیت علینا دلائل حکم شرعی و تشابهت الأدلة و لم نستطع أن نصل إلی الحکم بیقین، فإنّ من رحمة اللّه تعالی بعباده أنه لا یطالبهم إلا ببذل الجهد فی معرفة حکمه تعالی. مثال ذلک: الاجتهاد فی القبلة فی الصلاة، هی حقیقة واحدة و لکن فی حال لم تتبیّن و لم یتمکن لأربعة أشخاص من تحدیدها جاز لکل واحد منهم أن یصلی إلی جهة ما، حسب اجتهاده الشخصی و صلاتهم صحیحة بالاتفاق حتی و لو صلی کل واحد منهم إلی جهة مختلفة عن جهة الآخر. سؤال: یدّعی أحمد أمین فی کتابه فجر الإسلام: کان بعض من هؤلاء الصحابة عندهم روح واسعة لفهم النص و کانوا یتجاوزون النص إلی ما یسمیه علماء القانون الیوم بروح النص. و یقول أحمد أمین إنّ فی مقدمة هؤلاء عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه. فعمر کان عبقریا و کان لا یقف عند حرفیّة النص بل کان یتجاوزه إلی المصالح و إلی العلل و إلی روح التشریع الإسلامی. ها هو فی أکثر من حالة خالف النص و عمل بالمصلحة، مثال ذلک کما یدّعی أحمد أمین: ۱- قال اللّه تعالی:* إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساکِینِ وَ الْعامِلِینَ عَلَیْها الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۱۹ وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِی الرِّقابِ وَ الْغارِمِینَ وَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِیلِ فَرِیضَةً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (۶۰)، (التوبة: ۶۰) .. عطّل عمر سهم المؤلفة قلوبهم لما فی ذلک من فهم و مراعاة لواقع المسلمین و مصلحتهم. ۲- یقول اللّه تعالی: وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَیْدِیَهُما، [المائدة: ۳۸]، سرق بعض الناس فی عام المجاعة متاعا فلم یقم علیهم عمر الحد. ۳- قضی عمر بأنّ الرجل الذی قال لزوجته أنت طالق ثلاثا بکلمة واحدة، تطلق ثلاثا، و هذا مخالف لقوله تعالی: الطَّلاقُ مَرَّتانِ فَإِمْساکٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِیحٌ بِإِحْسانٍ ...، (البقرة: من الآیة ۲۲۹)، و مخالف لحدیث النبی صلّی اللّه علیه و سلّم الصحیح الذی رواه مسلم عن ابن عباس رضی اللّه عنهما ":کان الطلاق علی عهد النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، طلاق الثلاث واحدا، و کان ذلک فی خلافة أبی بکر و صدرا من خلافة عمر، فقال عمر لقد استعجل الناس فی أمر کانت لهم فیه أناة فمن استعجل أناة اللّه ألزمناه به. فطلاق الثلاثة بکلمة واحدة یعتبر ثلاث طلقات. و یضیف أحمد أمین فیقول، إنّ عمر فی کل ذلک إنما کان عبقریا و ذکیا لأنه لم یتمسک بحرفیة النص و إنما رأی المصلحة و جری وراءها و إن خالفت النص و هذا هو المطلوب کما یزعم أحمد أمین. فهل

كان من بين الصحابة من كان يتجاوز حرفيّة النصوص و يأخذ بروح النص كما يقول بعض الناس اليوم، و يأخذ بالمصالح التى تعتمد عليها النصوص، بمعنى آخر هل كان الصحابة أصحاب نزعة تحررية؟. الجواب: كلام أحمد أمين المضلل قد يدفعنا بناء لما تقدم إلى القول بأنّ الربا حلال و المتاجرة بالخمر و السّلم مع اليهود كذلك!، و أما القول أن المصلحة قد تكون فى مخالفة النص من كتاب اللّه تعالى، فهذا كفر و العياذ باللّه تعالى، لأنه من أعلم بمصلحة الناس من رب الناس، من خالق الناس الذى يعلم سرهم و نجواهم و يعلم ما كان و ما سيكون و ما لم يكن و لو كان كيف يكون. و الحقيقة أنه ما وجد قط إنسان أكثر حيطة فى التمسك بالنص و حرفيته من عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه. فقد مر معنا من خلال الأمثلة التى ذكرناها سابقا فى هذا البحث كيف كان ينادى بالناس هل منكم من سمع من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم شيئا فى هذا؟!! .. لكن من الذى يستطيع أن يطبق النص؟ إنّ أقدر الناس على الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۲۰ تطبيق النص، أفهمهم للنص و أعرفهم و أعلمهم للقواعد العربية و أصول الدلالات فى منطوق النص و مفهومه الموافق و مفهومه المخالف و دلالة الخطاب و فحواه. و عمر كان من أعلم الناس بقواعد تفسير النصوص، و تعالوا ننظر معا ما ذا فعل عمر؟. بالنسبة لقوله تعالى:* إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ وَ الْمَساكِينِ وَ الْعامِلِينَ عَلَيْها وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقابِ وَ الْغارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (۶۰)، (التوبة: ۶۰) .. هناك فى اللغة العربية اسم موصول للفقراء أى للذين يتصفون بالفقر، للمساكين أى للذين يتصفون بالمسكنة، للعاملين عليها أى للذين يقومون بجباية الزكاة، للمؤلفة قلوبهم أى للذين تشعرون بالحاجة إلى أن تؤلفوا قلوبهم ... الفقراء، إن زال الفقر عنهم لن يعودوا أهلا لأخذ الزكاة، و مناط وجوب إعطاء الزكاة للمؤلفة قلوبهم أن يشعر المسلمون أنهم بحاجة إلى تأليف قلوب من وفدوا إلى الإسلام من جديد. إذا مناط الحكم أن ننظر إلى واقعنا، فإذا كان هذا الواقع عزيز قوى و كان من دخل فى الإسلام، وحده يعزه و يغنيه و يحميه، إذا وجدنا أنّ الأمر كذلك فإنّ مناط دفع الزكاة إليهم ارتفع. أما إن كان الإسلام فى ضعف فيكون حكم إعطاء الزكاة للمؤلفة قلوبهم عندئذ ساريا، و قد كان الإسلام فى عهد عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه عزيزا لا بل فى أعزّ أحواله. بالنسبة للمسألة الثانية، و هى أنّ رجلا سرق فى عام المجاعة و كان أجيرا و علم عمر أنّهم كانوا يبخسون حقه فقال لهم ":و اللّه لو لا- أنى أعلم أنكم تظلمونه و لا- تعطونه حقه لقطعت يده، "و الآن عام مجاعة، فجمعا بين النصوص التالية: قوله تعالى: وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما ...، (المائدة: من الآية ۳۸)، و قوله صلّى اللّه عليه و سلّم: (ادرءوا الحدود بالشبهات ما استطعتم فإنّ الحاكم لأن يخطئ فى العفو خيرا من أن يخطئ فى العقوبة)، و هذا قانون عام فى القضاء و بدلا من العقوبة يعزّر القاضى المذنب و يعاقبه و لكن لا يقطع يده. إذا عمر عمل بالنص و لكنه علم بالحديث الذى خصص الآية و قضى بموجبه و ليس كما زعم الجاهل بأنه ترك النص و تبع المصلحة التى رآها مناسبة و فى ذلك دليل على أنّ الحديث يبين و يشرح كلام اللّه تعالى الذى قال فى كتابه العزيز: وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، [النحل: ۴۴]. هذا من جهة و من الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۲۱ جهة أخرى، فإنّ للسرقة نصابا حتى تقطع يد السارق فإن سرق شيئا قيمته دون النصاب يعزّر و لا تقطع يده. و المبلغ الذى سرقه الرجل ربما ليس بذاك المبلغ الكبير أو احتمال أن يكون سرقه ليسد ضرورة و الضرورات تبيح المحظورات. و ينبغى قبل أن نطبق هذه القاعدة أن نعلم ما معنى الضرورة و ما الفارق بين الضرورات و الحاجيات و التحسينيات؟. و قد بيناها فى بداية الفصل الأول من الكتاب. و أما المسألة الثالثة، فقوله تعالى: الطَّلاقُ مَرَّتانِ فَإِمْساكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ ...، (البقرة: من الآية ۲۲۹)، لا- علاقة له بالموضوع الذى أفتى به عمر، و إنما هى بيان للطلاق و أنه ينبغى أن يفرق بين الطلقة و الأخرى و إلا كان آثما، أى من طلق زوجته ثلاثا فى مجلس واحد كان آثما. أما من لم يتق اللّه تعالى و ارتكب المحرّم فقال لزوجته أنت طالق بالثلاث فهذا لن يجعل اللّه تعالى له مخرجا لأن اللّه تعالى قال: وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (۲)، و هذا لم يتق اللّه تعالى، و ارتكب الحرام و طلق زوجته ثلاثا بمجلس واحد، لم يجعل اللّه له مخرجا. فإذا القرآن يقضى بأن من طلق زوجته ثلاثا فى مجلس واحد فهو ثلاث و هناك أحاديث صحيحة كثيرة نصّت على أنّ الرجل إن طلق ثلاثا فى مجلس واحد فهو ثلاث و لكنه طلاق بدعى مكروه، و من ذلك حديث رواه الشيخان عن عويمر العجلانى رضى اللّه عنه و قد اتهم زوجته بالزنا، و جاء إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، فدله

على الملاعنة التى أنزلها اللّه تعالى فى محكم كتابه. و لكنه لم يكن يعرف أنّ نتيجة الملاعنة التفريق الأبدى، و عند ما علم ذلك جلس أمام ركبتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و قال ":يا رسول اللّه كذبت عليها إن أمسكتها هى طالق ثلاثا. "فإذا عويمر العجلانى طلق زوجته فى مجلس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ثلاثا بكلمة واحدة، و لو لا أنّ هذا كان جاريا فى عصر النبوة لما قال ذلك. و حديث فاطمة التى قالت لسيدنا عمر طلقنى زوجى البتة فلم يجعل لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم نفقة و لا سكنى، كلمة البتة كناية عن ثلاث طلقات و فى ذلك دليل أنّ النبى عليه الصلاة و السلام أفتى أنه طلقها ثلاثا. أيضا ما رواه الشافعى و الترمذى و النسائى و كثيرون عن ركانة رضى اللّه عنه أنه طلق زوجته قائلا أنت طالق البتة، و جاء إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم نادما فقال له رسول اللّه الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۲۲ صلّى اللّه عليه و سلّم ":آللّه (أى أقسم عليك باللّه) ما أردت (بكلمة البتة) إلا واحدة؟، فقال ركانة ": و اللّه ما أردت بها إلا واحدة. "فأعادها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم له، فلو لم تكن كلمة البتة تعنى ثلاثا لما سأل النبى صلّى اللّه عليه و سلّم ركانة ما ذا أراد من قوله البتة، و لو لم يكن طلاق الثلاثة فى المجلس الواحد يقع لما سأل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ركانة عن قصده بكلمة البتة. أما حديث مسلم الذى يرويه عن طاوس و عن ابن عباس ":كان طلاق الثلاث على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم واحدة فى عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و فى عهد أبى بكر و فى صدر من خلافة عمر ثم قال عمر إنّ الناس قد استعجلوا فى أمر كانت لهم فيه أناة، فمن استعجل أناة اللّه ألزمناه بها، "قال ابن جرير الطبرى فى شرح هذا الحديث و أبو وليد الباجى و النووى فى شرحه على صحيح مسلم، معناه أى كان الرجل فى صدر الإسلام إذا أراد أن يطلّق زوجته ثلاث تطليقات لا يستعمل إلا نفس اللفظة أى لفظة البتة فيقول ":أنت طالق البتة، "و إذا أراد أن يطلق طلقة واحدة قال ":أنت طالق البتة." فالبتة كناية عن طلقة واحدة أو ثلاث حسب النية، و كان الشائع الأغلب فى عهد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و فى عهد أبى بكر و شطر من عهد عمر أنه يقصد بذلك طلقة واحدة. هذا هو الغالب و العام لأنه نادر جدا من الصحابة من طلق ثلاث مرات دفعة واحدة لأنّ ذلك محرّم. فكان الرجل إذا جاء إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أو أبى بكر و قال له إنى طلقت زوجتى البتة، صحيح أنّ البتة كناية عن طلاق الثلاث و لكن الشائع الأغلب أنه يقصد بها واحدة، لذلك كان يسأل عن نيته، فإذا قال واحدة حكم له بواحدة. و لمّا كانت خلافة عمر تغيّر حال الناس و أخذ كثير من الناس يطلق ثلاث طلقات بكلمة واحدة، و شاع بينهم استعمال لفظ البتة على الثلاث، لذلك حكم عمر على من قال له إنى طلقت زوجتى البتة أنه طلقها ثلاثا إلا أن يقسم أنه ما قصد إلا واحدة ذلك لأننا نحكم على الألفاظ حسب العرف فإذا كان عرف الناس أن يطلّقوا طلاق البتة و يقصدون به ثلاثا وقع ثلاثا كما أصبح العرف فى عصرنا لمن قال لزوجته أنت علىّ حرام وقع طلاقا و هذا اللفظ فى أصله كناية و لكن لما شاع استعمال الناس له على أنه طلاق أصبح يفتى لمن قال هذا اللفظ لزوجته أنه طلقها. و هذا الذى قال به عمر من أن من طلق زوجته ثلاثا فى مجلس واحد وقعت ثلاث تطليقات و بانت منه بينونة كبرى و هو ما قاله جمهور علماء الحديث و أجمعت عليه الأمة. إذا هذا الحديث فى واد و ما استدلّ عليه و فهمه أحمد أمين فى واد آخر! الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۲۳ شبهة أخرى: عند ما انتصر جيش عمر فى القادسية بقيادة سعد بن أبى و قاص و فتح المسلمون العراق، غنم المسلمون غنائم كثيرة و أموال منقولة و غير منقولة. أمّا الأموال غير المنقولة فقد اعتبرت أنها سواد العراق و هى مثل غوطة دمشق أراض واسعة شاسعة كلها مزروعة. سيدنا عمر قسم الأموال المنقولة على الجيش و لكنه لم يقسم السواد و ذلك بعد أن شاور الصحابة مثل سيدنا معاذ و على و عثمان و جمهور الصحابة كانوا معه فى ذلك ... و يقول بعض المستشرقين: تعاطى عمر مع روح النص حين فعل ذلك لأنه خلاف الآية القائلة:* وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ، [الأنفال: ۴۱]. الجواب على هذه الشبهة ما يلى: قال عمر و وافقه على ذلك جمهور الصحابة، لو قسمنا هذه الأراضى الشاسعة سيمتلكها المسلمون فى هذا العصر و تأتى الأجيال الأخرى و ليس لهم شىء، فرأى أنه من الخير أن تكون هذه الأراضى ملكا لبيت مال المسلمين حتى تستغنى الأجيال به إلى ما شاء اللّه. و لكن يا ترى هل تجاوز عمر بذلك النص؟ .. قال تعالى: ما أَفاءَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ، [الحشر: ۷] ... وَ الَّذِينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا

وَ لِإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونا بِالْإِيمانِ، [الحشر: ۱۰]. إذا استنادا على قول اللّه تعالى هذا تعطى هذه الأموال غير المنقولة للّه أى للمصالح العامة و للرسول (و من بعده لبنى هاشم) و لذى القربى و اليتامى و المساكين و الفقراء و الأجيال الآتية من بعدهم، لقوله تعالى: وَ الَّذِينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ ...، لذلك قال عمر إذا وزعت هذه الأراضى الآن و امتلك كل واحد منكم قسما منها، كيف يمكن أن أنفذ أمر اللّه فى أن أجعل فى هذه الأراضى حصصا للأجيال القادمة؟!!! أما ما جاء فى سورة الأنفال، فالمقصود به الغنائم المنقولة. و الآن بعد هذا التوضيح أ ليس هذا تمسّكا بالنص من سيدنا عمر؟ و لكن من يفقه؟ و من يعلم كيف يستخرج الأحكام من النصوص؟ و هذا لا يعنى أنّ الإنسان لا يبحث عن المصلحة و لكن المصلحة تكون مع النص لأنّ اللّه تعالى أعلم أين تكون مصلحة العباد. أمّا ما ليس فيه نص كالمصالح المرسلة، فها هو عمر الذى خطط لبناء الكوفة و البصرة حيث أرسل مهندسه و أمر أن تكون الشوارع الأساسية عرض ۳۰ ذراع و الشوارع الفرعية عرض الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۲۴ ۲۰ ذراعا، و البيوت التى تبنى على الشوارع الأساسية لا مانع من أن يكون ارتفاعها عاليا و البيوت التى من ورائها أخفض. عند ما فتحت العراق و الشام جمع عمر مجلس شوراه و قال لهم رأيت التجارة بأيدى الأقباط و إنى آمركم أن تتجروا فقال له بعض الحاضرين يا أمير المؤمنين أمر كفيناه أى الأقباط كفونا العمل، كأنه يقول أنّ اللّه تعالى جعلهم خدّاما لنا، فلما ذا نتاجر؟ قال عمر "لأن قلتم هذا و اللّه ليكوننّ رجالكم تبعا لرجالهم و ليكوننّ نساؤكم تبعا لنسائهم. "فإذا كان عمر كغيره من الصحابة الكرام يهتم بمصلحة المسلمين، و هذه الأمثلة التى ذكرناها من المصالح المرسلة. أما إذا كان هناك نص، فكان عمر و باقى الصحابة أكثر من يتمسك به لأنهم يعلمون حقا أن المصلحة مع النص أ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (۱۴)، [الملك: ۱۴].

۳- الدور الثالث: التشريع فى عهد صغار الصحابة و التابعين

اشارة

۳- الدور الثالث: التشريع فى عهد صغار الصحابة و التابعين يبتدئ هذا الدور من ولاية معاوية بن أبى سفيان رضى اللّه تعالى عنه، أى فى بداية العهد الأموى سنة ۴۱ هجرية إلى أوائل القرن الثانى من الهجرة.

مميزات و خصائص هذا الدور:

مميزات و خصائص هذا الدور: ۱- تفرّق المسلمين سياسيا و اتساع نطاق الخلاف لظهور نزعتين سياسيتين بعد مقتل عثمان رضى اللّه تعالى عنه و هما: الخوارج و شيعة على (و هى فئة سياسية، أى لها بعض الآراء السياسية المعينة لا أنها كانت تخالف المسلمين فى بعض أمور الدّين كحال الشيعة فى عصرنا، أما الشيعة كمذهب دينى كما هو فى عصرنا لم يكن له وجود فى ذلك العصر و لم يظهر هذا المذهب إلا فى القرن الثالث الهجرى). ۲- انتشار الصحابة فى البلاد بعد أن كانوا محصورين بين مكة و المدينة و ذلك لاتساع رقعة الإسلام و الاحتياج إلى فتاوى جديدة و بالتالى إلى سماع الأحاديث. ۳- ظهور الكذب فى الحديث عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و ذلك للأسباب التالية: أ- وجود الزنادقة و أعداء الدين من اليهود (كعبد اللّه بن سبأ) و الروم و المزدكية و غيرهم الذين كانوا يكيدون للإسلام باطلا، و هؤلاء لبسوا مسوح الإسلام و كانوا يظهرون التّدين و يجلسون مجلس الرواية عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ليستمعوا الأحاديث ثم يجلسون الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۲۵ مجالس أخرى يعلّمون الناس فيها أحاديث مكذوبة. و قد تلبّس كثير من هؤلاء المجرمين بالجرم المشهود فعوقبوا و أنزلت بهم الخلافة الإسلامية آنذاك أشد العقوبات فكان أحدهم يقول قبل أن يقتل لينفّس عن غيظه: أين أنتم من الأحاديث التى وضعتها فيكم أحرّم الحلال و أحلّ الحرام. ب- انتصار المتعصبين لمذاهبهم كدعاة المبتدعة: يروى عبد اللّه بن ذريعة يقول: قال لى شيخ من الخوارج تاب "إنّ هذا الحديث دين، فانظروا عمّن تأخذون

الحدیث، فإنّا کنا إذا رأینا رأیا جعلناه حدیثا ... "و کذا من فئة الشیعة، ورد أنّ جابر الجم و هو ممن غالی من التشیع قال أنا عندی خمسون ألف حدیث، یرویها ابتداعا عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم. ج- العاطفة الإسلامیة الفجة التی لا تضبطها قواعد العلم، کالتی نجدها عند جهلة المتعبدین الذین وضعوا الأحادیث فی الفضائل و غیرها. أراد بعض الجهلة أن یرغّبوا العامة فی الجنة و یخوّفوهم من النار، فأخذوا یضعون (أی یختلقون) الأحادیث و هم یقولون إذا وقعوا بید العلماء ":نحن نکذب لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و لا نکذب علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم!. "د- رغبة بعض الفسقة من المحدثین فی جمع عدد کبیر من الناس حولهم فی المساجد و تنافسهم فیما بینهم لجعل حلقة الواحد منهم أکبر من حلقة غیره، و هذه الظاهرة نجدها حتی فی عصرنا الیوم فتجد واحدا ممن ادعی العلم یروی الأحادیث الموضوعة و المکذوبة فی دروسه و عامة الناس لا- یعرفون لا- بل یظنونه من کبار العلماء! و کان العلماء یحذّرون من مجالسة هؤلاء القصاصین. فائدة: من علامات الحدیث الموضوع ما یلی: ۱- ذکر أعداد کثیرة (سبعون ألفا مع کل ألف ...). ۲- الأجر الکثیر علی العمل القلیل. ۳- قصص عن سیدنا موسی و سیدنا داود علیهما السلام. ۴- الأحادیث المتعلقة بفضائل بعض السّور المذکورة فی بعض کتب التفاسیر، أما الأحادیث الواردة فی فضل سورة البقرة و آل عمران و الکهف و یس و تبارک و الإخلاص و ما شابه فیحتج بها. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۲۶ من هنا کان لا بد من صحوة المسلمین لمجابهة هذا الخطر، فمنعوا روایة الحدیث و حصروها فیمن کانوا أهلا لذلک. و بدأ تدوین السنّة بأمر من عمر بن عبد العزیز، ففی عام ۹۹ هجریة کان أبو بکر بن حزم أول من دوّن أحادیث النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و جمعها بین دفتی کتاب و من ثم تبعه الکثیرون کسفیان بن عیینة و غیره. و باشر العلماء أیضا بتدوین العلوم الکفیلة بحفظ الروایة کعلم الجرح و التعدیل، و وضع شروط الروایة و شروط الحدیث الصحیح و الحسن و الضعیف و المرسل و الموقوف ... و فی ما یلی نورد بعض التعاریف المهمة المتعلقة بعلم مصطلح الحدیث:

نبذة عامة بمصطلح الحدیث:

اشارة

نبذة عامة بمصطلح الحدیث: لقد تواترت الأحادیث عن النبی صلّی اللّه علیه و سلّم کما نعلم، فی وجوب الأخذ بهدیه فی کل شیء من الأمور، و من ذلک قوله صلّی اللّه علیه و سلّم ":علیکم بسنتی و سنة الخلفاء المهدیین الراشدین، تمسکوا بها و عضوا علیها بالنواجذ، و إیاکم و محدثات الأمور فإن کل محدثة بدعة، و کل بدعة ضلالة ... "و النبی صلّی اللّه علیه و سلّم قد حض علی اتباع سنته لما فیها من مضاعفة الأجر: قال صلّی اللّه علیه و سلّم ":من أحیی سنة من سنتی قد أمیتت بعدی کان له من الأجر مثل من عمل بها من غیر أن ینقص من أجورهم شیئا، "أخرجه الترمذی. و عنه صلّی اللّه علیه و سلّم قال ": المتمسک بسنتی عند فساد أمتی له أجر مائة شهید، "أخرجه الطبرانی فی الأوسط و البیهقی فی الزهد. لذلک عنیت الأمة الإسلامیة بالحدیث النبوی، و بذلت من أجله أعظم الجهد. فقد نقل لنا الرواة أقوال الرسول علیه الصلاة و السلام فی الشئون کلها العظیمة و الیسیرة، بل الجزئیات التی قد یتوهم أنها لیست موضع اهتمام، حتی یدرک من یتتبع کتب السنة أنها ما ترکت شیئا صدر عنه صلّی اللّه علیه و سلّم إلا روته و نقلته. و لقد علم الصحابة بقیادة الخلفاء أنهم خرجوا هداة لا جباة، فأقام الکثیر من الصحابة الفاتحین فی أصقاع متفرقة ینشرون العلم و یبلّغون الحدیث. و نجد هذا الحرص، یسری من الصحابة إلی التابعین فمن بعدهم ... من هنا تقرر للناظر حقیقة لها أهمیتها، و هی أن الصحابة رضوان اللّه علیهم أجمعین یرجع إلیهم الفضل فی بدء علم الروایة للحدیث، ذلک لأن الحدیث النبوی فی حیاة المصطفی کان الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۲۷ علما یسمع و یتلقّف منه صلّی اللّه علیه و سلّم- کما مر معنا- فلما لحق صلّی اللّه علیه و سلّم بالرفیق الأعلی،

حدّث عنه الصحابة بما وعته صدورهم الحافظة و رووه للناس بغاية الحرص و العناية، فصار علما يروى و ينقل، و وجد بذلك علم الحديث رواية حيث وضع الصحابة له قوانين تحقق ضبط الحديث، و تميز المقبول من غير المقبول و من هنا نشأ علم مصطلح الحديث.

تعريف الحديث:

تعريف الحديث: هو "ما أضيف إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقى أو خلقى ... و معنى علم الحديث كتعبير لغوى إدراك الحديث، و لكنه استعمل عند العلماء كاصطلاح يطلقونه بإطلاقين: أحدهما: علم الحديث رواية أو رواية الحديث. و الثانى: علم الحديث دراية أو علم دراية الحديث. علم الحديث رواية ":هو علم يشتمل على أقوال النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و أفعاله و تقريراته و صفاته و روايتها و ضبطها و تحرير ألفاظها. "فهو علم موضوعه ما أضيف إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و يبحث عن روايتها و ضبطها و دراسة أسانيدها و معرفة حال كل حديث، من حيث القوة و الضعف. كما يبحث فى هذا العلم عن معنى الحديث و ما يستنبط منه من الفوائد. باختصار، فعلم الحديث رواية يحقق بذلك غاية عظيمة جدا تقوم على "الصون عن الخلل فى نقل الحديث. "علم الحديث دراية: و يطلق عليه "مصطلح الحديث، "و هو ":علم بقوانين يعرف بها أحوال السند و المتن." و السند هو حكاية رجال الحديث الذين رووه واحدا عن واحد إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم. و أحوال السند: هى ما يطرأ عليه من اتصال، أو انقطاع، أو تساهل بعض رجاله فى السماع، أو سوء الحفظ، أو اتهامه بالفسق أو الكذب أو غير ذلك. و أما المتن: فهو ما ينتهى إليه السند من الكلام. و أحوال المتن، هى ما يطرأ عليه من رفع، أو وقف، أو شذوذ أو علة، أو غير ذلك. فعلم المصطلح يضبط رواية الحديث و يحفظ الحديث النبوى من الخلط فيه أو الافتراء عليه، و لو لا هذا العلم لاختلط الحديث الصحيح بالضعيف و الموضوع و لاختلط كلام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بكلام غيره!. و يعتبر القرن الثالث الهجرى عصر التدوين الذهبى للسنّة، و فيه أصبح كل نوع من أنواع الحديث علما خاصا، فأفرد العلماء كل نوع منها بتأليف خاص. و لقد توالت سلسلة الجهود الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۲۸ العلمية متواترة متضافرة لحمل الحديث النبوى و تبليغه علما و عملا، فنا و دراسة و شرحا، منذ عهد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم إلى عصرنا الحاضر، و إنها حقا لمكرمة عظيمة أكرم اللّه بها هذه الأمة، بل هى معجزة تحقق صدق التنزيل: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (۹)، [الحجر: ۹]. قال الحافظ أبو على الجيانى ":خص اللّه تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها: الإسناد، و الأنساب، و الإعراب."

أهم مراتب الحديث من حيث القوة و الضعف:

أهم مراتب الحديث من حيث القوة و الضعف: ۱- الحديث الصحيح: هو الحديث الذى اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط من أوله إلى منتهاه، دون شذوذ أو علة. فالعدالة و الضبط يحققان أداء الحديث كما سمع من قائله، و اتصال السند على هذا الوصف من الرواة يمنع اختلال ذلك فى أثناء السند، و عدم الشذوذ يحقق و يؤكد ضبط هذا الحديث الذى نبحثه و أنه لم يدخله و هم، و عدم الإعلال يدل على سلامته من القوادح الخفية، فكان الحديث بذلك صحيحا لتوفر النقل الصحيح، فيحكم له بالصحة إجماعا. ۲- الحديث الحسن: هو الحديث الذى اتصل إسناده بنقل عدل خفّ ضبطه فهو كالحديث الصحيح إلا أنّه فى إسناده من خفّ ضبطه. بالمقارنة بين هذا التعريف، و بين تعريف الحديث الصحيح، نجد أن راوى الحديث الصحيح تام الضبط، أما راوى الحديث الحسن فهو خف ضبطه. فالمقصود أنه درجة أدنى من الصحيح، من غير اختلال فى ضبطه و ما كان كذلك يحسن الظن

بسلامته فيكون مقبولا. ۳- الحديث الضعيف: هو الحديث الذى فقد شرطا من شروط الحديث المقبول من عدالة أو ضبط أو اتصال أو سلامة من الشذوذ و العلة. ۴- الحديث الموضوع: هو المختلق المصنوع. أى الذى ينسب إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كذبا، و ليس له صلة حقيقية بالنبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و هو ليس بحديث. ۵- الحديث الموقوف: هو ما أضيف إلى الصحابة رضوان اللّه تعالى عليهم. سمّى موقوفا لأنه وقف به عند الصحابى، و لم يرفعه إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم. و بعض العلماء يطلقون على الموقوف اسم الأثر. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۲۹ ۶- الحديث المقطوع: هو ما أضيف إلى التابعى. ۷- الحديث المرسل: هو ما أضافه التابعى إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، بأن يقول ":قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم "سواء كان التابعى كبيرا أو صغيرا.

علم الجرح و التعديل:

علم الجرح و التعديل: الجرح عند المحدثين هو الحكم على راوى الحديث بالضعف لثبوت ما يسلب أو يخل بعدالته أو ضبطه. و التعديل هو عكسه، و هو تزكية الراوى و الحكم عليه بأنه عدل ضابط. فعلم الجرح و التعديل هو ميزان رجال الرواية، به نعرف الراوى الذى يقبل حديثه و نميزه عمن لا يقبل حديثه. و من هنا اعتنى به علماء الحديث كل العناية، و بذلوا فيه أقصى جهد، و تكبدوا المشاق، ثم قاموا فى الناس بالتحذير من الكذابين و الضعفاء المخلطين و لقد انعقد إجماع العلماء على مشروعيته، بل على وجوبه للحاجة الملجئة إليه. و لقد اشترطت شروط لا بد من أن تتوفر فى الجارح و المعدل لكى تجعل حكمه منصفا كاشفا عن حال الراوى، كالعلم، و التقوى، و الورع، و الصدق، و اليقظة التى تحمله على التحرى و الضبط و أن يكون عالما بأسباب الجرح و التعديل و بتصاريف كلام العرب فلا يضع اللفظ لغير معناه. و لقد تعجب علماء الغرب و قالوا نحن لا نتصور أنّ أى حضارة ينشأ فيها علم كهذا، لأنه علم يحتاج إلى جهد كبير و إنفاق الأموال و السفر ... و لكن لو علموا كيف كان حب المسلمين لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و كيف كان الواحد منهم يفديه بروحه كما فعل ذاك الصحابى فى معركة أحد و هو سيد الأنصار، حيث جعل من نفسه و صدره و وجهه درعا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و عند ما انتهت المعركة أرسل النبى عليه الصلاة و السلام يتفقده، جاءه الصحابة فوجدوه ملقيا على الأرض على شفير الموت، سألوه عن حاله فقال لهم ":كيف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم؟ قالوا: بخير، قال: إذا أنا بخير و الحمد للّه، بلّغوا عنى الأنصار، لأن متم جميعا فداء للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم خير لكم من أن يجرح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بجرح. "لذلك شعر علماء المسلمين أنهم بعملهم هذا (و هو تدوين السنة) إنما يدافعون عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و عن حديثه، فكان الواحد منهم يشقى نفسه و يفنى عمره بالسهر و التعب و السفر و إنفاق الأموال فى سبيل المحافظة على سنّة الحبيب محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، جزاهم اللّه تعالى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۳۰ عن أمة الإسلام كل خير.

أهم كتب الرواية فى القرنين الثانى و الثالث هجرى:

۱- موطأ مالك:

۱- موطأ مالك: و يعود تدوين هذا الكتاب إلى منتصف القرن الثانى هجرى، و قد استغرق تصنيفه و جمعه و تحريره أربعين عاما. أما عن تسميته، فقد روى عن الإمام مالك أنه قال ":عرضت كتابى هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة، كلهم وطّأنى عليه فسمّيته الموطأ، (وطّأ أى وافق) ... و قد جمع فى الموطأ ۱۷۲۰ حديثا مرفوعا و ۶۰۰ مرسلا و ۲۲۲ موقوفا و أقوال التابعين و فتاويهم. و الموطأ له مكانة عالية جدا و أغلب ما فيه صحيح. قال الشافعى ":ما على ظهر الأرض كتاب بعد كتاب اللّه أصح من موطأ مالك. "و لم يكن كتاب البخارى قد ظهر بعد.

۲- مسند الإمام أحمد:

۲- مسند الإمام أحمد: دوّنه فی أول القرن الثالث هجری و یعتبر من أشهر دواوین السنة المشهورة و أجمعها للأحادیث، فقد وضع فیه الإمام أحمد قرابة ثلاثین ألف حدیث، انتقاها من نحو سبعمائة و خمسین ألف حدیث. و لقد راعی فیه تسلسل نظام الطبقات بالنسبة للصحابة الذین أسند إلیهم الحدیث، حیث قدّم أولا أحادیث العشرة المبشّرین بالجنة و أولهم الخلفاء الأربعة ثم بعدهم أحادیث أهل البیت و أقدم الصحابة إسلاما ... أکثر أحادیث المسند صحیحة بل و فیه من الأحادیث الصحیحة زیادة علی ما فی الصحیحین بل و السنن الأربعة، و فیه الحدیث الحسن و الضعیف، و یقال إنّ فیه بعض الأحادیث الموضوعة و لکن ما وجد فیه لا یزید عن أربعة أحادیث و قد اعتذر عنها بأن ترکها الإمام أحمد سهوا، و قد عاجلته منیّته قبل إتمام تنقیح المسند منها، و قیل هی من زیادة ابنه عبد اللّه بن أحمد.

۳- صحیح البخاری:

۳- صحیح البخاری: و یسمی الجامع الصحیح و یعتبر صحیح البخاری عند أهل السنة و جمهور الفقهاء و الأصولیین أصح کتب السنة و الأحادیث علی الإطلاق، بل هو عندهم أصح کتاب بعد القرآن الکریم ... و یعتبر صحیح البخاری أول کتاب دوّن فی بدایة النصف الثانی من القرن الثالث هجری، و قد بذل الإمام البخاری فی تصنیف کتابه "الجامع الصحیح "جهدا کبیرا و وقتا طویلا بلغ ستة عشر عاما حتی جمعه ... و قد اختار أحادیثه من ستمائة ألف حدیث، و اقتصر علی إخراج الصحیح منها و لم یستوعب کل الصحیح بل اختار منه ما وافق شرطه، و قد ترک من الصحیح أکثر مما أثبته لئلا یطول الکتاب. جمع الإمام البخاری فی کتابه هذا نبذة من أحادیث الأحکام و الفضائل الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۳۱ و الأخبار و الأمور الماضیة و المستقبلیة بالإضافة إلی الآداب و الرقائق و الدعوات و المغازی و السّیر لذلک سمی کتابه بالجامع الصحیح. و ما کان من الأحادیث غیر المسندة مما لم یتصل سنده من المعلقات، مما حذف من أول سنده راو أو أکثر فهذا خارج عن نمط الکتاب و منهجه و موضوعه و مقاصده، و إنما أورده البخاری للاستشهاد فقط فی تراجم أبواب الکتاب و لا یوجد شیء منها فی صلب الکتاب. و مما ینبغی أن یعلم أنّ ما أورده البخاری منها بصیغة الجزم مثل "قال "و "ذکر "و روی "فهذا یفید الصحة إلی من علّق عنه، و أما ما علّقه عن شیوخه بصیغة الجزم فلیس من المعلّق و إنما هو من المتصل و قد یعلّق البخاری الحدیث فی بعض المواضع من الجامع الصحیح و هو بسند متصل فی مکان آخر فی نفس الصحیح و قد یکون الحدیث معلقا عنده فی الصحیح و هو صحیح متصل عند مسلم أو عند غیره من أصحاب کتب السنة المشهورة. أما إذا کان المعلق بصیغة لا تدل علی الجزم و یقال لها صیغة التمریض مثل "قیل "و "یروی "و "یذکر، "فهذا لا یستفاد منه الصحة و لا عدمها بل یحتمل. أحادیث الجامع الصحیح علی ما حققه ابن حجر بلغت ۲۶۰۲ حدیثا غیر مکررا، و إنّ جملة ما فیه من الأحادیث المکررة سوی المعلقات و المتابعات ۷۳۹۸ حدیثا و جملة ما فیه من المعلقات ۳۴۱ و جمع ما فیه بالمکرر ۹۰۸۲. أجمع شروحه: أ- فتح الباری شرح صحیح البخاری للحافظ ابن حجر العسقلانی الشافعی. ب- عمدة القاری بشرح البخاری للعینی الحنفی.

۴- صحیح مسلم:

۴- صحیح مسلم: یسمی الجامع الصحیح و یعتبر ثانی کتب الصحاح. استغرق جمعه ۱۲ عاما، و قد انتقاه من ثلاثمائة ألف حدیث. جملة ما فی صحیح مسلم دون المکرر أربعة آلاف حدیث و هو بالمکرر یزید علی صحیح البخاری لکثرة طرقه. لم یستوعب البخاری و مسلم فی صحیحیهما کل الأحادیث الصحیحة و لا التزما إخراج کل الصحیح و إنما أخرجا من الصحیح ما هو علی شرطهما. فقد روی عن البخاری أنه قال ": ما وضعت فی کتابی الجامع إلا ما صح و ترکت من الصحاح مخافة الطول. "و قال مسلم ":لیس کل

شیء عندی صحیح وضعته هنا و إنما وضعت ما أجمعوا علیه. "إذا فإنّ کثیرا من الأحادیث الصحیحة توجد عند غیرهما من الکتب المعتمدة، ممن التزم أصحابها إخراج الصحیح فیها کمستدرک الحاکم و صحیح ابن حبّان و صحیح ابن الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۳۲ خزیمة. و الصحیح أن یقال إنه لم یفت الأمهات الست- الصحیحین و السنن الأربعة (سنن أبی داود و سنن الترمذی و سنن ابن ماجة و سنن النّسائی)- إلا الیسیر من الأحادیث الصحیحة و توجد هذه الزوائد من الأحادیث الصحیحة فی مسند أبی یعلی و البزّار و بقیة السنن الأخری.

۵- سنن أبی داود:

۵- سنن أبی داود: اعتنی أبو داود بأحادیث الأحکام خاصة و انتقی صحیحه من خمسمائة ألف حدیث و اشتمل علی أربعة آلاف حدیث من أحادیث الأحکام خاصة، لذلک فهو مرجع للفقهاء فی أحادیث الأحکام. و هذا الکتاب هو أول السنن الأربعة و أقدمها منزلة بعد الصحیحین. قال أبو داود ":قد ذکرت فیه الصحیح و ما یقاربه و ما کان فیه و هن شدید بیّنته و لیس فی کتابی هذا الذی صنّفته عن رجل متروک الحدیث شیء. "و لکن مع هذا مع فهو لا ینص علی صحة الحدیث و لا ضعفه، فیسکت عنه. و ما سکت عنه فی منهجه صالح للاحتجاج به و لکن العلماء تتبعوا أحادیث السنن و دققوا فیها و حکموا علیها.

۶- جامع الترمذی:

۶- جامع الترمذی: و یسمی سنن الترمذی، و یعتبر فی المرتبة الثانیة بعد سنن أبی داود. التزم فیه الترمذی بأن لا یخرّج إلا حدیثا عمل به فقیه أو احتج به مجتهد. و لم یلتزم الترمذی بإخراج الصحیح فقط و لکنه أخرج الصحیح و نصّ علی صحته و أخرج الحسن و بیّنه و نوّه به و أکثر من ذکره و هو الذی شهره، و أخرج الحسن الصحیح. یعتبر کتاب الترمذی من مظان الحدیث الحسن. و أخرج أیضا الضعیف و نصّ علی ضعفه و أبان علته و أخرج بعض الأحادیث المنکرة فی باب الفضائل و نبّه علیها غالبا. تمیّز کتابه بالاستدلالات الفقهیة و استنباط الأحکام من الأحادیث و بیّن من أخذ بها أو عمل بها من الصحابة و التابعین و الأئمة المجتهدین من فقهاء الأمصار. و قد تضمّن کتابه أیضا کتابا آخر سماه "العلل، "کشف فیه علل بعض الأحادیث و بذلک یکون جامع الترمذی قد تضمّن فوائد کثیرة.

۷- سنن النّسائی:

۷- سنن النّسائی: صنّف النسائی "سننه الکبری "التی تعتبر أقل الکتب- بعد الصحیحین- حدیثا ضعیفا و رجلا مجروحا، ثم استخلص منه "السنن الصغری "و تسمی "المجتبی "و هذا الکتاب هو أقل السنن حدیثا ضعیفا و عدد أحادیثه ۵۷۶۱ حدیثا.

۸- سنن ابن ماجة:

۸- سنن ابن ماجة: یعتبر هذا الکتاب أدنی الکتب الستة فی الرتبة. رتب ابن الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۳۳ ماجة الأحادیث فیه علی أبواب الفقه شأنها شأن السنن الأخری. جمع فیه ۴۳۴۱ حدیثا منها ۳۰۰۲ حدیثا أخرجها أصحاب الکتب الخمسة و ۱۳۳۹ حدیثا زائدا عن الکتب الخمسة، منها ۴۲۸ حدیثا صحیح الإسناد و ۶۱۳ حدیثا ضعیفا و الباقی ۹۹ حدیثا ما بین واه أو منکر أو موضوع. خلاصة: إنّ أصحاب السنن الأربعة لم یلتزموا إخراج الصحیح فقط کما فعل صاحبا الصحیحین البخاری و مسلم، بل أخرجوا الصحیح و الحسن و الضعیف، و تتفاوت کتبهم فی المنزلة بحسب تفاوتهم فی العلم و المعرفة، و لقد کان منهجهم فی التألیف هو ترتیب الأحادیث علی أبواب الفقه و الاقتصار علی أحادیث الأحکام. أما أصحاب الجوامع فقد تناولوا مع أحادیث الأحکام أحادیث العلم و الوحی و التفسیر

و المغازی و السّیر و القصص و الفتن و أشراط الساعة و غیر ذلک من المواضیع العامة الجامعة لکثیر من الأبواب ... و نخلص إلی القول أن کل ما فی صحیح البخاری و مسلم صحیح و أغلب ما فی السنن الأربعة صحیح. فوائد: - إذا قیل رواه الشیخان أو متّفق علیه أو أخرجه صاحبا الصحیحین، فمعناه أنه رواه البخاری و مسلم فی صحیحیهما، و قد یرمز له بعض المحدّثین ب "ق "أی متفق علیه. - إذا قیل رواه الجماعة، یقصد به أصحاب الکتب السبعة: الصحیحان و السنن الأربعة و مسند أحمد. - إذا قیل رواه الستة، فهم البخاری و مسلم و أبو داود و الترمذی و النسائی و ابن ماجة ما عدا مسند الإمام أحمد. - إذا قیل رواه أصحاب السنن أو الأربعة فیعنی أصحاب السنن عدا البخاری و مسلم. - إذا قیل رواه الخمسة فهم أصحاب السنن الأربعة و أحمد فقط. - إذا قیل رواه الثلاثة فهم أصحاب السنن ما عدا ابن ماجة. ملاحظة: للبخاری کتب أخری غیر الجامع الصحیح مثل الأدب المفرد و غیره و لم یلتزم البخاری بهذه الکتب الصحة کما التزمها فی الجامع الصحیح. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۳۴

۴- الدور الرابع من تاریخ التشریع الإسلامی: عصر الأئمة

اشارة

۴- الدور الرابع من تاریخ التشریع الإسلامی: عصر الأئمة و یمتد من أوائل القرن الثانی إلی منتصف القرن الرابع و هو دور تدوین السنة و الفقه و ظهور کبار الأئمة الذین اعترف لهم الجمهور بالزعامة و سیأتی فیما یلی ترجمة کل واحد منهم:

أولا: ترجمة الإمام الأکبر أبی حنیفة النعمان رضی اللّه تعالی عنه و أرضاه:

بشارة النبی صلّی اللّه علیه و سلّم به:

بشارة النبی صلّی اللّه علیه و سلّم به: قال النبی صلّی اللّه علیه و سلّم مبشرا بأبی حنیفة ":لو کان الإیمان عند الثریا لذهب به رجل من فارس. "و فی لفظ لمسلم ":لو کان الإیمان عند الثریا لذهب به رجل من أبناء فارس حتی یتناوله. "نزل ثابت والد الإمام الکوفة و کان من وجوه بلاد فارس، و عمل بالتجارة و کان ماهرا فیها و حافظ علی نفس المستوی الاجتماعی الذی عاشته الأسرة من قبل، فی رخاء و بحبوحة. التقی ثابت الإمام علیّ کرّم اللّه وجهه الذی دعا له بالبرکة فیه و فی ذریته. و الإمام أبو حنیفة هو النعمان بن ثابت بن زوطی، ولد سنة ۸۰ من الهجرة بالکوفة. بدأ أبو حنیفة و منذ نعومة أظافره یذهب مع أبیه إلی متجره حیث کان یلازمه و یتعلم منه أصول و أسس التعامل مع البائعین و المشترین، و تابع خطی أبیه و عاش فی رخاء و یسر و کان بزّازا أی تاجر أقمشة و ثیاب و کان له شریک فی متجره یساعده.

حرصه علی الکسب الحلال:

حرصه علی الکسب الحلال: کان یقول ":أفضل المال الکسب من الحلال و أطیب ما یأکله المرء من عمل یده. "جاءته امرأة بثوب من الحریر تبیعه له فقال کم ثمنه، قالت مائة، فقال هو خیر من مائة، فقالت مائتین، فقال هو خیر من ذلک، حتی وصلت إلی أربع مائة فقال هو خیر من ذلک، قالت أ تهزأ بی؟ فجاء برجل فاشتراه بخمسمائة. و ذات یوم أعطی شریکه متاعا و أعلمه أنّ فی ثوب منه عیب و أوجب علیه أن یبین العیب عند بیعه. باع شریکه المتاع و نسی أن یبین و لم یعلم من الذی اشتراه، فلما علم أبو حنیفة تصدّق بثمن المتاع کله. و کان أبو حنیفة یجمع الأرباح عنده من سنة إلی سنة فیشتری بها حوائج الأشیاخ و المحدثین و أقواتهم و کسوتهم و

جميع لوازمهم ثم يدفع باقى الدنانير من الأرباح إليهم و يقول: أنفقوا فى حوائجكم و لا تحمدوا إلا اللّه فإنى ما أعطيتكم من مالى شيئا و لكن من الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۳۵ فضل اللّه علىّ فيكم. كان الخليفة أبو منصور يرفع من شأن أبى حنيفة و يكرمه و يرسل له العطايا و الأموال و لكن أبا حنيفة كان لا يقبل عطاء. و لقد عاتبه المنصور على ذلك قائلا: لم لا تقبل صلتى؟. فقال أبو حنيفة: ما وصلنى أمير المؤمنين من ماله بشىء فرددته و لو وصلنى بذلك لقبلته إنما وصلنى من بيت مال المسلمين و لا حق لى به. وقع يوما بين الخليفة المنصور و زوجته شقاق و خلاف بسبب ميله عنها، فطلبت منه العدل فقال لها من ترضين فى الحكومة بينى و بينك؟ قالت أبا حنيفة، فرضى هو به فجاءه فقال له: يا أبا حنيفة زوجتى تخاصمنى فانصفنى منها، فقال له أبو حنيفة: ليتكلّم أمير المؤمنين. فقال المنصور: كم يحلّ للرجال أن يتزوج من النساء؟ قال: أربع. قال المنصور لزوجته: أسمعت. فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين إنما أحلّ اللّه هذا لأهل العدل فمن لم يعدل أو خاف أن لا يعدل فواحدة لقوله تعالى: فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَواحِدَةً، [النساء: ۳]، فينبغى لنا أن نتأدّب مع اللّه و نتّعظ بمواعظه. فسكت المنصور و طال سكوته، فقام أبو حنيفة و خرج فلما بلغ منزله أرسلت إليه زوجة المنصور خادما و معه مال و ثياب، فردها و قال: أقرئها السلام و قل لها إنما ناضلت عن دينى و قمت بذلك المقام للّه و لم أرد بذلك تقربا إلى أحد و لا التمست به دنيا.

حرصه على مظهره:

حرصه على مظهره: كان حريصا على أن يكون مظهره حسنا تماما لذا كان كثير العناية بثيابه. رأى مرة على بعض جلسائه ثيابا رثة فأمره أن ينتظر حتى تفرّق المجلس و بقى وحده فقال له: ارفع المصلى و خذ ما تحته، فرفع الرجل المصلى و كان تحته ألف درهم، و قال له خذ هذه الدراهم و غيّر بها حالك، فقال له الرجل إنى موسر و أنا فى نعمة و لست أحتاج إليه، فقال له أبو حنيفة: أما بلغك الحديث ":إنّ اللّه يحب أن يرى أثر نعمته على عبده؟."

طلبه للعلم:

طلبه للعلم: لزم أبو حنيفة عالم عصره حمّاد بن أبى سليمان و تخرّج عليه فى الفقه و استمر معه إلى أن مات. بدأ بالتعلم عنه و هو ابن ۲۲ سنة و لازمه ۱۸ سنة من غير انقطاع و لا نزاع. يقول أبو حنيفة ":بعد أن صحبت حمّادا عشر سنين نازعتنى نفسى لطلب الرئاسة، فأردت أن أعتزله و أجلس فى حلقة لنفسى. فخرجت يوما بالعشىّ الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۳۶ و عزمى أن أفعل، فلمّا دخلت المسجد رأيته و لم تطب نفسى أن أعتزله فجئت فجلست معه، فجاء فى تلك الليلة نعى قرابة له قد مات بالبصرة، و ترك مالا و ليس له وارث غيره، فأمرنى أن أجلس مكانه. فما هو إلا أن خرج حتى وردت علىّ مسائل لم أسمعها منه، فكنت أجيب و أكتب جوابى. ثم قدم، فعرضت عليه المسائل و كانت نحوا من ستين مسألة، فوافقنى بأربعين و خالفنى فى عشرين، فآليت على نفسى ألا أفارقه حتى يموت و هكذا كان. "و كان أبو حنيفة شديد الأدب مع شيوخه حتى أنه كان لا يتخلى باتّجاه بيت شيخه حمّاد كان إذا نام يحرص أن لا تتوجه قدماه باتجاه بيت شيخه حمّاد. و قيل إن أبا حنيفة لم يكثر من الشيوخ مخافة أن تكثر حقوقهم عليه فلا يستطيع أداءها، فتأملوا فى أدبه الرائع!.

ولعه بالفقه الفرضى:

ولعه بالفقه الفرضى: أولع أبو حنيفة بالفقه الفرضى بخلاف معظم علماء عصره الذين كانوا يقولون نحن مضطرون أن نعلّم حكم اللّه فى أمر حصل أمّا إذا لم يقع لا نحمّل أنفسنا هذه المئونة. و معظم شيوخ أبى حنيفة كانوا على هذا المنوال و إن وجد فيهم من استجاز لنفسه أن يتوسع قليلا- فإلى حد محدود جدا. و أبو حنيفة كان على النقيض إذ كان يفرض الوقائع و إن لم تقع و كان يتأمل فى حكمها و يعطى كلا منها فتوى. هذا الأمر أعطى فقهه غزارة و غنى و مدعاة لأن يتبع الناس الفقه الأوسع و الأكثر استجابة لواقع الحال، فما لم يقع اليوم سيقع غدا لا سيما عند ما يكون هذا الإمام عالما بعلم الاجتماع و خبيرا بالمشكلات التى ستنجم، مثال ذلك: لقى أبو حنيفة قتادة رضى اللّه عنه و هو عالم من أجلّ علماء الحديث فسأله ما تقول فى رجل غاب عن أهله أمدا طويلا و لم يعرف مصيره، فتزوجت امرأته من زوج آخر و بعد حين جاء زوجها، ما تقول فى هذا؟ قال قتادة: أوقعت هذه المسألة؟ قال لا، فقال له و قد ظهر الغضب على وجهه: فلما ذا تسألنى عنها؟ قال له هذا الكلام المهم ":إننا نستعد للبلاء قبل نزوله فإذا ما وقع عرفنا الدخول فيه و الخروج منه."

فتنته مع أبى هبيرة:

فتنته مع أبى هبيرة: كان أبو هبيرة واليا بالكوفة فى زمان بنى أميّة، فظهرت الفتن بالعراق، فجمع فقهاءها ببابه و فيهم ابن أبى ليلى و ابن شبرمة و داود بن أبى هند، فولّى كل واحد منهم صدرا من عمله، و أرسل إلى أبى حنيفة فأراد أن يجعل الخاتم فى يده و لا ينفذ كتاب إلا من تحت يده و لا يخرج من بيت المال شيء إلا من الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۳۷ تحت يد أبى حنيفة. و كان المقصود حمل أبى حنيفة على الولاء له قسرا و قهرا أو إغراء بالإكثار من المسئوليات و المهمات، فامتنع أبو حنيفة و قال لو أرادنى أن أعد له أبواب مساجد واسط لما فعلت! ... و قد سجن أبو حنيفة و ضرب ضربا مبرحا مؤلما أياما متتالية حتى سقط فاقد الوعى.

منهج أبى حنيفة العلمى:

منهج أبى حنيفة العلمى: كان يقول: آخذ ما فى كتاب اللّه و بما صحّ عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و ربما اشترط زيادة عن الصحة الشهرة فيما تقتضيه الشهرة فى الأحكام و المسائل، فإن لم أجد آخذ بقول الصحابة، آخذ بقول من شئت منهم و أدع قول من شئت منهم عند ما يختلفون و لكنى ألزم نفسى بالأخذ من الصحابة و إذا لم أجد و آل الأمر إلى إبراهيم النخعى و إلى التابعين كالأوزاعى، فإنى أجتهد كما اجتهدوا و لا ألزم نفسى باتّباع رأى واحد منهم ما دام الأمر اجتهاديا. و كان يأخذ بحديث الآحاد و يعمل بها ما أمكن. مثال: قوله تعالى: فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ، [المزمل: ۲۰] و حديث النبى عليه الصلاة و السلام يقول ":لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب، "متفق عليه، فحكم أنّ أصل قراءة القرآن فى الصلاة ركن، أمّا تقسيم القراءة للقرآن الكريم إلى الفاتحة و بعض ما تيسر من القرآن فواجب و بذلك عمل بالقرآن و السنة معا. و كذلك الطمأنينة فى الركوع ليست فرضا عند أبى حنيفة لإطلاق قوله تعالى: ارْكَعُوا، أمّا الطمأنينة فثابتة بخبر الآحاد لذلك هى عنده واجبة. و من منهجه أنه يقدّم السنّة القولية على الفعلية لجواز أن يكون الفعل خصوصية للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم. و يقدّم السنّة المتواترة على خبر الآحاد عند التعارض و عدم إمكان الجمع بينهما، كالجمع فى السفر حيث قال أنه جمع صورى و هكذا كان يفعل عبد اللّه بن عمر. أبو حنيفة لا يجيز للمسافر أن يجمع بين الصلوات و لكن القصر عنده واجب. و يقدّم السنّة و لو حديثا مرسلا أو ضعيفا على القياس، لذلك قال بنقض الوضوء من الدم السائل معتمدا على حديث مرسل، و كذلك نقض وضوء و بطلان الصلاة بالقهقهة أيضا بحديث مرسل. و من منهجه أيضا الاستحسان: و الاستحسان لغة هو وجود الشيء حسنا و معناه الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۳۸ طلب الأحسن للإتباع الذى هو مأمور به

كما قال تعالى: ... فَبَشِّرْ عِبادِ (۱۷) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، [الزمر: ۱۷- ۱۸]. و هو عند الفقهاء نوعان: ۱- العمل بالاجتهاد و غالب الرأى فى تقدير ما جعله الشرع مدلولا إلى آرائنا نحو قوله تعالى: مَتاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (۲۳۶)، [البقرة: ۲۳۶]، أوجب ذلك بحسب اليسار و العسرة و شرط أن يكون بالمعروف، فعرفنا أنّ المراد ما يعرف استحسانه بغالب الرأى و لا خلاف فى هذا النوع. ۲- هو الدليل الذى يكون معارضا للقياس الظاهر الذى تسبق إليه الأوهام قبل إمعان التأمّل فيه، و بعد إمعان التأمل فى حكم الحادثة و أشباهها من الأصول يظهر أنّ الذى عارضه فوقه فى القوة، فإنّ العمل به هو الواجب، فسمّوه بذلك استحسانا للتمييز بين هذا النوع من الدليل و بين الظاهر الذى تسبق إليه الأوهام. مثاله: لو قال لامرأته: إذا حضت فأنت طالق، فقالت: قد حضت، فكذّبها الزوج، فإنها لا تصدّق فى القياس باعتبار الظاهر و هو أنّ الحيض شرط للطلاق كدخولها الدار و كلامها زيدا. و فى الاستحسان تطلّق لأن الحيض شىء فى باطنها لا يقف عليه غيرها، فلا بد من قبول قولها فيه. العرف و العادة: هو ما استقر فى النفوس من جهة العقول و تلقته الطباع السليمة بالقبول. و إنما يكون العرف دليلا حيث لا دليل شرعى من كتاب و سنة. قال ابن مسعود: ما رآه المسلمون حسنا فهو عند اللّه حسن ... و ألّف ابن عابدين رسالة "العرف "تضمنت مسألة تضمين الخياط و الكواء (و مثالهما إذا أحرقا القماش أو أضاعاه). و أبو حنيفة هو أساس من جمع بين مذهبى أهل الحجاز أهل الحديث و أهل العراق أهل الرأى. كان أبو حنيفة من علماء الرأى و لكنه ذهب إلى الحجاز و أقام فى مكة ست سنوات يأخذ العلم من علماء الحجاز أمثال عبد اللّه بن عمر ... يذكر أن أبا حنيفة دخل يوما على المنصور فقال له أحد الجالسين: هذا عالم الدنيا اليوم ... فقال له المنصور: يا نعمان من أين أخذت علمك؟ قال: من أصحاب عبد اللّه بن عمر عن عبد اللّه بن عمر (أهل الحديث) و من أصحاب عبد اللّه بن عباس عن عبد اللّه بن عباس و من أصحاب عبد اللّه بن مسعود عن عبد اللّه بن مسعود (أهل الرأى) ... إذا لأول مرة خرق أبو حنيفة الحدود الفاصلة بين المذهبين. عند ما ذهب إلى أهل الحجاز تعلم منهم الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۳۹ الحديث و تعلموا منه كيفية استخراج الأحكام فاستفاد و أفاد. و انعكس هذا الأمر على تلامذته مثل أبو يوسف و محمد بن الحسن الشيبانى و غيرهم ... و كان لإخلاصه فى طلب العلم يرجع عن رأيه إذا اطلع على حديث أو فتوى صحابى.

تأديبه لتلميذه أبى يوسف:

تأديبه لتلميذه أبى يوسف: لمّا مرض أبو يوسف قال أبو حنيفة: لئن مات هذا الغلام لم يخلفه أحد على وجه الأرض. فلمّا عوفى أعجب بنفسه و عقد له مجلسا فى الفقه فانصرفت وجوه الناس إليه، فلمّا بلغ ذلك أبا حنيفة قال لبعض من عنده: اذهب إلى مجلس يعقوب (يعنى أبو يوسف) و قل له: ما تقول فى قصّار دفع إليه رجل ثوبا ليقصّره بدرهمين ثم طلب ثوبه فأنكره القصّار ثم عاد له و طلبه فدفعه له مقصورا، له أجرة؟ فإن قال نعم قل له أخطأت و إن قال لا قل أخطأت. فسار إليه الرجل فسأله فقال نعم له أجرة فقال له أخطأت، فنظر ساعة فقال لا، فقال أخطأت، فقام من ساعته لأبى حنيفة فلما رآه قال: ما جاء بك إلا مسألة القصّار. قال: أجل. قال: سبحان اللّه من قعد يفتى الناس و عقد لنفسه مجلسا يتكلم فى دين اللّه تعالى و هذا قدره لا يحسن أن يجيب فى مسألة من الإجارات، فقال: علّمنى، قال: إن كان قصّره بعد ما غصبه فلا أجرة له لأنه قصّره لنفسه، فإن قصّره قبل غصبه فله الأجرة لأنه قصّره لصاحبه، فعاد أبو يوسف و لم يترك بعدها مجلس أبى حنيفة قط.

موقفه من آل بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم:

موقفه من آل بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: موقفه من آل بيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى عصره كموقف الأئمة الأربعة و موقفنا

جميعا و هو حب آل البيت و الانتصار لهم كما قال الإمام الشافعى عند ما اتّهم بالتشيع: إن كان رفضنا حب آل محمد فليشهد الثقلان أنى رافض. و من المعلوم أنّ أبا حنيفة كان متشيّعا إن صح التعبير لآل البيت (أى كان يحبهم و يقف معهم إذا تعارضوا مع الخليفة فى عصره)، لكنه كان دائما يعلن أنّ أبا بكر أفضل من عمر و عمر أفضل من عثمان و يرى أنّ كلا من عثمان و على بمستوى واحد. و معنى ذلك أنّ حبه لآل البيت كان حبا شعوريا تفرّع عن حبه للمصطفى صلّى اللّه عليه و سلّم و لم يكن حبا مذهبيا ينحاز عن أهل السنّة و الجماعة. و ذكر أبو حنيفة أنه التقى بالإمام محمد الباقر و هو من أئمة الإمامية و هو والد جعفر الصادق، فسأله أبو حنيفة: ما تقول أصلحك اللّه فى أبى بكر و عمر؟ فأثنى محمد الباقر عليهما خيرا و قال يرحمهما اللّه تعالى و أخذ يفيض بالحديث عن آثارهما فقال له بعضا من أهل العراق يقولون إنك تتبرأ منهما، قال معاذ اللّه، كذبوا و رب الكعبة! أتعلم من هو عمر لا أبا لك؟ إنه ذاك الذى زوجه علىّ من الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۴۰ ابنته أم كلثوم، و هل تدرى من هى أم كلثوم لا أبا لك؟ إنّ جدها رسول اللّه و إن جدتها السيدة خديجة سيدة نساء الجنة و إنّ أمها فاطمة الزهراء و إنّ أباها علىّ فلو لم يكن عمر أهلا لها لما أعطاه علىّ ابنته!. و قد اشتهرت كلمة لأبى حنيفة جاء فيها ":ما قاتل علىّ أحدا إلا و علىّ أولى بالحق منه أى فى عصره بعد أبى بكر و عمر. "لم يكن حبه لآل البيت يدفعه إلى الانتقاص من صحابة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بل على العكس، لأن أصحاب النبى صلّى اللّه عليه و سلّم كلهم يحبون و يوقرون آل بيته صلّى اللّه عليه و سلّم و آل البيت كلهم يحبون و يجلّون و يوقرون كل صحابة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم. هذا الخط يجسّد الصراط العريض الذى أشار إليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى أحاديث بلغت فى مجموعها مبلغ التواتر المعنوى مثاله ":عليكم بالجماعة "،"عليكم بالسواد الأعظم و من شذّ شذّ فى النار "،"إنّ الشيطان مع الواحد و هو من الاثنين أبعد"،" سألت ربى أن لا تجتمع أمتى على ضلالة "،"من أراد أن يلزم بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ... "و كان أبو حنيفة على علاقة طيبة مع المنصور و لكن لما قتل أبو جعفر المنصور محمد بن عبد اللّه بن حسن الملقّب بالنفس الزكية من الطالبيين بدأ أبو حنيفة يغير موقفه من الخليفة و أخذ ينتقد مواقفه و أخطاءه عند ما تطرح عليه الأسئلة و كان ذلك يغيظ الخليفة كثيرا. انتفض أهل الموصل على المنصور و كان المنصور قد اشترط عليهم أنهم إن انتفضوا حلّت دماؤهم، فجمع المنصور العلماء و الفقهاء و القضاة و كان بينهم أبا حنيفة و قال لهم: أ ليس صح أنّ رسول اللّه قال المؤمنون عند شروطهم يلتزمون بها و أهل الموصل قد اشترطوا ألا يخرجوا علىّ و ها هم قد خرجوا و انتفضوا و لقد حلّت دماؤهم فما ذا ترون؟ قال أحد الحاضرين: يا أمير المؤمنين، يدك مبسوطة عليهم و قولك مقبول فيهم فإن عفوت فأنت أهل العفو و إن عاقبت فبما يستحقون. التفت المنصور إلى أبى حنيفة يسأله و يستنطقه ليوقع به فقال أبو حنيفة: إنهم شرطوا لك ما لا يملكونه و شرطت عليهم ما ليس لك لأنّ دم المسلم لا يحلّ إلا بإحدى ثلاث فإن أخذتهم أخذت بما لا يحلّ و شرط اللّه أحق أن يوفى به. عندئذ أمر المنصور الجميع أن ينصرفوا ما عدا أبى حنيفة و قال له: إنّ الحق ما قلت، انصرف إلى بلادك ... و يروى أنه كان لأبى حنيفة جار رافضى كان عنده بغلان سمى واحدا أبا بكر و الآخر عمر، و فى أحد الأيام رفسته بغلة فوقع ميتا، فقال أبو حنيفة: انظروا البغلة التى رفسته هى التى سماها عمر، و هكذا كان!. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۴۱ أما سبب انتشار مذهب أبى حنيفة و اتّباع الناس له بخلاف مذهب معاصريه أمثال الأوزاعى و عطاء بن أبى رباح و إبراهيم النخعى و هم شيوخ أبى حنيفة و ذلك لعدة عوامل نذكر منها ما يلى: ۱- أخذ أبو حنيفة عن أربعة آلاف شيخ من التابعين و أفتى فى زمن التابعين. ۲- قيّض اللّه تعالى لأبى حنيفة تلاميذ كانوا فى الوقت نفسه فطاحل من العلماء و قد دوّنوا آراءه و فتاويه و اجتهاداته بخلاف باقى الأئمة فى عصره. فأبو يوسف دوّن فقه أبى حنيفة فى الكتب و كذا فعل محمد بن الحسن الذى دوّن كل فقهه و الاجتهادات الأخرى حتى التى تراجع عنها، و هناك كتب تسمّى كتب "ظاهر الرواية "كلها للإمام محمد. و قام كلّ من أبى يوسف و محمد بجمع الأحاديث التى يرويها الإمام فى فتاويه كمستندات لفقهه مثل كتاب الآثار و كتب أخرى و أحاديث كثيرة موزّعة فى هذه المدونات. و لقد كانت طريقة أبى حنيفة بالتعليم مبنية على السؤال و الإقناع برأى ثم قوله و لكنى أرى غير هذا و يعلم أصحابه الفتوى و طريقة التفكير. و أبو حنيفة هو أول من من رتب مسائل الفقه حسب أبوابها من طهارة و صلاة ... دوّنها الإمام أبو يوسف- فى غالب الأحيان- فى سجلات

حتی بلغت مسائله المدونة خمسمائة ألف مسالة. انتقل تلامذته الفحول البالغون ۷۳۰ شیخا إلی بلادهم خاصة بلاد الأفغان و بخاری و الهند ... فشرّق فقه الإمام أبی حنیفة و غرّب و شمأل و جنّب حتی لیعد علی بن سلطان القاری المتوفی سنة ۱۰۱۴ هجری ثلثی المسلمین فی العالم علی مذهب الإمام أبی حنیفة. ۳- إنّ اللّه تعالی شاء أن یکون أبو یوسف قاضیا و أن یتولی القضاء لثلاث من الخلفاء المهدی و الهادی و هارون الرشید و سمّی بعد ذلک قاضی القضاة و کان و هو حنفی یقضی بمذهب أبی حنیفة و کذلک کان أغلب القضاة الذین کان ینصّبهم و المدونات التی کانت تدوّن فی دار الخلافة کانت تدوّن علی مذهب أبی حنیفة، کل هذا و غیره جعل فقه الإمام أبی حنیفة ینتشر أکثر من فقه من سبقه أمثال الأوزاعی و جعفر الصادق و غیرهم ....

أهم مؤلفاته:

أهم مؤلفاته: تمیّز عصر أبی حنیفة بوجود الفرق المبتدعة المختلفة مثل: الشیعة و المعتزلة و المرجئة و القدریة و الجهمیة أو المعطلة ... هذه الفرق کلها کانت أشبه ما تکون بالحاشیة علی الجسم الکبیر کحاشیة فی أطراف جسم المجتمع الإسلامی، فکانت هذه الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۴۲ الفرق مع قلة أتباعها یبثّون الشّبه و تسمّت کل فرقة باسم، فقام علماء المسلمین یردون علی هؤلاء المبتدعة. و کان لا بد من أن یسمّوا أنفسهم باسم حتی یتبین قول هؤلاء المبتدعة من قول عامة المسلمین، فسمّوا عامة المسلمین أهل السنّة و الجماعة و هی ما کان علیه صلّی اللّه علیه و سلّم و الصحابة و التابعین و هم السواد الأعظم من الأمّة. و بظهور الأئمة الأربعة، اشرأبّت أعناق الناس إلیهم یأخذون من فقههم و ینهلون من علومهم و کانت لهم عبقریة نادرة فی الاستنباط مما دعا الناس إلی الإقبال علیهم و الأخذ منهم، فجمع هؤلاء الأئمة الناس علی منهج أهل السنّة و الجماعة فیما یتعلق بالعقیدة و حذّروا الناس من البدع و دافعوا عن الإسلام دفاعا قویا. و ألّف أبو حنیفة کتاب "الفقه الأکبر "بیّن فیه عقیدة المسلمین ورد فیه علی المبتدعة ... و نقل أنّ له مسندا و لکن المحقق أنّ هذا المسند من جمع أبی یوسف عن أبی حنیفة سماه ":الآثار .."

أقوال معاصریه فیه:

أقوال معاصریه فیه: - الفضیل بن عیاض قال فیه: کان أبو حنیفة رجلا فقیها معروفا بالفقه، واسع المال معروفا بالإفضال علی کل من یطوف به، صبورا علی تعلّم العلم باللیل و النهار، حسن اللیل، یقوم اللیل (و هذا شیء معروف عنه)، کثیر الصمت، قلیل الکلام حتی یرد مسألة فی حلال أو حرام. - عبد اللّه بن المبارک العالم الکبیر و التابعی الجلیل یقول: کان أبو حنیفة مخ علم أو مخ العلم أی کنت تأخذ منه لباب العلم. - مالک بن أنس قال عنه: لو جاء إلی أساطینکم فقایسکم علی أنها خشب لظننتم إنها خشب. - الإمام زفر قال: جالست أبا حنیفة أکثر من عشرین سنة فلم أر أحدا أنصح للناس منه و لا أشفق علیهم منه، کان بذل نفسه للّه تعالی، أمّا عامة النهار فهو مشتغل فی العلم و فی المسائل و تعلیمها و فیما یسأل من النوازل و جواباتها و إذا قام من المجلس عاد مریضا (أی زار) أو شیّع جنازة أو واسی فقیرا أو وصل أخا أو سعی فی حاجة، فإذا کان اللیل خلی للعبادة و الصلاة و قراءة القرآن، فکان هذا سبیله حتی توفی رضی اللّه تعالی عنه. - أجمع علماء عصره علی أنه لم یجتمع لأحد غیره فی ذلک العصر ذکاء و قوة بادرة و علم و قوة استنتاج. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۴۳ - کان أبو حنیفة فی زیارة شیخه الأعمش یوما (و الأعمش من کبار المحدثین)، فجاء إلی الأعمش رجل یسأله عن مسألة فی العلم فقال لأبی حنیفة: أجبه. فأجابه، فقال له: و من أین لک هذا؟ قال: من حدیث حدثتنیه هو کذا و کذا. فقال الأعمش: حسبک ما حدّثتک به فی سنة تحدّث به فی ساعة، أنتم الأطباء و نحن الصیادلة. سؤال: لما ذا نتبع أبا حنیفة و لا نتبع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم؟ الجواب: بعد أن أوضحنا الأدوار الثلاثة و بدأنا الکلام عن الدور الرابع لم یبق لهذا السؤال أی معنی

فأبو حنيفة لم يخترع شيئا بل اتّباعنا له هو عين اتّباع لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لأن الذى فعله أبو حنيفة هو أن شرح لنا آيات كتاب اللّه عز و جل و أحاديث النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و استخرج منها الأحكام و بوّبها على أبواب الفقه. فمن المعلوم أن للقرآن الكريم تفاسير عديدة، كل تفسير عنى بناحية من النواحى، فتفسير يعنى بالعقيدة كتفسير الرازى و تفسير يعنى بالمأثور كتفسير ابن كثير و تفسير يعنى باللغة كتفسير الآلوسى و ابن عاشور و غيرهم، كذلك هؤلاء الأئمة الأربعة، كل ما فعلوه أنهم عمدوا إلى الكتاب و السّنة و أقوال الصحابة فجمعوها و استنبطوا منها الأحكام و بوّبوها بأبوابها: باب الطهارة باب الصلاة ... إلخ و دوّنوها لنا، فإذا أخذنا عنهم نكون حقيقة قد أخذنا عن اللّه عز و جل و عن رسوله صلّى اللّه عليه و سلّم، ذلك لأن عامة الناس لا يفقهون آيات كتاب اللّه تعالى و لا أحاديث النبى عليه الصلاة و السلام و لا يعلمون الناسخ و المنسوخ و العام و الخاص و ما إلى ذلك ... سؤال: إنّ أبا حنيفة بشر غير معصوم يصيب و يخطئ فكيف نتبعه؟ الجواب: كونه بشر لا- ينقص من مكانته و لا يمنع من جوازه، لا بل ضرورة اتباعه أو أحد الأئمة الأربعة لكل من لم يبلغ درجة الاجتهاد ثم من الذى يستطيع أصلا أن يكشف خطأ الإمام فى الاجتهاد خاصة إذا كان من العوام؟ و إن كان مجتهدا وصل إلى درجة الاجتهاد المطلق فهذا المجتهد نفسه غير معصوم أيضا، فمن نتبع إذا!!!؟ إنّ اللّه تعالى أمرنا باتباع العلماء و المجتهدين المخلصين فى قوله تعالى: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (۴۳)، أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ، و أهل الذكر هم أمثال أبى حنيفة و مالك ... و من المعلوم أنه ليس من الضرورة أن يكون قول الإمام هو القول المفتى به فى المذهب، فالإمام لم يكن لوحده يمثّل مذهبه، هناك فقهاء كثيرون محققون ينتسبون للمذهب نفسه يصوّبون الإمام إن أخطأ. و الذى يريد أن يحقق فى مسألة مس المرأة الأجنبية عند الحنفية و الشافعية ليرجّح قول أحدهما، إن كان هذا الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۴۴ الإنسان وصل بدرجة اجتهاده إلى مرتبة هؤلاء الأئمة فلا بأس و على كل الأحوال هو بعد بحثه سيخرج بقول ما، و قوله أيضا سيكون اجتهاديا و هو غير معصوم فما ذا فعل إذا؟ و إذا أراد أحد العلماء فى درس عام مثلا أن يرجّح قولا على قول فإنما يكون الهدف من ورائه أن يقول الناس إنّ فلانا عالما جليلا بلغ من العلم درجة يستطيع أن يحكم فيها على الأئمة و لن يفيد الناس شيئا إلا حملهم من تقليد أبى حنيفة أو الشافعى و غيرهما من الذين اتفقت الأمّة على وجوب تقليد واحد منهم، إلى تقليده هو فى هذه القضية، فبما ذا يكون قد نفع المسلمين؟!!!. يقول المثل: من جهل شيئا عاداه. و بالفعل فالرجل الذى يسمع بإنسان عالم و يسمع آراءه و اجتهاداته لكن ما جالسه و ما سمع منه حججه، لن يستطيع أن يحكم عليه. عند ما لمع اسم أبى حنيفة و انتشر صيته فى العراق و قبل أن يراه علماء الحجاز أو علماء الشام ربما كان هنالك كثير من علماء الحجاز من يضيق ذرعا باجتهاداته و ربما نعتوه بأنه مبتدع و لكن بعد أن رأوه و جاء هو إلى الحجاز و جالسوه و سمعوا منه و سمعوا حججه اختلف الأمر تماما! مثال ذلك: يقول عبد اللّه بن المبارك إنّ الإمام الأوزاعى سأله من هو هذا المبتدع الذى ظهر فى العراق (و يقصد أبا حنيفة)، فقال ابن المبارك: لم أجب، ثم أخذت أعرض له مسائل عويصة فى الفقه و أحدثه عن فتاوى يمكن أن تكون جوابا، فقال لى: و اللّه إنّ هذه الأجوبة لأجوبة سديدة، من هو صاحبها؟ قلت له: فقيه فى العراق. قال: من هو؟ قلت: هو أبو حنيفة. قال: إنّ هذا الإنسان نبيل و ذو علم غزير فالزمه. ثم إنّ الأوزاعى التقى بعد ذلك بأبى حنيفة و تناقشا فى كثير من المسائل العلمية فتحولت نظرة الأوزاعى و أخذ يوصى الناس بمجالس أبى حنيفة و الاستكثار من علمه و فضله. كثيرون اليوم هم الذين ينتقصون من مكانة أبى حنيفة و ينتقدون فتاويه و اجتهاداته و هذا سهل لأنهم يزنون تلك الاجتهادات بميزانهم هم، فتبين من خلال ميزانهم هذا أنّ أبا حنيفة جاهل مع العلم أنهم لن يكونوا أعلم من الأوزاعى أو عبد اللّه بن المبارك. و مما يذكر أيضا أنّ الشافعى عند ما رحل إلى بغداد، التقى بمحمد بن الحسن ليتتلمذ على يده و لو وسعه أن يتتلمذ على أبى حنيفة لفعل و لكنه لم يستطع بسبب وفاة أبى حنيفة فى العام الذى ولد فيه الشافعى و كان يقول: أخذت من محمد وقر بعير من علم. و كثيرة هى المسائل التى أخذ فيها الشافعى برأى محمد و كثيرة هى المسائل التى اخذ فيها محمد برأى الشافعى و تراجع عن رأيه. فهناك مثلا من يتهم أبا حنيفة بأنه لم يكن يحفظ إلا الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۴۵ بضعة عشر حديثا و لم تكن له بضاعة فى رواية الأحاديث ... إذا رجعت إلى ترجمة الإمام لوجدت الإجماع على أنّ هذا كذب، فقد صح عنه أنه: - تفرّد برواية و تخريج أكثر

من مائتى حديث فضلا عن الأحاديث التى اشترك مع المحدثين الآخرين فى روايتها. - لو أردت أن تجمع الأحاديث من مصنفات محمد بن الحسن و أبى يوسف و غيرهما من مرويّات أبى حنيفة فلسوف تجد الشيء الكثير. - لو وقفت على مناقشة بسيطة فى مسألة من مسائل الفقه بينه و بين أحد الأئمة لرأيته يروى عددا كبيرا من الأحاديث. مروياته فى باب الصلاة تزيد عن مائة حديث.

ورعه و تقواه و عبادته للّه تعالى:

ورعه و تقواه و عبادته للّه تعالى: قال ابن المبارك: قلت لسفيان الثورى: ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة، ما سمعته يغتاب عدوا له. قال: و اللّه هو أعقل من أن يسلّط على حسناته ما يذهب بها ... كان أبو حنيفة يختم القرآن فى كل يوم ثم حين اشتغل بالأصول و الاستنباط و اجتمع حوله الأصحاب أخذ يختمه فى ثلاث فى الوتر ... صلى أبو حنيفة ثلاثين سنة صلاة الفجر بوضوء العتمة و حج خمسا و خمسين حجة. قال مسعر بن كدام: رأيت الإمام يصلى الغداة ثم يجلس للعلم إلى أن يصلى الظهر ثم يجلس إلى العصر ثم إلى قريب المغرب ثم إلى العشاء، فقلت فى نفسى متى يتفرغ للعبادة؟ فلما هدأ الناس خرج إلى المسجد و كان بيته بجوار المسجد الذى يؤم فيه حسبة للّه تعالى. فانتصب للصلاة إلى الفجر ثم دخل فلبس ثيابه. و كانت له ثياب خاصة يلبسها لقيام الليل و خرج إلى صلاة الصبح ففعل كما فعل، ثم تعاهدته على هذه الحالة فما رأيته مفطرا و لا بالليل نائما. و كان يغفو قبل الظهر إغفاءة خفيفة، و قرأ ليلة حتى وصل إلى قوله تعالى: فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنا وَ وَقانا عَذابَ السَّمُومِ (۲۷)، [الطور: ۲۷] فما زال يرددها حتى أذّن الفجر. و ردد قوله تعالى: بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السَّاعَةُ أَدْهى وَ أَمَرُّ (۴۶)، [القمر: ۴۶]، ليلة كاملة فى الصلاة. و قالت أم ولده: ما توسّد فراشا بليل منذ عرفته و إنما كان نومه بين الظهر و العصر فى الصيف و أول الليل بمسجده فى الشتاء. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۴۶

عرض القضاء عليه و وفاته:

عرض القضاء عليه و وفاته: عرض عليه الخليفة القضاء مرارا و ضرب عليه و قال إنى لا أصلح، قال الخليفة بل أنت تكذب أنت تصلح، فقال: أ رأيت، أنت تقول عنى كذاب، فإنى لا أصلح للقضاء. و كان أبو حنيفة ينقد قضاء القضاة بشدة و يبين أخطاءهم، فاتخذ المنصور هذا الموقف ذريعة للتخلص منه فعرض عليه من جديد تولى منصب القضاء فأبى و رفض فحبسه و جرى بينهما حوار قال فيه: اتق اللّه و لا ترع أمانتك إلا من يخاف اللّه و اللّه ما أنا بمأمون الرضى فكيف أكون مأمون الغضب، لكك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لكك فلا أصلح لذلك. ثم حبسه و ضربه على مشهد من العامة ثم أخرج من السجن و منع من الفتوى و الجلوس إلى الناس حتى توفى. و قبل أبو حنيفة أن يعمل كأحد العمال فى بناء سور بغداد تفاديا للنقمة، و لمّا أحسّ بالموت سجد فخرجت نفسه و هو ساجد عام ۱۵۰ هجرى و كان يردد المنصور بعد وفاة الإمام: من يعذرنى من أبى حنيفة حيا و ميتا.

۲- ترجمة الإمام مالك بن أنس رضى اللّه عنه:

بشارة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم به:

بشارة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم به: عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ": يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم، فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة، "أخرجه الترمذى و هو حديث حسن صحيح. قال العلماء: و

عالم المدينة هو مالك بن أنس و هو الذى بشر به النبى صلّى اللّه عليه و سلّم.

ميلاده و نسبه و نشأته و طلبه للعلم:

ميلاده و نسبه و نشأته و طلبه للعلم: ولد مالك بن أنس عام ۹۳ هجرى و توفى عام ۱۷۹ للهجرة. ولد فى المدينة المنورة من أسرة أصلها من اليمن و كانت أسرته هذه أسرة علم، والده أنس كان عالما و اسم جده مالك أبو عامر الأصبحى و كان محدّثا و راويا سمع الحديث من أبى بكر و عمر و عثمان و كثير من الصحابة رضى اللّه عنهم. و لقد روى مالك الحديث عن أبيه وجده. و يروى أنه ذات ليلة و قد اجتمع أفراد أسرة مالك على عادتهم متحلقين حول الأب يسرد عليهم بعض وقائع أيامه و أحداثه، سأل الوالد أبناءه سؤالا فى الدين فأجابوه جميعا إجابات سليمة صحيحة عدا مالك الذى عجز و تلجلج و كان فى العاشرة من عمره قد حفظ القرآن الكريم و شيئا من حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلا أنّ عقله فى مثل سنه لم يكن ليسمح له بالفهم و العلم فعجز عن الجواب فعنّفه أبوه أنس و وبخه الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۴۷ و نهره لانشغاله باللعب عن طلب العلم. و انفجر مالك بالبكاء و هو يأوى إلى صدر أمه، فضمّته إليها و عانقته و لاطفته و خففت عنه ما به من حزن و ألم و فى اليوم التالى شدّت على رأسه عمامة جديدة و ضمّخته بأطيب العطر و أشارت عليه بإتيان مسجد الرسول الأعظم صلّى اللّه عليه و سلّم و الجلوس إلى حلقات العلم المنتشرة هناك و دعت له بالخير و بالتفقه و الفهم و الحفظ. و منذ ذلك اليوم لازمته عادة الاستحمام و التطيب كلما أتى مجلس العلم سواء كان متعلما أو معلما فيكون فى أحسن سمت و أكمل مظهر و أرقى صورة، و دخل مالك بوابة العلم الكبرى و لم يغادرها حتى توفاه اللّه تعالى. و كان يجد نفسه بحاجة إلى مزيد علم، فقد كان يهمه أحيانا أمر علمى أو مسألة فبعد أن تنفضّ الحلقات و يأوى الشيوخ إلى دورهم فلا يجد مالك صبرا إلى الغد كى يسأل و يفهم لذا راح يسعى إلى الشيوخ فى بيوتهم و مساكنهم و قد ينتظر أحدهم فى الطريق الساعات الطوال ما يجد فيها ظل شجرة تقيه حرارة الشمس حتى إذا ما رآه يدخل داره ينتظر لحظات ثم يقرع الباب و كان فى بعض الأحيان يحمل معه تمرا يهديه لجارية الفقيه لتمكّنه من الدخول على العالم. و تعلق بالعلم تعلقا جادا فلزم عبد الرحمن بن هرمز و هو عالم من أجلّ علماء المدينة سبع سنوات لم يختلف فيها إلى غيره و كان يأخذ عنه المسائل الاجتهادية و قضايا الفقه و كان ابن هرمز مشهورا بقوة عارضته و دلائل الحق و يقول الإمام مالك عن نفسه أنه اتخذ لنفسه ما يشبه الطرّاحة الصغيرة، كان يأخذها معه فيجلس على صخرة أمام دار ابن هرمز و لم يكن يطرق بابه خوفا من أن يزعجه منتظرا خروج الإمام يعنى ابن هرمز إلى الصلاة، فإذا خرج اتبعه و ذهب معه إلى المسجد. ثم بدأ يأخذ عن نافع مولى (أى خادم) عبد اللّه بن عمر و كان من أحفظ علماء الحديث، كان حافظا و كان فقيها، أخذ الفقه و الحديث عن ابن عمر ... ثم أخذ مالك أيضا عن الزهرى و كان يلازمه كما لازم ابن هرمز و كان يسير معه من بيته إلى المسجد. يقول الإمام مالك عن نفسه: كنت أخرج من وقت الظهيرة و ليس للأشياء ظل أتيمم درسا عند الزهرى ... و أخذ مالك الحديث عن الزهرى مع قلة من إخوانه و يقال إن الزهرى حدّثه فى يوم من الأيام نيفا و أربعين حديثا له و لبعض زملائه، فلما عادوا فى اليوم التالى قال الزهرى: استحضرتم كتابا لتسجلوا ما أملى عليكم خيفة أن تنسوها؟، فقال قائل منهم ينبؤك عنها هذا الشاب الأشقر (أى الإمام مالك)، فسأله الزهرى فتلا الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۴۸ عليه منها أربعين حديثا مع أسانيدها فقال الزهرى: و اللّه ما ظننت أنّ أحدا يأتيها غيرى (أى لا يحفظها). و كان الإمام مالك إذا جلس لتلقى الحديث يسجل الحديث و هو جالس و لما سئل هل أخذت من عمرو بن دينار قال لم آخذ و ذلك لأنى ذهبت إلى مجلسه فرأيته يحدّث و الناس حوله واقفين يكتبون عنه فلم أحب أن أكتب حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أنا قائم لأنه كان يرى فى هذا منقصة لحديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ... و تلقى الإمام مالك الفقه عن شيخه الكبير ربيعة الذى كان يلقّب "بربيعة الرأى "مع أنه كان من علماء أهل المدينة.

تفوقه العلمی و جلوسه للفتیا:

تفوقه العلمی و جلوسه للفتیا: تفوّقت مکانهٔ مالک العلمیهٔ علی کل أرباب الحلقات فی المسجد النبوی و عرف له الجمیع هذه المکانهٔ سواء کانوا من شیوخه السابقین أو من العلماء الذین عاصروه. جلس الإمام مالک للفتیا و کان عمره ۲۵ سنهٔ تقریبا علی أصحّ الروایات و یقول عن نفسه: لم أجلس للفتیا حتی أمرنی بالفتیا قرابهٔ سبعین عالما، و أصبح رأیه فی أیهٔ قضیهٔ تعرض أو فتواه فیها مقدّما علی غیره مما جعل أصحاب الفتیا یتوقفون حتی قیل من غیر حرج: (لا یفتی و مالک فی المدینهٔ!) ... و مما اشتهر به مالک أنه کان یقول لجاریته إذا جاء الناس إلی بابه لیسمعوا العلم أن تسألهم: هل جئتم لسماع الحدیث أم ابتغاء المسائل؟ فإن قالوا جئنا للمسائل خرج إلیهم و سمع منهم و أفتاهم و إن قالوا جئنا لنسمع الحدیث قالت الجاریهٔ تریثوا قلیلا فتدخلهم إلی الدار و یدخل مالک فیغتسل و یلبس أحسن ثیابه و تحدیدا البیاض من الثیاب و یتطیّب ثم یدخل علیهم لیروی حدیث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم. و کان یبکی إذا قال قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم. عاش مالک فی المدینهٔ المنورهٔ و لم یبارحها (بخلاف کثیر من العلماء) إلی أی جههٔ أخری لیأخذ العلم من العلماء إذ إن المدینهٔ هی دار هجرهٔ النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و کان العلماء هم الذین یرحلون إلیها من جمیع أنحاء العالم إما للحج أو الزیارهٔ أو مجالسهٔ علماء المدینهٔ. فکان أطیب الطّیب عند مالک ما یفوح و ینتشر من قبر المصطفی صلوات اللّه و سلامه علیه و أرقّ النسیم ما یهبّ حاملاـ ذکریات الماضی و ذکریات الوحی و النبوهٔ و الجهاد و البطولهٔ. و بالرغم من أنه لم یغادر المدینهٔ إلا أنه اطلع علی الظروف و البیئات المختلفهٔ بسبب الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۴۹ احتکاکه بالعلماء من جمیع أنحاء العالم الذین کانوا إذا قدموا المدینهٔ زاروه و إن لم یزوروه قدم هو إلیهم، یلقاهم و یتناقش معهم، لذلک اتسعت آفاقه الفکریهٔ و مدارکه الاجتهادیهٔ و أقام للمصلحهٔ التی هی محور الشریعهٔ الإسلامیهٔ میزانا دقیقا ... و اختار دار الصحابی الجلیل عبد اللّه بن مسعود سکنا له و کأنه یرید أن یشعر علی الدوام بنبضات عصر النبوهٔ تخفق مع خفقات قلبه و تتردد مع أنفاسه و یعیش یومه کله فی عبق کریم و هذا التواصل الوجدانی بین مالک و بین حبیبه المصطفی صلّی اللّه علیه و سلّم جعله فی عقله و حسه یتّخذ من حدیث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم أساسا و محورا لعلمه و فقهه. کان مالک فی صدر حیاته فقیرا و کان والده صانعا، و تفرّغ مالک للعلم فأورثه ذلک شیئا من الفقر و لم تکن یومها تنفق الدولهٔ علی طلبهٔ العلم (ثم لما کان ذلک ارتاح العلماء و ازدهر العلم کثیرا)، لکنه بعد ذلک استغنی إذ کان له أخ یعمل بالتجارهٔ فکان مالک إذا تجمع له مال یعطیه لأخیه لیتاجر له به ثم فتح اللّه علیه و استغنی فکان کثیر العطاء لطلبهٔ العلم. و کان یحب أن یظهر أثر نعمهٔ اللّه عز و جل علیه فی ملبسه و فی مطعمه و مسکنه و صار متجملا فی مظهره و کان الذین یغشون داره من الضیوف یجدون فی أطرافها المخدات للاتکاء و الجلوس و یجدون کل أسباب الراحهٔ و النظافهٔ و المظهر الأنیق فی داره و لم یکن هذا عن حب للمال بل کان ینفق معظم ماله فی طرق الخیر تماما کأبی حنیفهٔ و الشافعی رضی اللّه تعالی عنهم أجمعین. و یروی عنه فی الأثر المشهور أنه قال ":ما أحب لامرئ أنعم اللّه علیه أن یری أثر نعمته علیه و خاصهٔ أهل العلم. "و یروی الشافعی أنه فی إحدی زیاراته لبیت الإمام مالک رأی علی الباب هدایا من خیل و بغال أعجبته فقال لمالک بعد أن دخل علیه: ما أحسن هذه الأفراس و البغال. فرد علیه مالک یقول: هی لک فخذها جمیعا. قال الشافعی: أ لا تبقی لک منها دابهٔ ترکبها؟ فقال مالک: إنی لأستحی من اللّه تعالی أن أطأ تربهٔ فیها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم بحافر دابهٔ!. إلی هذا الحد من الحساسیهٔ المفرطهٔ فی الحب و التقدیس بلغ العشق فی قلب مالک للمدینهٔ التی تضم أطهر الأجساد و أعظم خلق اللّه و أکرم الناس علیه أفضل الصلاهٔ و أزکی السلام.

ورعه و تخوّفه من الفتوی:

ورعه و تخوّفه من الفتوى: اشتهر عن الإمام مالك كثرة ترداده لكلمة "لا أدرى "و ما كان عليه شيء أسهل من هذه الكلمة و لم يكن يشعر أن فى هذا منقصة له بل كان إذا الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۵۰ سئل عن مسألة قال للسائل أنظرنى حتى أفكر، و ربما يأتيه فى الغد فيجيبه و ربما يقول له أيضا أنظرنى. و يروى أنّ رجلا جاءه من أقصى المغرب فسأله عن موضوع و قال: جئتك من مسيرة ستة أشهر من المغرب و حمّلت هذا السؤال، فقال له مالك: قل لمن أرسلك إنه لا يدرى. قال فمن الذى يعلم؟ قال: الذى علّمه اللّه و لم يجبه و لكن قال له إن شئت عد غدا ريثما أفكر بها و أقرأ ما يمكن أن يتصل بها، حتى إذا جاء الغد جاءه الرجل فقال له مالك: فكرت بها مليا و لا أدرى ما الجواب! و لقد عوتب مالك فى ذلك فبكى و قال: إنى أخاف أن يكون لى فى المسائل يوم و أى يوم. و قال لهؤلاء المنتقدين: من أحبّ أن يجيب عن مسألة فليعرض على نفسه الجنة و النار و ليتصور موقفه من اللّه غدا. فلننظر جميعا إلى هذا الرجل الذى هان عليه أن يظهر جهله و هو العالم الذى يوثق بعلمه أين نحن اليوم من موقفه هذا حيث الواحد منا إذا ما سئل اعتصر دماغه و ذهنه و قد يصل به الأمر إلى أن يلفق جوابا خوفا من أن يقول عنه الناس إنه جاهل!!! و هذا الأمر و للأسف الشديد كثيرا ما يحدث مع علمائنا اليوم الذين يسارعون بالفتوى، الأمر الذى يوضح لنا الفرق بين هذا العصر و ذلك العصر و لعل هذه المقارنة توضح لنا أيضا الفرق بين قرب أولئك الأئمة من رحمة اللّه تعالى و بعدنا نحن عنها، أضف إلى ذلك كله سمو أهدافهم و مقاصدهم حيث كان همّهم الأكبر هو مرضاة اللّه سبحانه و تعالى نسأل اللّه عز و جل العفو و العافية و أن يرزقنا الإخلاص و أن نحيا محياهم و أن نحشر معهم إن شاء اللّه تعالى. و جاء فى ترتيب المدارك للقاضى عياض ":قال مصعب بن عبد اللّه: كان مالك إذا ذكر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم تغيّر لونه و انحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقيل له يوما فى ذلك، فقال: لو رأيتم لما أنكرتم علىّ ما ترون، كنت آتى محمد بن المنكدر و كان سيد القرّاء (أى سيد العلماء) لاـ نكاد نسأله عن حديث إلا بكى حتى نرحمه. و لقد كنت آتى جعفر بن محمد (أى جعفر الصادق) و كان كثير المزاح و التبسم، فإذا ذكر عنده النبى صلّى اللّه عليه و سلّم اخضرّ و اصفرّ و كنت كلما أجد فى قلبى قسوة آتى محمد بن المنكدر فأنظر إليه نظرة فأتّعظ بنفسى أياما.

الأجواء التى كانت سائدة فى عصره و علاقته بالخلفاء:

الأجواء التى كانت سائدة فى عصره و علاقته بالخلفاء: عاش مالك فى الخلافة الأموية و العباسية فى عصر تسوده الفتن و كان موقفه كموقف الحسن البصرى و سعيد بن الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۵۱ المسيب الذين كانا قبله و هو موقف استنكار الفتن و الدعوة إلى الابتعاد عنها و كان إذا سئل عن تلك الفتن نصح بالابتعاد عنها و بعدم الولوج فيها. و قد صح أن الحسن البصرى كان ينهى عن الدعاء على أمثال الحجاج و غيره و كان ينهى عن مد اللسان فى قول السوء فى حقهم على الرغم من أنه لو شققنا صدر الحسن البصرى لرأيناه يستنكر الكثير من أعمالهم. و قد سمع مرة الحسن البصرى رجلا يسب الحجاج فقال له: لا تفعل يرحمك اللّه إنكم من أنفسكم أوتيتم، إننا نخاف إن عزل الحجاج أو مات أن تليكم القردة و الخنازير. و روى البصرى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قوله المشهور ":عمّالكم عملكم و كما تكونوا يولّى عليكم، "عمالكم أى رؤساؤكم هم أعمالكم أى انعكاس لأعمالكم ... و كان الإمام مالك ممن يغشى مجالس الخلفاء و لم يكن يبتعد عنها و ذلك للنصح و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الوصية بالخير فما كان يوفر جهدا ليوصى الخليفة أو ينصحه عند ما تسنح الفرصة و قد عوتب فى ذلك فقال: لو لا أنى أتيتهم ما رأيت للنبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى هذه المدينة سنّة معمول بها، فكان إذا أتاهم نصحهم لكى يحيوا سنة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و خاصة فى المدينة المنورة و كانوا يستجيبون لنصيحته. لكنه كان إلى جانب ذلك يحترم نفسه فى مجالس الخليفة و الولاة و كان يفرض سلطانه عليهم. و كان إلى جانب كونه مهابا كان يحافظ على عزة نفسه فى هذه المجالس على خلاف عادته فى المساجد حيث كان إذا دخل المسجد يقف فى آخر الصف و لا يأبى أن يتقدم و إن أصرّوا على تقديمه و يجلس حيث ينتهى به المجلس و كان كثير التواضع و

لكن إذا غشى مجلس الخلفاء أو الولاة فرض عزته على المجلس كله. جاء المهدى مرة إلى المدينة و اجتمع إليه الناس و العلماء و ذهب مالك ليزوره فلما وصل وجد المجلس مزدحما و التفت الناس ينظرون أين سيجلس مالك يا ترى و ما سيكون موقفه. فقال الإمام مالك للمهدى: يا أمير المؤمنين أين يجلس شيخك مالك؟ فتضامّ المهدى و صغّر من جلسته و قال: هاهنا يا أبا عبد اللّه إلى جانبى، فوسع له و دخل مالك و تعالى و دينه أن يهان فى شخصه، الإمام مالك كان سمته سمة علم و إسلام و سمة المحافظة على الشرع لذا ينبغى لهذه السمة أن تكون هى المهيمنة و أن تكون هى العزيزة فى كل مكان، فاللّه تبارك و تعالى بالقدر الذى نهانا عن الكبر أمرنا أن نعتز بالإسلام و بالقدر الذى أمرنا بالتواضع نهانا فى الوقت نفسه عن الذل و جاء فى دعاء النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۵۲ (اللهم إنى أعوذ بك من الذل إلا إليك)، و أى إنسان صاحب ذوق دقيق يستطيع أن يفرّق بين التواضع و الذل المرفوض ... و لما زار الرشيد المدينة و أراد لقاء مالك و كان قد سمع عن علمه الكثير، طلب أن يأتيه حيث نزل فقال مالك لرسول الخليفة: قل له إنّ طالب العلم يسعى إليه و العلم لا يسعى إلى أحد! فجاءه الخليفة زائرا معتذرا ... و لقد روى الإمام مالك ذات مرة حديث "ليس على مستكره يمين "و شرحه لتلامذته فى المسجد و راح يبيّن للناس أنّ من طلّق امرأته مكرها لا يقع منه طلاق ... و لقد كان لهذا الحديث أثر كبير و حافز قوى لثورة أحد أحفاد الحسين بن على و هو النفس الزكية على السلطة العباسية و كان الخليفة وقتها المنصور. كان محمد يرى بأن أبا جعفر قد أخذ البيعة لنفسه غصبا و إكراها فليس له فى رقاب الناس يمين و لا عهد، و كان محمد يستند إلى فتوى مالك فى أنه ليس على مستكره يمين. أحسّ والى المدينة بخطورة الموقف فأرسل إلى مالك أن يكفّ عن الكلام فى هذا الحديث و أن يكتمه على الناس. أبى مالك أن يكتم الحديث أو أن يتراجع عن فتواه فضرب أسواطا على مرأى الناس و جذب جذبا غليظا من يديه و جرّ منها حتى انخلع أحد كتفيه و حمل إلى داره و هو بين الحياة و الموت و ألزموه الإقامة فى الدار إقامة جبرية فى عزلة و حبس. فزع الناس فى المدينة و التجئوا إلى اللّه تعالى يشكون الظلم و الظالمين و اشتد سخطهم على الوالى و على الخليفة و غضب العلماء و الفقهاء فى كل الأمصار و الأقطار. و رأى المنصور أنه لا بد من تصرّف يمتص غضب الناس يزيح التهمة عن نفسه فأمر والى المدينة بإطلاق مالك ثم جاء المنصور بنفسه إلى الحجاز فى موسم الحج و التقى بالإمام مالك و اعتذر إليه و قال: أنا ما أمرت بالذى كان و لا علمته و إنه لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين أظهرهم. و أمر بإحضار الوالى مهانا و بضربه و حبسه إلا أنّ مالكا عفا عنه.

علم الإمام مالك و أقوال بعض العلماء فيه:

علم الإمام مالك و أقوال بعض العلماء فيه: أجمع المؤرخون و المترجمون أن الإمام مالك بلغ الذروة فى معرفة السنّة و الحديث و الفقه و قلما نال عالم مثلما نال مالك من المدح و أقرّ له علماء الرأى فى العراق و علماء الحديث فى الحجاز بأنه إمام فى كل منهما (أى الحديث و الفقه). قال عنه سفيان بن عيينة و كان معاصرا له: كان لا يبلغ من الحديث إلا صحيحا و لا يحدّث إلا عن ثقة للناس و ما أدرى المدينة إلا ستخرب بعد موت مالك ... قال عنه الشافعى: إذا جاءك الأثر عن مالك فشدّ به (أى تمسّك به) و هو الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۵۳ صحيح. و يقول إذا ذكر العلماء فمالك هو النجم فيهم.

أهم مؤلفاته: الموطأ:

أهم مؤلفاته: الموطأ: طلب المنصور من مالك أن يضع كتابا يتضمّن أحاديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و أقضية الصحابة و فتاوى ليكون قانونا تطبّقه الدولة فى كل أقطارها و ديارها. تردد مالك ثم ألحّ عليه المنصور فقبل. و راح مالك يعمل عملا متقنا جدا

خلال سنين عدة راح خلالها طائفة من العلماء يعملون و يحاولون أن ينافسوا مالكا طمعا فى كسب رضا الخليفة. و كان أصحاب مالك يأتونه و يقولون له بأنّ تأخره فى الإنجاز قد أتاح للآخرين أن يسبقوه فقال مالك ":لا يرتفع إلا ما أريد به وجه اللّه تعالى، "و لقد كتب كثير من معاصريه كتبا كالموطإ و قدّمت إلى الخليفة، و كلما سئل مالك أن يستعجل كتابه فقد سبقه الناس كان يقول ":ما كان للّه يبقى، "حقيقة هكذا كان. و ظلّ الإمام مالك عاكفا على عمله الضخم سنوات توفى خلالها المنصور حتى كان تمام العمل فى زمن هارون الرشيد الذى تقبّله بقبول حسن و تقدير عظيم و أراد أن يعلّق الموطأ فى الكعبة و لكن مالكا أبى ذلك. و يعتبر اليوم كتاب الموطأ من أهم كتب السنّة و يكاد لا تخلو منه مكتبة إسلامية، أما تلك الكتب التى كتبها منافسوه فلم يبق لها أثر و كما يقول العلماء لو لا هذه الحادثة مع الإمام مالك لما علمنا أصلا أنه ألّفت هكذا كتب، فتأمل يرحمنا اللّه و إياك و لنتّعظ من هذا و لنتيقن إن كل عمل لا- يبتغى به وجه اللّه تعالى لا يبقى، كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، [القصص: ۸۸]، قيل فى تفسير هذه الآية، كل شىء هالك إلا ما أبتغى به وجه اللّه تعالى.

منهجه العلمى:

منهجه العلمى: الإمام مالك شأنه كشأن الإمام أبى حنيفة لم يدوّن منهجا و لكن هذه القواعد أخذت و جمّعت من خلال عباراته فى كتبه و فى مقدمة ذلك الموطأ فمن خلال كلامه نجد أنه يأخذ بالحديث المرسل و هو الحديث الذى رواه التابعى رأسا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إن كان هذا التابعى ثقة.

أصوله الاجتهادية:

أصوله الاجتهادية: أولا: إذا وجد فى القرآن نصا بعبارة صريحة قاطعة واضحة على مبدأ أو حكم ثم وجد حديثا مرويا عن طريق الآحاد يعارض هذا الخبر فإنّ مالك يأخذ بصريح القرآن و يدع الآحاد ... قال مالك و هو يفسر قوله تعالى: قُلْ لا أَجِدُ فِي ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۵۴ طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۴۵)، (الأنعام: ۱۴۵) .. هذا نص صريح و واضح بعدم تحريم غير ما ذكر. و فى المقابل روى فى خبر الآحاد الصحيح: عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يرويه أبو داود أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم نهى عن أكل كل ذى ناب من السباع و كل ذى مخلب من الطيور. فرجّح مالك النص على الآحاد فيجوز عنده أكل كل ذى ناب من السباع و ذى مخلب من الطيور و إن كان جمهور الفقهاء على الحرمة. ملاحظة: الإمام مالك كغيره من العلماء يأخذ بالحديث الآحاد إن كان صحيحا و هو عنده حجة و لكن إذا تعارض مع نص من كتاب اللّه تعالى أو مع حديث متواتر و لم يمكن الجمع بينهما، قدّم النص من كتاب اللّه عز و جل أو الحديث المتواتر و لم يجعل حديث الآحاد يخصص النص القرآنى أو الحديث المتواتر كما فعل غيره من الفقهاء كالشافعى مثلا. ثانيا: مالك يعيش فى المدينة و بصمات رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم واضحة فى هذه البلاد فعادات أهل المدينة و ما يتفق عليه علماء أهل المدينة فى عصره و العصر الذى قبله كلها من مخلفات النبوة لأن العهد ما بعد بينه و بين رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، بناء على ذلك إذا وجد حديث آحاد مرويا عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بالسند و وجد عمل أهل المدينة على خلاف ذلك الحديث يرجّح مالك عمل أهل المدينة على ذلك الحديث، لا لأنه يرفض الحديث و لكن لأنه يعتقد أن ما أجمع عليه علماء المدينة ما أخذوه من عند أنفسهم و إنما هى وراثة ورثوها عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم. يقول الإمام مالك فى رسالة للّيث بن سعد: إنّ أهل المدينة هم من الذين قال اللّه تعالى عنهم: وَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ

الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ، [التوبة: ۱۰۰]، و أوضح اللّه تعالى أنّ هؤلاء السابقون من المهاجرين و الأنصار الذين استقر بهم المقام فى المدينة المنورة ينبغى أن يتّبعوا و أن نهتدى بهديهم. "مثال ذلك، الحديث الصحيح الآتى ":المتبايعان بالخيار ما لم يتفرّقا. "الشافعى عنده التفرق هو تفرق الأبدان و عند الحنفية هو تفرق موضوع الكلام و لكن مالك يقول عمل أهل المدينة على خلاف هذا، فعلماء المدينة السبعة و عامة الناس يقولون إن العقد إذا تمّ بالإيجاب و القبول كان العقد لازما. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۵۵ مثال آخر، الحديث المشهور ":البيّنة على المدّعى و اليمين على من أنكر. "قال مالك نأخذ بهذا الحديث و لكن يخصّصه و يفسّره عمل أهل المدينة و هو أنّ هذا الحديث يطبّق بشرط أن ينظر القاضى فيجد أنّ بين المدّعى و المدّعى عليه علاقة ما إمّا جوار أو قرابة أو شركة ... فإن لم يجد القاضى مثل هذه الصلة فله أن لا يسمع الدعوى و ذلك لكى لا يتلاعب السفهاء بالوجهاء فيأخذوا منهم أموالهم خشية تشويه سمعتهم، مثال ذلك أن يدّعى سفيه على أحد الوجهاء دعوى باطلة، فلو أخذ بها القاضى لاضطر ذلك الوجيه إلى الذهاب إلى القاضى و عندها قد يدفع الوجيه شيئا من المال للسفيه الذى ادعى عليه تلك الدعوى الباطلة و ذلك لكى لا تشوّه سمعته بالامتثال بين يدى القاضى. ثالثا: إذا ثبت قانون شرعى و قاعدة شرعية عامة مثل ":وَ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى ، يقول الإمام مالك: إذا وجدنا بين هذه القاعدة الضخمة الكبيرة و بين جزئيات الأدلة تناقضا، نأخذ بالقاعدة و نترك هذه الجزئيات. مثال ذلك: الحديث الصحيح عن عائشة رضى اللّه عنها ":إنّ الميّت ليعذّب ببكاء أهله عليه. "قال مالك هذا يتناقض مع القاعدة التى مرّت معنا سابقا (و لا تزر وازرة وزر أخرى)، و بناء على ذلك فلا ذنب للميت إن بكى أهله عليه فلم يأخذ بالحديث. و لكن الشافعى مثلا و هو تلميذ مالك أخذ بالحديث و قال إنّ عذاب الميت فى قبره هنا هو عذاب نفسى و ليس عقابا من اللّه عز و جل و إنما هو عقاب خاص يأتى نتيجة لتصرفات أهله، فهو يتألم من فعل أولاده و يتمنى لهم الصلاح لأن اللّه تعالى يطلعه على أفعالهم التى قد لا تخلو من معاصى و أمور مختلفة تكون سببا لغضب اللّه تعالى عليهم. مثال آخر: الإمام مالك وحده يفتى بعدم نجاسة لعاب الكلب و كذا رشحه و لكن الحديث الصحيح يقول ":إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليرقه و ليغسله سبعا إحداهن بالتراب. "قال مالك من المتفق عليه أنه يجوز استعمال الكلب فى الصيد و الكلب إذا اصطاد لا بد أن يمسك الطريدة بفمه و يصيبه من لعابه لذلك أخذ بالقاعدة العامة التى تفيد جواز صيد الكلب، ثم قال عن هذا الحديث انه مضطرب و هذا دليل ضعف فقد ورد الحديث بعدة روايات (أولهن- أخراهن- إحداهن بالتراب). رابعا: الأخذ بالاستحسان و هو عبارة عن جزئية صغيرة اقتضتها مصلحة دينية ثابتة فى كتاب اللّه و إن عارضت هذه الجزئية مبدأ كليا و يؤخذ به استثناء. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۵۶ مثال ذلك قاعدة أن الأخ الميت إذا مات و ترك أخا شقيقا أى لأب و أم هذا يسمّى عصبة و يأخذ كل ما تبقى من المال مثلا إذا كان الميت ليس له إلا أخ يأخذ كل الأموال و إذا مات و ليس له إلا أخ أو أخ شقيق، الأم تأخذ السدس و الأخ أو الأخوة الأشقاء يأخذون الباقى. إن مات رجل و ترك زوجا و أمّا و إخوة لأم و أخا شقيقا، الزوج يأخذ النصف و الأم تأخذ السدس و الأخوة لأم يأخذون من الثلث لم يبقى للأخ الشقيق شىء إن طبّقنا هذه القاعدة. هنا الإمام مالك و غيره عادوا فوجدوا أنّ الأمر قد رفع إلى سيدنا عمر رضى اللّه عنه فحكم أنه ليس للأخوة الأشقاء شىء فقال الأخوة الأشقاء هب أننا إخوة لأم فقط أ لا يكون لنا؟ قال: نعم، ثم جعل الإخوة للأم و الأخ الشقيق يشتركون معا فى الباقى. القاعدة على خلاف ذلك و لكن هذه الجزئية هى لمصلحة الشريعة لأن الشريعة تقتضى هذا الاستثناء. فائدة: الحقيقة أنه ليس بين الأئمة خلاف فى الأصول الشرعية فإنهم متفقون على حوالى سبعين بالمائة منها و إنما هناك خلاف فى العناوين يتعلق بالفروع الجزئية و يشكّل حوالى ثلاثين بالمائة فقط و ذلك رحمة بالأمة و توسيعا عليها، فالحمد للّه أولا و آخرا الذى وفقهم أن يجتمعوا على ما اجتمعوا عليه فإن اجتماعهم هذا خير للأمّة و الحمد للّه الذى ألهمهم أن يختلفوا فيما اختلفوا فيه فإن اختلافهم أيضا رحمة للأمة. خامسا: مبدأ سد الذرائع: و هذا المبدأ مأخوذ من قوله تعالى: وَ لا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ (۱۰۸)، (الأنعام: ۱۰۸ ") ..وَ لا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ، "الأئمة كلهم يأخذون بهذا المبدأ و لكنهم يختلفون بالمقدار الذى ينبغى أن يأخذوا به، مثال ذلك سب

المؤمن لدين كافر أو لمن يتخذه إلها بزعمه أصله مباح و لكن إذا كان هذا العمل المباح ينتج عنه عمل محرّم فيسب الكافر اللّه تعالى عندها يصبح هذا العمل المباح فى أصله محرما لا لذاته و لكن لما قد ينتج عنه و هذا ما يسمّى بمبدإ سد الذرائع. و مثال ذلك أيضا، إطالة السهر مباح أيضا و لكن إن كان هذا سيمنعك عن أن تستيقظ لصلاة الصبح تحوّل المباح إلى محرّم و هذا باتفاق الأئمة. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۵۷ مثال آخر، بيع السلاح فى أصله مباح و لكن إذا علمت أنّ هذا يأخذ منك سلاحا ليؤذى به الآخرين أو كان وقت الفتنة فلا يجوز. سادسا: المصالح المرسلة: رائدها فى الشريعة الإمام مالك. جاءت الشريعة لتحقيق خمسة أنواع من المصالح و هى على هذا الترتيب: الدين، الحياة، العقل، النسل أو العرض و المال. كل الأئمة الأربعة أخذوا بها. المصالح المرسلة هى أن يرى العالم الفقيه أمامه مصلحة حديثة العهد طارئة، لم تكن موجودة من قبل تقتضى حكما شرعيا و لكن هذا الفقيه لا يجد عليه (أى على الحكم الشرعى) دليلا- من القرآن أو السنّة و لا- يجد دليلا على حكم يشبهه للقياس لا سلبا و لا إيجابا، فما العمل؟ يقول مالك: أنا أعود بهذه المسألة فى الحكم إلى جنس هذه المصلحة التى يحققها الحكم، ننظر هل هى واحدة من هذه المصالح الخمس التى جاءت الشريعة بحمايتها و رعايتها؟ فإن كانت واحدة من هذه المصالح و كان الأخذ بها لا يفوّت مصلحة أهمّ منها يقول مالك أنا أجتهد على وفق هذه المصلحة. و هذا باب عظيم فى الاجتهاد و سنورد فى ما يلى بعض الأمثلة و النماذج لتوضيح الصورة: ۱- منع عمر بن عبد العزيز الناس أن يشتروا أراض فى منى و أن يبنوا عليها بيوتا لهم لأن ذلك سيضيق على الحجّاج مع أنه لا يوجد نص فى ذلك و لكن من باب المصالح المرسلة أصدر عمر بن عبد العزيز أمره هذا (و هو ما يسميه الحنفية مقاصد الشريعة). ۲- قال الإمام مالك لو أنّ صبيانا يلعبون و يتشاجرون و يمزّق أحدهم ثوب الآخر أو يتلف متاعا (يكسر زجاج منزل أو سيارة مثلا) فالوالد (أى أبو الولد الذى سبب الضرر) يضمن (أى يدفع تعويضا عن الضرر الحاصل) و إن لم يكن الولد بالغا. و لكن هنا الشهود كلهم أولاد و القاعدة أنّ الشهادة لا تصحّ إلا من بالغ كبير. ما ذا نفعل إذا تركنا القضية هكذا؟ طبعا ستقع مفاسد كثيرة. المصلحة المرسلة هنا التى تتوخاها الشريعة هى أن نقبل شهادة الصبيان بعضهم على بعض فى أمور إجرائية من هذا القبيل. ۳- تدوين قواعد اللغة العربية و المجامع الفقهية و المؤتمرات كلها أشياء حسنة تخدم مصلحة الدين ... سابعا: العرف: إنّ العرف فى الشرع له اعتبار فيما لم يرد فيه نص أو كان الأمر غامضا، و الأئمة كلهم متفقون على ذلك. يقسم مالك العرف إلى قسمين: عرف قولى عرف فعلى أو سلوكى (فقط فى العقود). الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۵۸ مثال على العرف القولى: كلمة اللحم، فلو أنّ رجلا- أقسم أن لا- يأكل لحما، ننظر ما ذا تعنى كلمة اللحم فى عرفهم أحيانا تطلق و يقصد بها لحم الضأن (الخروف) و فى بعض الأعراف تطلق و يقصد بها لحم البقر و فى بعض الأعراف يقصد بها لحم السمك. فإذا يقع القسم على ما هو معروف عندهم إلا إن قصد كل اللحم ساعتئذ تكون النية مقدّمة على دلالة العرف. مثال آخر على العرف القولى: لو نذر فلان أن يتصدّق بكل ما فى جيبه من دراهم و كانت الدراهم فى عرفهم تطلق على عملة البلاد فلا يجب عليه أن ينفق من العملات الأخرى إن وجدت فى جيبه إلا إن نوى غير ذلك. أما العرف السلوكى فهو مثلا أن يعقد فلان على فلانة دون أن يتفقا على موعد لدفع المهر و كان العرف أن يدفع قبل الدخول ساعتئذ يكون هذا هو الحكم. و لو اشترى أحدهم سيارة مثلا- و لم يشترط أن تكون مكيفة و البائع لم يشترط ذلك فاختلف المشترى و البائع، ننظر إن كان العرف أن تكون غير مكيفة كما فى بلادنا فالحق مع البائع أما إن كان العرف أن تكون مكيفة كما فى بلاد الخليج فيكون الحق مع المشترى.

قاعدة: المعروف عرفا كالمشروط شرطا

قاعدة: المعروف عرفا كالمشروط شرطا يقول الإمام مالك إن النصوص القرآنية و نصوص السنّة إنما تفسّر على ضوء العرف القولى فى عصر النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، و هكذا فالعرف القولى مفتاح هام و خطير جدا لفهم النصوص. و نضرب على ذلك مثلا ما جاء فى الصحيح أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال: إن زكاة الفطر هى صاع من غالب قوت البلد. كلمة صاع عبارة عن مكيال معيّن

هذا المكيال يتغير من بلد إلى بلد و من عصر إلى عصر، فالصّاع فى العراق كان غير الصاع فى مصر غير الصاع فى المدينة ... فإذا نحن نفسر ذلك بما كان معروفا عند ما قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم هذا الحديث فى المدينة. مثال آخر كلمة النبيذ كانت تعنى أو يقصد منها شراب مكوّن من الماء و التمر و لا يقصد بها النبيذ المسكر المعروف فى عصرنا و قد شرب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم النبيذ و هذا كان سبب الإشكال الذى وقع فيه الكثير من المستشرقين عند ما قرءوا كتب التاريخ فوجدوا أن هارون الرشيد كان يشرب النبيذ و ظنوه من السكارى. قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ":إنّ من أشدّ الناس عذابا يوم القيامة المصوّرون، "و فى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۵۹ حديث آخر "كلّف أن ينفخ فيه الروح و ما هو بنافخ، "هنا نفسر المصوّر حسب العرف الدارج فى زمن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و بهذا لا يشمل الحديث الصور الفوتوغرافية و المرايا و انعكاس الضوء فيكون حكم هذه الأشياء الجواز علما أن الإنسان له أن يبتعد عن هذه الأمور من باب الورع و لكن هذا لا ينفى جوازها و عدم حرمتها فالورع أمر و الجائز أمر آخر. و بالطبع فالشىء المصوّر له حكم آخر إن كان صورا لفتيات عاريات لا خلاف فى أنه حرام قطعا. أما الدليل الشرعى للأخذ بالعرف أن اللّه تعالى أمرنا بكثير من الآيات أن نحتكم إلى العرف بقوله تعالى: وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ (۱۹۹)، أى اجعل العرف أساسا ... قالت هند زوجة أبى سفيان يوم فتح مكة و كانت تبايع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم على أن لا تسرق و لا تزنى، قالت له: لقد كنت آخذ من مال أبى سفيان الهنة تلو الهنة (أى الشىء القليل دون علمه)، ما ذا أصنع؟ فقال لها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن المستقبل ":خذى ما يكفيك و أولادك بالمعروف. "مثال آخر: قال اللّه تعالى* وَ الْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ، قال الإمام مالك إن كانت المرأة من الأغنياء أو كانت شريفة (العادة عندهم أن النساء الأغنياء لا يرضعن) ساعتئذ لا يجب عليها الإرضاع و لكن هو حق لها، أما إن كانت غير ذلك فهو واجب عليها، لأن ذلك لم يأت بصيغة الأمر الجازم كقوله تعالى: وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ، [البقرة: ۲۳۳].

قاعدة: إن النص يهيمن على العرف و لا يهيمن العرف على النص.

قاعدة: إن النص يهيمن على العرف و لا يهيمن العرف على النص. و نأخذ بالعرف فقط فى الأمور التى علّقها النص على العرف، أما ما ورد فيه نص فلا يغيّره العرف حتى لو ترك أهل بلد ما جميعا العمل بحكم شرعى، يبقى الحكم الشرعى كما هو. فلا نقول إنّ العرف السائد اليوم هو عدم ارتداء الحجاب مثلا خلافا للعرف قديما و أن الزمن قد تغير، فلو كان الأمر هكذا ما كان للشريعة الإسلامية معنى إذا كنا دائما نحتكم إلى العرف فقط دون النص.

أسباب انتشار مذهب الإمام مالك:

أسباب انتشار مذهب الإمام مالك: شاع مذهب الإمام مالك فى المغرب كثيرا مع أن مالكا لم يترك المدينة و ذلك لأن المدينة كانت تستقطب أناسا و علماء كثر أيام الحج و فى غير أيام الحج ... و من الأسباب التى ساهمت على انتشار مذهب الإمام مالك دون الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۶۰ سواه كمذهب الأوزاعى أو سفيان الثورى، تقييض اللّه سبحانه و تعالى لمالك تلاميذ كثر من مختلف الأصقاع فمن مصر كان الليث بن سعد و من المغرب و من العراق و من الشام و من اليمن، كلهم تتلمذوا على الإمام مالك و هم الذين قاموا بنشر مذهبه حتى وصلنا بالتواتر بحيث يستطيع الإنسان أن يجزم أنه عند ما يقرأ الموطأ أو المدونة برواية سحنون أو غيره من تلامذة مالك يستطيع أن يجزم أنه يتبع إماما راسخا فى العلم يبرأ ذمته عند اللّه باتباعه و الحمد للّه. و هكذا انتشر مذهبه فى المغرب و فى مصر و فى صعيد مصر و فى اليمن و فى أنحاء مختلفة متفرقة حتى أنّ فرنسا حين استعمرت أقسام كثيرة من المغرب

مـدة طويلـة، اطّلع علماء القانون الفرنسيون على الفقه الإسـلامى لا سـيما مذهب الإمام مالك فأعجبوا به أيّما إعجاب، لذلك نرى أن القانون الفرنسـى اليوم يعتمد اعتمادا كبيرا على فقه مالك. و بواسـطة هذه النافذة انتشـر الفقه الإسلامى فى فرنسا و اطّلع عليه كثير من المستشرقين فى أوروبا الذين بدءوا يتحركون لصدّ و محاربة هذا الغزو الإسلامى و ذلك بزرع الشكوك و الشبهات ليبعدوا الناس عن الإسلام، فادعوا قائلين: هؤلاء العرب أصحاب الأدمغة القانونية مثل مالك و أبو حنيفة جاءوا إلى الأعراف القبلية عند العرب فدوّنوها و جمعوها و نظّموها و فكروا بطريقـة يخلـدون هـذه الأحكام بها و وجـدوا أنّ الطريقة هى أن يبتدعوا لها إطارا دينيا فاخترعوا لها الأدلة من الأحاديث و النصوص القرآنية لكى يرسـخوا بهذه الأدلة الأعراف العربية و القبلية التى كانت سائدة منذ العصـر الجاهلى!!!. أ يعقل هذا الكلام؟ الإمام مالك الذى رحل إليه الناس و قال لا أدرى و الذى كان لا يحدّث حتى يغتسل و يلبس البياض من الثياب و يبكى عند ما يذكر حديث رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سلّم و الذى لم يطأ المدينة بحافر دابة قط أدبا مع النبى صلّى اللّه عليه و سلّم، أ يعقل بعـد كل هـذا أن يقال عنه ما قيل؟. فهـذا شاخت، و هو أحـد المستشـرقين أعـداء الإسـلام يقول إنّ مالكا اخترع الحديث! فكل واحد يقيس النـاس على نفسه: الـدجّالون أمثـال كريمر و شـاخت و غيرهم يجلسون فى مـا بينهم فيختلقون الأكـاذيب ثم يظهرونها على أنها حقـائق و يظنون أن غيرهم يفعـل الشـىء نفسه. يقول الـدكتور أمين المصـرى رحمه اللّه و هو أحـد علماء الشام إنه عنـد ما ذهب إلى أوروبـا لنيـل شـهادة الـدكتوراة فى الشـريعة الإسـلامية- هكـذا حظنـا أن نـدرس الشـريعة الإسـلامية فى أوروبـا؟!-، فكّر فى موضـوع لأطروحته، فوجد كتاب شاخت عن الفقه الإسلامى من أهم الكتب فى أوروبا (و كتاب شاخت هذا يعتمد و يؤكد هذه النظرية الباطلة الإقتصـاد و الإجتماع، ص: ۱۶۱ التى أشـرنا إليهـا عن اختراع مالك للحـديث)، فقرر أن تكون أطروحته دراسـة هـذا الكتاب. فجاءت دراسته موضـحة بما لا مزيد عليه اللبس الحاصل كاشفة أكاذيبهم دافعة لكل أباطيلهم و افتراءاتهم بحيث يتبين القارئ المنصف حقد أولئك المستشـرقين و تعنتهم الـذى أخرجهم عن المنهـج العلمى فى البحث و دفعهم لاختلاق الأكاذيب ... هـذا ما دفع إدارة الجامعة إلى رفض أطروحته و ألزمته بالتحول عن هذا الموضوع، فلما أبى لم يسـتطع أن يحصل على شـهادة الأستاذية و اضطر أن يأخذ شهادة فى علم النفس و علم التربيـة و أن يترك دراسـة الشـريعة الإسـلامية فى الغرب. وفاته: توفى الإمام مالك فى أوائل عام ۱۷۹ ه عن ۸۷ سنة فى الأرض التى لم يفارقها قط إلا للحج حبا و شوقا للنبى صـلّى اللّه عليه و سلّم. و قد بقى مفتيا للمدينة مدة ستين سنة. و كان من أبلغ الناس حزنا عليه و أشـدهم بكاء تلميذه النجيب و وارث الإمامة من بعده محمد بن إدريس الشافعى. و لقد دفن مالك رضـى اللّه عنه فى البقيع. و كـان الإمـام مالك قـد ترك حضور الجنازات فى آخر حياته و كان يأتى أصـحابها فيعزيهم ثم ترك ذلك كله و لم يشـهد الصـلوات فى المسـجد و لا الجمعـة أيضا، فعوتب فى ذلك فقال: ليس كل الناس يقـدر أن يتكلم بعـذره. و علم بعد ذلك أنه كان قد اصـيب بسـلس البول و كان يخشـى أن ينجّس مسـجد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سلّم، و قال و هو يودّع الدنيا: لو لا أنى فى آخر يوم من الـدنيا و أوله من الآـخرة مـا أخـبرتكم، سـلس بولى، فكرهت أن آتى مسـجد رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم على غير طهارة استخفافا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و كرهت أن أذكر علّتى فأشكو ربى!!!.

من أقواله:

من أقواله: - كلما كان رجل صادق لا يكـذب فى حـديثه (أى مطلق حديث) إلا متّع بعقله و لم يصـبه مع الهرم آفة و لا خرف. - من لم يكن فيه خير لنفسه لم يكن فيه خير لغيره. انتهينا من الحديث عن الإمام مالك و فقهه و السـبب الذى جعل مذهبه ينتشـر و يترسـخ فى كثير من أنحـاء العـالم الغربى و الإسـلامى و عرفنـا كيف أنّ اجتهـاد الإمـام مالـك زاد فى التقريب بين مـذهبى أهل الحـديث فى الحجـاز و أهـل الرأى فى العراق. و عرفنـا لما ذا نمت مدرسـة الحـديث فى الحجاز و لما ذا نمت مدرسـة الحـديث فى العراق. تكلمنا أيضا عن دور الإمام أبى حنيفة و الإمام مالك فى نسج شـجون الصـلة بين هذين المذهبين فى الشـكل الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۶۲

الذى ذكرناه و انتهينا إليه. و الآن ننتقل إلى الكلام عن الإمام الشافعى رحمه اللّه تعالى.

۳- ترجمة الإمام الشافعى رضى اللّه عنه:

بشارة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم به:

بشارة النبى صلّى اللّه عليه و سلّم به: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عن على و ابن عباس ":اللهم اهد قريشا فإنّ العالم منهم يسع طباق الأرض فى آخرين، "رواه أحمد و الترمذى و قال حسن ... و قال صلّى اللّه عليه و سلّم ":لا تسبّوا قريشا فإنّ عالمها يملأ الأرض علما، "قال ابن حجر الهيثمى حديث حسن له طرق عديدة.

اسمه و نسبه و تاريخ ميلاده:

اسمه و نسبه و تاريخ ميلاده: هو محمد بن إدريس الشافعى، ولد بالاتفاق عام ۱۵۰ هجرية أى فى العام الذى توفى فيه أبو حنيفة و قد غالى البعض فقال فى اليوم نفسه الذى مات فيه أبو حنيفة. و الصحيح الذى ذهب إليه الجمهور أنه ولد فى غزة فى فلسطين، والده قرشى و يلتقى نسبه مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى عبد مناف جده صلّى اللّه عليه و سلّم. أما أمه فمن قبيلة أخرى، من قبيلة الأسد و هى قبيلة عربية أصيلة و لكنها ليست قرشية. ولد الشافعى فى أسرة فقيرة جدا، و بعد ولادته بعامين توفى أبوه فقررت أمه العودة بابنها محمد إلى مكة لأنه قرشى حتى لا يضيع نسبه و لأن له سهم من ذوى القربى. و لكن هذا المال الذى كانت تأخذه من سهم ذوى القربى كان قليلا و قليلا جدا، فعانت هى و وليدها محمد حرمانا و فقرا. و لكن الأم كانت قوية الشخصية راسخة الإيمان، على جانب من العلم و الحفظ، فأرادت لولدها أن يتعلم و يحفظ فدفعت به إلى مكان فى مكة يقرئ الصبيان. و لكن الأم لم تجد أجر المعلم، فكان الشيخ المقرئ يهمل و يقصّر فى تعليم الصبى المتعطّش إلى العلم و المعرفة و لكن كان المعلم إذا علّم صبيا شيئا، تلقّف الشافعى ذلك الكلام ثم إذا قام المعلم من مكانه ليقضى شأنه أخذ محمد مكانه و راح يعلم الصبيان تلك الأشياء. و رآه المعلم يفعل ذلك، فارتاحت نفسه و نظر إلى أنّ الشافعى يكفيه من أمر الصبيان أكثر من الأجرة التى يطمع بها منه فترك طلب الأجرة و استمرت هذه الحال مع الشافعى حتى حفظ القرآن و هو دون العاشرة من عمره و منهم من قال و هو ابن سبع سنين. عرف الشافعى بشجو صوته فى القراءة. قال ابن نصر: كنا إذا أردنا أن نبكى قال بعضنا لبعض: قوموا إلى هذا الفتى المطلبى يقرأ القرآن، فإذا أتيناه (يصلى فى الحرم) استفتح القرآن حتى يتساقط الناس و يكثر عجيجهم بالبكاء من حسن صوته فإذا رأى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۶۳ ذلك أمسك من القراءة.

تحصيله و طلبه للعلم:

تحصيله و طلبه للعلم: كانت أمه قد وجّهته لإتقان القراءة و التلاوة و التفسير على شيوخ المسجد الحرام و لم يكد يبلغ الثالثة عشرة من عمره حتى أتقن ذلك إتقانا جيدا ملفتا للنظر. ثم اتجه الشافعى إلى علم الحديث فلزم حلقة سفيان بن عيينة و مسلم بن خالد الزنجى فى المسجد الحرام. و كان الورق غالى الثمن باهظ التكاليف و الشافعى و أمه فى قلة و فقر فكيف يفعل فى التدوين؟ يروى أنه كان يلتقط العظام العريضة فيكتب عليها أو يذهب إلى الديوان فيجمع الأوراق المهملة التى يلقى بها فيستوهبها و يكتب على ظهرها. هذه

المعاناة وفقته إلى أن يعتمد على الحفظ فتكوّنت لديه حافظة قوية ساعدته مستقبلا على حفظ كل ما يسمع و ما يلقى إليه من علم و معرفة. و بذكائه و ملاحظته أدرك الشافعى أنّ لغة قريش قد دخلتها ألفاظ غريبة و لم يعد لسانها هو اللسان العربى السليم فى فصاحته و بيانه، و علم أنه لا يستطيع أن يجيد علوم القرآن و الحديث و استخراج الأحكام من النصوص إلا إذا أتقن اللغة العربية الصحيحة. و كان يحضر فى المسجد الحرام دروس إمام مصر الليث بن سعد حين يأتى حاجا أو معتمرا و كان يوصى مستمعيه أن يتقنوا اللغة و أسرارها و أن يتعلموا خاصة كلام هذيل و هم قبيلة فى البادية و أن يحفظوا أشعارهم لأن هذيل أفصح العرب. انطلق الشافعى إلى مضارب هذه القبيلة فأقام فى ظهرانيهم و لازمهم عشرة أعوام عكف خلالها على دراسة اللغة و آدابها و حفظ الشعر (حفظ أكثر من عشرة آلاف بيت) كما تعلّم الرماية و الفروسية و برع فيهما. و روى الشافعى عن نفسه فقال: كانت همّتى فى شيئين، فى الرمى و العلم فصرت فى الرمى بحيث أصيب عشرة من عشرة. "و سكت عن موضوع العلم تواضعا علما أنه فى العلم أكثر من ذلك. عاد إلى مكة و هو يحمل ثروة هائلة من شعر و أدب العرب حتى قال الأصمعى- راوية العرب المشهور "-صحّحت أشعار الهذليين على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس. "و أصبح الشافعى حجة عصره فى اللغة. و عاد إلى مكة ليتعلّم عند علمائها من أتباع عبد اللّه بن عباس و جعفر الصادق. و كان الإمام سفيان بن عيينة إذا جاءه شىء من التفسير أو الفتيا التفت إلى الشافعى فقال: سلوا هذا الغلام. و كان الشافعى يوما يحضر مجلس ابن عيينة فحدّث ابن عيينة بحديث أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كان معتكفا، فأتته صفية، فلما ذهبت ترجع مشى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم معها فأبصره رجل الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۶۴ من الأنصار فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم ":إنها صفية، إنّ الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم. "فقال ابن عيينة: ما فقه هذا الحديث يا أبا عبد اللّه؟ فقال الشافعى: لو كان القوم اتهموا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لكانوا بتهمتهم إيّاه كفارا و لكنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أدّب من بعده فقال إذا كنتم هكذا فافعلوا هكذا حتى لا يظنّ بكم، لا أنّ النبى صلّى اللّه عليه و سلّم- و هو أمين اللّه فى وحيه- يتّهم. فقال ابن عيينة: جزاك اللّه خيرا يا أبا عبد اللّه ما يجيئنا منك إلا ما نحبه. و لا عجب فى ذلك فقد كان يعمل و يهتدى وفق توجيهات أمّه البارّة التى كانت عالمة، حافظة و فقيهة. فقد استدعيت مرة للشهادة أمام قاضى مكة و معها امرأة أخرى و أراد القاضى أن يفرّق بينها و بين المرأة الأخرى فى الشهادة ليسمع كلّا منهما على حدة، فاعترضت و طلبت إلى القاضى أن تكون شهادتها و شهادة المرأة الأخرى بحضور كليهما و استدلّت على ذلك بقوله تعالى: أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى [البقرة: ۲۸۲]. و أجازه شيخ الحرم الإمام مسلم بن خالد الزنجى و كان أول من أجازه فقال له و هو غلام: أنت يا أبا عبد اللّه و اللّه لقد آن لك أن تفتى. و لكن الشافعى مع هذا رفض أن يفتى و كيف يفعل ذلك و هو يعتبر أنّ سلّم العلم ما زال طويلا، و كيف يفعل ذلك و الإمام مالك فى المدينة و قد سمع من حديثه عند ما جاء حاجّا إلى بيت اللّه الحرام؟!!!. و أدرك الشافعى ما عند مالك من علم واسع و أحب لقاءه و لكنه تهيّب أن يرحل إليه قبل أن يأخذ من علومه شيئا، فأقبل على الموطأ فحفظه غيبا و لم يكن يملك ثمنه فاستعاره و حفظه. و خشى أن لا يستقبله الإمام مالك لحداثة سنّه فلقد اشتهر عن مالك أنه رغم سماحته و طيب خلقه كان صارما فى العمل و لا يبيح وقته للناس و لا يستقبل من يطرق بابه خلال راحته فى داره. و لكن الشافعى الشاب المتوقد المتوهج المتعطش إلى غرف العلم لا يشبع نهمه الجلوس فى حلقات درس مالك فى المسجد و لكنه يريد أن يتفرّد بلقائه. فتوسطت له أمّه عند والى مكة، فأرسل معه رسالة إلى والى المدينة. فلما وصلت الرسالة إلى والى المدينة و قرأها قال: يا فتى إنّ مشيى من جوف مكة إلى جوف المدينة حافيا راحلا أهون علىّ من المشى إلى باب مالك، فلست أرى الذل حتى أقف على بابه! ... فقال الشافعى: أصلح اللّه الأمير، إن رأى الأمير يوجه إليه ليحضر. فقال الأمير: هيهات، ليت أنى لو ركبت أنا و من معى و أصابنا من تراب العتيق (حى يسكنه مالك) نلنا بعض حاجتنا. و واعده على الذهاب إلى مالك فى وقت العصر. و يروى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۶۵ الشافعى فيقول: و ركبنا جميعا، فو اللّه لكان كما قال، لقد أصابنا من تراب العتيق فتقدم رجل منا فقرع الباب فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير: قولى لمولاك أنى بالباب. فدخلت ثم خرجت فقالت: إنّ مولاى يقرئك السلام و يقول إن كان لديك مسألة فارفقها فى رقعة يخرج إليك الجواب و إن كان للحديث فقد

عرفت يوم المجلس فانصرف. فقال لها الأمير: قولى له إنّ معى كتاب والى مكة إليه فى حاجة ... فدخلت و خرجت و إذا بمالك قد خرج و عليه المهابة و الوقار و هو شيخ طويل مسنون اللحية، فرفع الوالى الكتاب إلى الإمام مالك فطفق يقرأه فلما بلغ إلى هذا ":إنّ هذا رجل يهمنى أمره و حاله فتحدثه ... و تفعل ... و تصنع. " ...فرمى مالك الكتاب من يده ثم قال: سبحان اللّه أو صار علم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم يؤخذ بالرسائل؟!!! قال الشافعى: فرأيت الوالى قد تهيّب أن يكلّمه فتقدمت و قلت ":أصلحك اللّه ... إنى رجل مطلبىّ من بنى المطّلب و حدّثته عن حالتى و قضيتى فلما سمع كلامى نظر إلى و كان لمالك فراسة فقال: ما اسمك؟ قلت: محمد، فقال ":يا محمد إنه سيكون لك شأن و أى شأن، إنّ اللّه تعالى قد ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بالمعصية. إذا جاء الغد تجىء مصطحبا معك ما تقرأ به. و طلب منه أن يأتى بمن يقرأ له الموطأ لصغر سنه و لكن الشافعى جاءه فى اليوم الثانى و معه الموطأ و بدأ يقرأ عن ظهر غيب و الكتاب فى يده. و كلما قرأ قليلا تهيّب مالكا و أراد أن يقطع و لكن أعجب مالك حسن قراءته و إعرابه فقال: زد يا فتى، حتى قرأ عليه الموطأ فى أيام يسيرة. قال مالك عنه: ما يأتينى قرشى أفهم من هذا الغلام، و قال: إن يك يفلح فهذا الغلام. و لازم الشافعى مالكا تسعة أعوام و لم ينقطع عنه إلا لزيارة أمّه أو لرحلة علمية و كان قد ذهب فى بعض الرحلات إلى العراق و حصل ثروة من علم أبى حنيفة. و تلقى الشافعى علومه من مالك و من باقى علماء المدينة. و كانت المدينة أجلّ بلد حافظ على الطابع الإسلامى الأصيل، و أكثر الصحابة كانوا فيها، فإنّ النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بعد رجوعه من حنين ترك فيها نحو اثنى عشر ألف صحابى، لبث فيها نحو عشرة آلاف، ثم ماتوا فيها و تفرّق فى سائر الأقطار نحو ألفين. و ما كان يوثق بعلم العالم فى جميع أقطار الخلافة الإسلامية إلا أن يؤم المدينة، يختلف إلى علمائها و يروى عن حفاظها. و فى إحدى رحلات الشافعى العلمية غاب عن المدينة زهاء عامين و كان دائم السؤال عن شيخه مالك، و يوم عاد دخل الحرم النبوى و تهيّأ للجلوس فى حلقة مالك و ما هى إلا الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۶۶ لحظات حتى وصل مالك و فاح ريح الطيب فى أرجاء المسجد و جلس مالك على كرسى أعدّ له و أخذ يلقى المسائل على التلاميذ المتحلقين حوله و من بينهم و فى زحمتهم الشافعى الذى لا يكاد يراه مالك. سكت الحاضرون و لم يجيبوا على مسائل مالك فتضايق الشافعى ثم أوحى بالجواب إلى الذى بجواره و كذلك بجواب آخر و آخر، مالك يلقى المسألة و جار الشافعى يجيب، ثم سأله مالك متعجبا: من أين لك هذا العلم؟ فقال إنّ بجانبى شابا يقول لى الجواب و إذا هو الشافعى فتلقاه مالك بالترحاب و الحفاوة و السرور و قال له: أتمم أنت هذا الباب و هذه إجازة من مالك للشافعى بالفتيا. فلما كان عام ۱۷۹ توفى مالك و بكاه الشافعى بكاء حارا. و كان الشافعى يعانى من الفقر و لا يبالى فى سبيل إقباله على العلم و الدراسة فلما توفى مالك شعر بفراغ فالتفت يبحث عن عمل و كان قد وصل إلى قمة الشباب، فبحث له بعض القرشيين عن عمل فى اليمن بواسطة والى اليمن، فأعطى عملا جيدا فى نجران دون مستوى المحافظ بشىء قليل.

اتهامه بخيانة الخلافة العباسية:

اتهامه بخيانة الخلافة العباسية: فى اليمن تنامت ثروة الإمام الشافعى العلمية بالتعرف على فقه إمام مصر الليث بن سعد الذى كان تلامذته منتشرين هناك. و لكن والى مدينة نجران تحفّظ عليه فوشى إلى هارون الرشيد بشأنه و شأن عدد من الناس معه كان مجموعهم عشرة و كانت الخلافة العباسية آنذاك تحسب حسابا للشيعة لا سيما العلويين- أى أسرة و ذرية سيدنا على رضى اللّه عنه- ذلك لأن الخلافة العباسية قامت على سواعد الشيعة أى المتشيعين و المناصرين لعلى رضى اللّه تعالى عنه و أرضاه، إلا أنّ العباسيين تنكروا لهم بعد قيام الخلافة. لذا كانت الخلافة العباسية دائما تخشى من ثورة العلويين عليهم. و كان والى نجران قد اتّهم الشافعى بأنه يحرّض العلويين على الثورة. و سيق إلى هارون الرشيد مكبّلا بتهمة خيانة الدولة و كانت عقوبة هذه الخيانة القتل. دخل الشافعى ثابت الفؤاد على الخليفة ينتظر الحكم عليه و هو يردد ":اللّه يا لطيف ... أسألك اللطف فيما جرت به المقادير. "قال الشافعى للخليفة:

السلام عليك يا أمير المؤمنين و بركاته (دون أن يلفظ و رحمة اللّه). فردّ عليه الرشيد: و عليك السلام و رحمة اللّه و بركاته، ثم أضاف فقال: بدأت بسنّة لم تؤمر بإقامتها، و رددنا عليك فريضة قامت بذاتها و من العجب أن تتكلم فى مجلسى بغير أمرى أو إذنى. فقال الشافعى: إنّ اللّه تعالى قال ":وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۶۷ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً، "و هو الذى إذا وعد وفّى، فقد مكّنك فى أرضه و أمّننى بعد خوفى ... حيث رددت علىّ السلام بقولك و عليك رحمة اللّه، فقد شملتنى رحمة اللّه بفضلك. فقال الرشيد: و ما عذرك بعد أن ظهر أنّ صاحبك- يعنى الثائر العلوى- طغى علينا و بغى و اتّبعه الأرذلون و كنت أنت الرئيس عليهم؟ فقال الشافعى: أما و قد استنطقتنى يا أمير المؤمنين فسأتكلم بالعدل و الإنصاف و لكن الكلام مع ثقل الحديد صعب، فإن جدت علىّ بفكه أفصحت عن نفسى و إن كانت الأخرى فيدك العليا و يدى السفلى و اللّه غنى حميد. فأمر الرشيد بفك الحديد عنه و أجلسه، فقال الشافعى: حاشا اللّه أن أكون ذلك الرجل، و لكن قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا، [الحجرات: ۶] لقد أفكك المبلّغ فيما بلّغك. و إنّ لى حرمة الإسلام و ذمة النسب و كفى بهما وسيلة و ما أنا بطالبىّ و لا علوى و إنما أدخلت فى القوم بغيا علىّ. أنا محمد بن إدريس، و أنا طالب علم. فقال الرشيد: أنت محمد بن إدريس؟ قال: نعم، ثم التفت إلى محمد بن الحسن الشيبانى و سأله: يا محمد ما يقول هذا؟ أ هو كما يقول؟ قال محمد بن الحسن: إنّ له من العلم شأنا كبيرا و ليس الذى زعم عليه من شأنه (معلوم أنه بين العلماء المخلصين نسب أقوى من الرحم). و كأنّ اللّه تعالى وضع هذه المحنة التى انزلق فيها الشافعى من أجل أن يعيده عز و جل من عمل الدنيا إلى عمل الآخرة و هذا واضح جدا و عسى أن تكرهوا شيئا و هو خير لكم و عسى أن تحبوا شيئا و هو شر لكم و لكن هذه الحقيقة لا تظهر إلا آخرا عند ما يكون الإنسان فى طور المفاخرة و أمّا فى طور الحكم الإلهى فيكون كالغائص فى جوف البحر لا- يعلم إلا- من وثق بعلم اللّه سلفا. لذا ينبغى للمسلم أن يراجع نفسه كل فترة من الزمن و يحاول أن يتذكر ما هى الأشياء التى حصلت معه فى الماضى و ظنها حينذاك شرا و إذا بها مع مرّ السنين الخير كله، ذلك يفيد الإنسان بزيادة ثقته باللّه تعالى فإنّ أكثر المعاصى و الإحباطات إنما هى ناتجة عن عدم الثقة باللّه و عدم المشاهدة له دائما عز و جل (ثقة عين اليقين).

موقف الشافعى من الإمامة و الخلافة:

موقف الشافعى من الإمامة و الخلافة: كان الشافعى على عقيدة جمهور أهل السنة و الجماعة و كان يستدل على أنّ أولى الناس بالخلافة هو أبو بكر رضى اللّه عنه بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، أنّ امرأة جاءت إلى النبى صلّى اللّه عليه و سلّم تسأله فى أمر فقال لها ارجعى فيما الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۶۸ بعد، فقالت: فإن لم أجدك؟ فأمرها النبى عليه الصلاة و السلام أن تأتى أبا بكر، أى إن ذهبت و عادت و كان الرسول صلّى اللّه عليه و سلّم قد توفى فعليها أن تأتى إلى أبى بكر.

إقامته فى العراق:

إقامته فى العراق: و بقى الشافعى فى العراق فتعرّف على محمد بن الحسن و وطّد صلته به و عاد و تفرغ للعلم و ترك الدنيا و العمل فيها ... يقول الشافعى ":أخذت من محمد بن الحسن وقر بعير (أى حمل بعير) من سماعه عن أبى حنيفة، أى لو جمعت العلم الذى أخذته منه فى كتب فإن هذه الكتب تبلغ حمل بعير و كل ما فيها ليس فيه شىء من عندى، كله أخذته سماعا من محمد بن الحسن." انظروا إلى تواضع الشافعى الذى ما حال بينه و بين هذه الكلمة المكانة العالية التى تبوّأها قد تقدّم ربما على محمد ابن الحسن و هو

المجتهد المطلق ما قال فی نفسه ما ذا سیقول عنی الناس لو سمعوا أنی تلمیذ محمد بن الحسن. و هذا من باب ذکر فضل أهل الفضل. و قد ملأ الشافعی کتابه "الرسالة "مناقشات طریفة جدا بینه و بین محمد بن الحسن الشیبانی ملئت علما. و کان محمد بن الحسن یقدره تقدیرا عظیما و لا یؤثر علی مجلسه مع الإمام الشافعی أی مجلس. و قد حصل أن اتفق یوما أنّ الإمام الشافعی کان ذات مرة متجها إلی بیت محمد بن الحسن لیتدارس معه العلم و لیأخذ منه و لکن محمد بن الحسن کان متجها إلی الموعد الذی کان قد ارتبط به مع الخلیفة، فآثر مجلس الشافعی و تخلّف عن مجلس الخلیفة. و قد لبث الشافعی فی العراق زهاء عامین عاد بعدها إلی مکة و أخذ یدرس فی الحرم المکی، و هذه فترة ازدهار علمه، منذ هذا العهد بدأ الشافعی یصب کل تفکیره و یعمل کل فهمه فی تدوین الفقه و أصوله أی بدأ فی تدوین موازین الاجتهاد و أصول استنباط الأحکام من نصوص القرآن و السنّة حتی تجتمع العقول المختلفة علی هذه الموازین. فالقرآن و السنة کل منهما ملیء بالأحکام و لکن کیف نفهمهما، ما هی قواعد الفهم، ما هی قواعد الدلالة العربیة التی علی أساسها نستنبط الأحکام من القرآن و من السنة؟ هذا ما بدأ یشغل بال الشافعی فوضع و خطط لهذا العلم و هو علم جدید لم یکن موجودا من قبل هو "علم أصول الفقه ... "بقی الشافعی فی مکة تسع سنوات یجمع هذه القواعد و یدونها و ینسجها و قبل ذهابه إلی مکة کان قد زار مسجد الإمام الأعظم أبی حنیفة و هناک صلی الفجر علی مذهب الإمام (أی أبو حنیفة) مخالفا مذهبه فی الحرکات و القنوت و ما إلی ذلک، و لما سئل عن ذلک قال: إنی فعلته أدبا مع الإمام أبی حنیفة أن الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۶۹ أخالفه فی حضرته. انظروا إلی أدب علمائنا بعضهم مع بعض.

تألیفه لکتابه "الرسالة "و أهمیته:

تألیفه لکتابه "الرسالة "و أهمیته: أصبح من عادة الشافعی أن یجلس فی الحرم عند بئر زمزم حیث کان یجلس الصحابی الجلیل شیخ المفسرین عبد اللّه بن عباس رضی اللّه عنهما ... و بدأ یؤلف فی مکة کتابه "الرسالة، "و کان صیته العلمی فی هذا الوقت یطبق الآفاق فی مختلف أنحاء البلاد و مقاطعات الدولة الإسلامیة الشاسعة، فیأتیه طلاب العلم و المعرفة من أقصی الأماکن و کان من هؤلاء أحمد بن حنبل الذی کان تلمیذا للإمام ابن عیینة إمام الحدیث فی عصره فی المسجد الحرام. و ابن عیینة کان یروی جلّ أحادیثه عن الزهری و هو أعلی الأسانید، فکان الناس یغشون مجلسه. و لکن الإمام أحمد لما علم بمجلس الشافعی و سمع منه ترک مجلس ابن عیینة و أصبح یغشی مجلس الشافعی فلما سئل عن ذلک قال: إنک إن فاتک الحدیث بعلوّ تجده بنزول و لا یضرک ذلک أما إن فاتک عقل هذا الفتی- یقصد الشافعی- فإنی أخاف أن لا تجده إلی یوم القیامة، ما رأیت أحدا أفقه بکتاب اللّه تعالی من هذا الفتی القرشی. و کان أحمد یقول: کان الفقه مقفلا علی أهله حتی فتحه اللّه للإمام الشافعی. قال الحسن بن محمد الزعفرانی: کنا نحضر مجلس بشر المریسی المعتزلی القدری المناظر البارع و کنا لا نقدر علی مناظرته فسألنا أحمد بن حنبل فدلّنا علی الشافعی، فسألناه شیئا من کتبه فأعطانا کتاب الیمین مع الشاهد فدرسته فی لیلتین ثم غدوت علی بشر المریسی و تخطّیت إلیه فلما رآنی قال: ما جاء بک یا صاحب الحدیث؟ قال الحسن الزعفرانی: ذرنی من هذا، ما هو الدلیل علی إبطال الیمین مع الشاهد؟ فناظرته فقطعته فقال: لیس هذا من کیسکم، هذا من کلام رجل رأیته بمکة معه نصف عقل أهل الدنیا. و کان بشر المریسی لما رأی الشافعی المفتی فی مکة یحدّث قال لأصحابه المعتزلة: إنی لا أخاف علیکم من أحد و لکنی أخاف علیکم من هذا الفتی فإنّ معه نصف عقل أهل الدنیا. و الذی یدعو إلی الإعجاب أن یکون الشافعی کتب هذه الرسالة فی أصول الفقه و هو شاب و کان قد طلبها منه إمام المحدّثین فی بغداد لکی یستفید منها هو و غیره من کبار العلماء فی کیفیة فهم النصوص. و لما کتب الشافعی الرسالة و وصلت إلی إمام المحدثین فی بغداد، جعل یتعجب و یقول: لو کانت أقل لنفهم ... و قال الإمام المزنی: قرأت الرسالة خمسمائة مرة، ما من مرة إلا و استفدت منها فائدة جدیدة. و فی روایة عنه قال: أنا أنظر فی الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۷۰ الرسالة من خمسین سنة، ما أعلم أنی نظرت فیها مرة إلا

و استفدت شيئا لم أكن عرفته. كتاب "الرسالة "هو مقدمة ضخمة لكتابه "الأم "مثل مقدمة ابن خلدون لكتابه "تاريخ الأمم و الملوك، "و مقدمة ابن خلدون ليست كتابا مستقلا و إنما هى مقدمة لموسوعة تاريخية و لأهمية هذه المقدمة طبعت طبعا مستقلا و افردت باسم مستقل و أصبحت مقدمة ابن خلدون اسم مستقل تماما، و كذلك كتاب "الرسالة "فهو فى أصله عبارة عن مقدمة كبيرة و واسعة جدا لكتاب "الأم "و هو عبارة عن سبعة أجزاء، إلا أنّ "الرسالة "فيما بعد أفردت بالطباعة و أصبحت عبارة عن كتاب مستقل لأنه يحوى علما مستقلا، و قد تضمّن ما يلى: أولا: بيان أنّ أى علم شرعى لا بد أن يدور على فلك نص مأخوذ من الكتاب أو السنّة. ثم أكّد أهمية و حجية حديث الآحاد (و حديث الآحاد هو الحديث الذى يرويه صحابى واحد أو اثنين أو ثلاثة عن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم) و قد ذكرنا طرفا من ذلك من قبل، و استدلّ على حجية الآحاد بأدلة كثيرة منها: - أنّ اللّه تعالى حينما أنزل فى القرآن الكريم تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى مكة المكرمة، جاء صحابى و أخبر الصحابة الذين كانوا يصلّون فى مسجد ذى القبلتين فاستداروا و هم فى الصلاة، فإذا أخذوا بخبر الواحد!. - حينما أنزل اللّه تعالى آية تحريم الخمر، أخبر صحابى باقى الصحابة بذلك، فانتهوا و ألقوا خمورهم. - إنّ النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بعث معاذ رضى اللّه عنه إلى اليمن ليبلّغ عنه و لقد أخذ عنه أهل اليمن. - إن اللّه عز و جل قد أمرنا أن نأخذ بقول الشاهدين و هما من الآحاد. و هذا الأمر أى حجية حديث الآحاد لم يخالف فيه أحد من الأئمة الأربعة و إنما اختلفوا فى نسخ الآحاد للقرآن أى هل ينسخ حديث الآحاد حكم آية من كتاب اللّه تعالى و هل يخصص هذه الآية أم لا؟ ... ثانيا- و كان قد ظهر فى عصر الشافعى من يدّعى أنه يأخذ بالقرآن الكريم وحده و يدع العمل بالحديث الآحاد و هم من الزنادقة، فردّ عليهم الشافعى ردا مفحما و سمّى بذلك "نصير السنّة النبوية ... "ثم عقد الشافعى بابا سمّاه "الدلالات "أى كيف تدل الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۷۱ النصوص على معانيها سواء كان المفهوم الموافق أو المفهوم المخالف و كيف نستخرج قواعد القياس على نص فى كتاب اللّه تعالى ... و أوضح البيان، أى كيف يمكن أن يكون القرآن بعضه بيانا لبعض و أنّ النص قد يكون عامّا و قد يكون خاصا و قد يكون مطلقا و قد يكون مقيّدا. و النص المطلق يمكن أن يأتى نص آخر فى المعنى ذاته فيقيّده و يفسّره ... و أوضح أيضا فيما إذا كان يمكن للسنّة أن تخصص القرآن العام أو أن تقيّده و هل يصح العكس ... و باختصار كتاب "الرسالة" هو عبارة عن مفاتيح لكيفية فهم الأحكام من النصوص. و قد كان المجتمع آنذاك يفتقر إلى هذا العلم و لم يكتب فيه أحد قبلا، صحيح أنّ الإمام أبو حنيفة و الإمام مالك كل منهما بنى فقهه على أصول و مبادئ و لكن هذه المبادئ لم تسجّل و لم يصرّح بها كلها بل إنّ تلامذتهما هم الذين استنبطوا الأصول من فروع المسائل. و الذى أعان الشافعى على هذا العلم علم استنباط الأحكام من النصوص فضلا عن كونه عالما بالفقه و الحديث و بلوغه درجة قصوى من الذكاء، هو أنه عاش فى البادية عشر سنوات حيث أخذ الطبيعة العربية و السليقة العربية من ينبوعها، فكان يعلم كيف يفهم الرجل العربى الجملة و كيف يأخذ المعنى إثر المعنى من الجملة الواحدة، و مما جعل من الشافعى حجة فى اللغة.

عودة الشافعى إلى العراق:

عودة الشافعى إلى العراق: عاد الشافعى إلى العراق و أقبل العلماء جميعا من شتى المذاهب على كتاب "الرسالة "و أعجبوا به أيما إعجاب و كان الشافعى يشرح و يناقش هذه القواعد. و كان الشافعى يضرب فى طول البلاد و عرضها فى سبيل أن ينقل علم الحجاز إلى العراق و بالعكس و يجمع الكل تحت مظلة هذه القواعد، فلقد تنبّه إلى ثغرات علماء العراق و هى أنهم كلما فقدوا النص استنجدوا بالرأى و استحسنوا و مالوا إلى ما تطمئنّ إليه نفوسهم و لكن على أى أساس؟ و على أى قاعدة؟ و ما هو المقياس الذى يوضح الرأى المتفق مع شرع اللّه تعالى و حكمه و الرأى المتنكر عن شرع اللّه تعالى و حكمه؟ لا يوجد! إذا هذه هى الثغرة التى يعانى منها أهل العراق. أما أهل الحجاز فلاحظ أنهم يأخذون بالنص دون أن يتوغلوا فى فهم طرق دلالته و قوانين هذه الدلالة. إذا رأوا نصا

فی کتاب اللّه تعالی أو سنة النبی صلّی اللّه علیه و سلّم تصوّروا ضرورة تطبیق هذا النص دون التأمل فی کیفیته و أسلوبه، و هذه هی ثغرتهم، فکان کتاب الرسالة سدا لثغرة أهل الحدیث فتقبله الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۷۲ المسلمون فی جمیع أنحاء البلاد و أقبلوا علیه. و یقول الشافعی فی هذا الموضوع: صحیح أننا لا نخرج عن دائرة النص و لکن هناک فرق بین من لا یغوص فی أعماق النص و لا یتعمق به و بین من یبحث و یتفکر و یتعلم و یتعمق و یستنبط معان عدیدة فیجد أنّ مسافة النص ۱۰ أمتار من حیث المعنی. و ضرب علی ذلک أمثلة عدیدة فقال: - إنّ اللّه عز و جل خاطب عباده فی کتابه بألفاظ عامة و أراد منها الخاص و خاطب عباده بألفاظ خاصة و أراد منها العموم، مثال علی ذلک: قوله عز و جل "الَّذِینَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَکُمْ فَاخْشَوْهُمْ "إنما أرید بالناس الأولی رجل واحد هو أبو سفیان، فیکون هنا اللفظ عام یراد منه الخاص. - مثال علی الخاص الذی یراد منه العام: قال اللّه تعالی: یا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ، [الطلاق: ۱]، فهو خطاب للنبی صلّی اللّه علیه و سلّم وحده و لکن المقصود به عموم الناس. من هنا کثر إعجاب الإمام أحمد بالشافعی فعن صالح بن أحمد بن حنبل قال: جاء الشافعی یوما إلی أبی یعوده- و کان علیلا- فوثب أبی إلیه، فقبّل ما بین عینیه، ثم أجلسه فی مکانه و جلس بین یدیه. قال فجعل یسائله ساعة، فلما وثب الشافعی لیرکب قام أبی فأخذ برکابه و مشی معه، فبلغ یحیی بن معین هذا الخبر فوجه إلی أبی: یا أبا عبد اللّه، یا سبحان اللّه! أ اضطرک الأمر إلی أن تمشی إلی جانب بغلة الشافعی؟ فقال له أبی: و أنت یا أبا زکریا لو مشیت من الجانب الآخر لانتفعت به قال: ثم قال أبی: من أراد الفقه فلیشم ذنب هذه البغلة. و قال الفضیل بن زیاد: قال أحمد بن حنبل: هذا الذی ترون کله أو عامته من الشافعی، ما بتّ مدة أربعین سنة إلا و أدعو اللّه للشافعی. قلت و هذا من شیم أهل الفضل یعرفون الفضل لأصحابه. و کان الشافعی بالمقابل یحب و یجلّ الإمام أحمد کثیرا و کان یجلس بین یدیه یتعلم منه الحدیث و یقول له إذا صح عندک الحدیث فأخبرنی عنه. و کان الإمام أحمد یحدّث ابنته کثیرا عن الشافعی و عن تقواه و علمه و فی یوم نزل الشافعی ضیفا عند أحمد و لعل ذلک کان فی رحلة الشافعی الأخیرة له إلی بغداد، فأعطاه غرفة لینام فیها. و کان الإمام أحمد کثیر التعبد و کثیر التنسک فأخذت ابنته تراقب الشافعی کیف تکون عبادته و متی سیستیقظ من اللیل و أیهما أکثر تعبدا والدها أم الشافعی. فلاحظت أنّ غرفة الشافعی بقیت مظلمة إلی قبیل أذان الفجر بینما الإمام أحمد کان یقوم أکثر اللیل. و فی الصباح الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۷۳ قالت لأبیها: أ هذا هو الشافعی الذی حدثتنی عنه؟ فلم یجبها الإمام أحمد و دخل علی الشافعی فقال له: کیف کانت لیلتک یا أبا عبد اللّه؟ فقال له: لقد فکرت اللیلة فی بضع آیات من کتاب اللّه تعالی و روایة فی حدیث النبی صلّی اللّه علیه و سلّم، فاستخرجت منها أحکاما کثیرة- و فی روایة فوق الستین حکما- فقال الإمام أحمد لابنته: لضجعة واحدة من الإمام الشافعی خیر من صلاة أبیک اللیل کله!. هذا یصور لنا کیف کان أدب و تعظیم أئمة المسلمین بعضهم لبعض و نظر کل واحد منهم إلی الآخر علی أنه إمام و حجة. أما الیوم فللأسف کثیر ممن یدّعون حب إمام من الأئمة یسفّهون أو ینتقدون إماما آخر. و قد أنبأنا النبی صلّی اللّه علیه و سلّم عن هذا الداء الخطیر و أنه من أشراط الساعة أن یلعن آخر هذه الأمة أولها.

أسفاره و زیارته مصر:

أسفاره و زیارته مصر: لقد طاف الشافعی فی آفاق العالم الإسلامی، و لم یترک بقعة إلا زارها من الحجاز حتی أقصی الشرق و الشمال و لکنه لم یأت مصر بعد. و مصر مهد عریق فی الحضارة و العلم و هی فی الوقت عینه مجتمع علماء فحول و فضلا عن ذلک هی مدرسة إمامه و شیخه اللیث بن سعد. و بینما إمامنا العظیم فی تطلعه هذا إذ جاءته دعوة کریمة لزیارة مصر فوافقت هوی قلبه و نفسه و کانت الدعوة من أحد تلامذته و محبّیه، الفقیه العالم، و التاجر الواسع الثراء "ابن عبد الحکم. "فشد الشافعی رحاله علی الفور و کان وداع الناس و العلماء خاصة له فی بغداد مؤثرا جدا. کانوا یبکون و یحاولون إقناعه بالبقاء خصوصا الإمام أحمد ... و امتدت إقامة الشافعی فی مصر خمس سنوات حیث استقبل استقبالا حافلا من مختلف الطبقات إذ سبقه صیته إلی هناک و حاول الکثیرون أن

يستفيدوا من ضيافتهم له فعرضوا عليه الإقامة عندهم من الوالى حتى أقل الناس شأنا و لكن الشافعى آثر التشبه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم حين هاجر إلى المدينة المنورة فنزل عند أقارب أمه ... و كان أول ما فعله الشافعى أن قام بزيارة قبر الإمام الليث بن سعد و وقف عند القبر خاشعا يردد و يقول: للّه درّك يا إمام ... لقد حزت أربع خصال لم يكملن لعالم: العلم و العمل و الزهد و الكرم.

لقاؤه السيدة نفيسة و أخذه عنها العلم:

لقاؤه السيدة نفيسة و أخذه عنها العلم: كانت السيدة نفيسة رضى اللّه عنها حفيدة الحسن بن على و الحسين بن على رضى اللّه عنهم موئل علم و دين و تقوى، تقيم فى مصر، و كان الشافعى يعرف مقدارها و مكانتها. فاستأذن فى زيارتها فأذنت له و رحبت الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۷۴ به و أعجبها عقله و ورعه و سمع منها ما لم يكن قد وصل إليه من حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم.

تدريسه و تأليفه لكتابه "الأم:"

تدريسه و تأليفه لكتابه "الأم: "كان الشافعى جامعة علم فى شتى الفنون، فكان يجلس فى جامع تاج الجوامع فى مصر بعد صلاة الفجر و يبدأ بالقرآن و علومه فيأتيه علماء التفسير و علوم القرآن الفطاحل ليتعلموا منه، فإذا انتهى تحوّل إلى الحديث فيأتيه علماء الحديث ليتعلموا منه و إذا فرغ انتقل إلى علوم اللغة و آدابها فيأتيه علماؤها يدرسون عنه و هكذا ... و فى مصر أعاد الشافعى النظر فى" الرسالة "فجدد تأليفها- و "الرسالة "التى بين أيدى الناس اليوم هى "الرسالة "المؤلفة فى مصر- كما أعاد النظر فى كتابه "الحجة" فألّف بدله كتاب "الأم "و هو مجموع لكتب كثيرة جديدة ألّفها الشافعى فى مصر و هذا الكتاب هو المعروف و المشهور فى أيامنا. و تراجع الشافعى عن بعض مسائله الفرعية فى العراق و أفتى بغيرها من هنا إذا قيل اليوم فى المذهب الشافعى القديم فإنما يراد به أقواله فى العراق المجموعة فى كتابه "الحجة "و إذا قيل مذهب الشافعى الجديد فيراد به أقواله فى مصر المجموعة فى كتابه "الأم. "و ابتكر الشافعى كتبا- كما يقول الإمام النووى- لم يسبق إليها، منها: أصول الفقه و كتاب "القسامة "و كتاب "الجزية "و كتاب "أهل البغى" و غيرها. فائدة: الفتوى اليوم هى على المذهب الجديد إلا- فى بعض المسائل التى لا تتجاوز العشرين مسألة حيث يفتى فيها بالقول القديم.

أدب الشافعى مع مخالفى مذهبه و عدم تعصبه:

أدب الشافعى مع مخالفى مذهبه و عدم تعصبه: الشافعى رضى اللّه عنه إن وجد نفسه يخالف فى بعض آرائه الإمام مالك، لم يكن يعرّض لذلك و لم يكن يناقشه و لم يكن يتحدث حتى لا يضع نفسه من أستاذه موضع المناقش أو الرّاد على رأيه و لكن فى الوقت نفسه يخالف بأدب. إلى أن بلغه أنّ فى المغرب أناسا وصل بهم التقديس الأعمى للإمام مالك. فصاغ الشافعى هنا فى هذا الوقت المتأخر من حياته "خلاف مالك "أى "خلافياتى مع مالك "و قال إنّ الإمام مالك بشر يصيب و يخطأ و هو أى الشافعى بشر يصيب و يخطأ و بدأ يناقش مسائل يرى خلافا فيها مع مالك. و فى كثير من الأحيان ذهب كثير من الأئمة العظام ضحية عصبية تلامذتهم و هذا فى التاريخ كثير. قد يكون الإمام عظيما لكن له تلامذة يتعصبون و يتشنّجون. من هنا كان الشافعى ينادى مرارا و تكرارا: (إذا صح الحديث فهو مذهبى) يعنى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۷۵ إن صح حديث لم أكن قد سمعت به و أفتيت بخلافه و وصل إليكم و فقهتم المعنى فإنّ هذا هو مذهبى. إذا هذا القول ليس موجها إلى عامة الناس و إنما هو موجّه إلى فقهاء مذهبه و تلامذته و أصحابه.

يعنى مثلا- قد يأتى من يعترض و بالفعل فقد أتى فى هذا الزمن كثير من اعترض على الشافعى، يقول مثلا إن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم قال فى الحديث الصحيح ":من لحم جزور فليتوضأ، "و الشافعى يقول إذا صح الحديث فهو مذهبى. نقول ليس مطلق حديث وقع عليه إنسان يستطيع أن يطبق عليه مقولة الشافعى إذ ينبغى أولا- أن يكون من أهل النظر و الاجتهاد، ثانيا أن يرى هل اطّلع على هذا الحديث الشافعى أو أصحابه أو فقهاء المذهب من بعد و كيف فسروه؟ و لقد رد الشافعية على هذا الحديث فقالوا هذه واقعة حال و الواقعة أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم كان جالسا مع بعض أصحابه و قد أكلوا لحم جزور و خرجت رائحة كريهة من أحد الحاضرين ثم حان وقت الصلاة و من البديهى أنّ الذى سيذهب للوضوء سيعلم حاله، فرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم الأديب الرفيع الذوق قال رفعا للحرج عن هذا الصحابى: من أكل لحم جزور فليتوضأ. هذه واقعة حال و وقائع الأحوال لا تصلح للاستدلال. ثم لو صح أنّ لحم الجزور ينقض الوضوء، فمن المعلوم أنّ أهل مكة و المدينة لا- يأكلون فى ذلك الوقت من اللحوم إلا لحم الإبل و لو صح أنه ينقض الوضوء لعلم ذلك و شاع و لكن لم ينقل إلا عن هذا الصحابى و فى هذه الحالة ... و كان الشافعى يدعو إلى عدم التعصب فى أمر من الأمور لأن الشيطان دائما يتربص بالمسلمين على الأطراف التى تشكل الإفراط أو التفريط فكلما ابتعد الإنسان عن القصد فى الطريق تخطّفه الشيطان و إنه لا- يستطيع أن يتخطّفه إلا- إذا خرج عن الجادة الوسطى كما قال تعالى ":أَنَّ هذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَ لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ."

علم أصول الفقه و تعريفه:

علم أصول الفقه و تعريفه: علم أصول الفقه إجمالا هو الميزان العربى الذى تزان به فهوم الفقهاء بنصوص الكتاب و السنّة. و هذا العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام: - قسم يسمى ":الدلالات. - "قسم يسمى ":البيان. - "قسم يسمى ":صفات المجتهد و كيفية الاجتهاد." فقسم الدلالات عبارة عن كيف يفهم العربى الكلام العربى، مثلا نقول الأمر الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۷۶ (افعل، اقرأ، اكتب) يدل على الوجوب و النهى يدل على طلب الترك الجازم و يدل على الحرمة. اللفظ يدل بمعناه الإيجابى دلالة منطوق و يدل بمعناه السلبى دلالة مفهوم مخالف. هذه كلها دلالات و الكلمة تتفاوت حسب قوة الدلالات على المعنى عبر سلم من الدرجات. فأقوى دلالة على المعنى اسمها "النص، "فى الدرجة الثانية يأتى ما يسمى "بالظاهر، "و فى الدرجة الثالثة "المجمل، "و فى الرابعة "المتشابه. "النص كيف يفهم و الظاهر كيف يؤوّل ... هذا خلاصة قسم الدلالات. القسم الثانى و هو قسم "البيان "أى كيف يأتى نص فى القرآن الكريم بيانا لنص آخر، و كيف يأتى نص من القرآن بيانا لحديث من السنّة، و كيف يأتى حديث من السنة بيانا لنص من القرآن أى شرحا له. كثيرا ما يأتى نص من القرآن عاما محتملا فيأتى نص آخر واضح وضع النقاط فيه على الحروف فيفسر هذا النص الذى يسمى الخاص على العام عن طريق ما يسمى بالتخصيص أو التقييد أو التأويل أو النسخ، و هذا خلاصة القسم الثانى. أما القسم الثالث و هو "الاجتهاد: "ما الاجتهاد؟ و بأى الأحكام نجتهد؟ القاعدة تقول أنه لا اجتهاد فى معرض النص و إذا لم يكن هناك نص و لكن هناك إجماع أيضا لا اجتهاد. و إذا كان الاجتهاد واردا فما هى شروطه يا ترى؟ و ما هى شروط المجتهد أى ما هى الشروط التى ينبغى أن تتوفر فيه من علم و دراية و ذوق و فقه و ما إلى ذلك حتى يستطيع أن يجتهد؟ كل هذه الأسئلة تكمن إجابتها فى هذا القسم. هل هناك خلاف فى أصول الفقه بين العلماء؟ الحقيقة أنّ هناك خلاف بين الأئمة فى بعض الفروع أما فى أصول الفقه فالخلاف قليل جدا جدا. الإمام الشافعى عند ما دوّن هذا العلم وافقه العلماء الذين كانوا فى عصره، فكل من المالكية و الحنابلة و الشافعية طبّقوا هذه القواعد التى دوّنها الشافعى، لذلك لا يوجد عندنا كتب أصول فقه للمالكية و الحنابلة، فقط الحنفية هم الذين خالفوا الشافعى فى مسائل فى أصول الفقه. لذلك عند ما ندرس أى كتاب فى أصول الفقه نجد أنّ هذه الأصول تأخذ أحد طرفين طريقة الأئمة الثلاثة مالك و الشافعى و أحمد و تسمى طريقة المتكلمين و طريقة الحنفية. ملاحظة: هنا قد يرد إشكال ألا و هو إن

كـان الإمـام الشـافعى هو الـذى وضع قواعـد أصول الفقه بمعنى أنّ الفقه الـذى تفرّع من هـذه الأـصول يمكن أن نعتـبره فقهـا وضـعه الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۷۷ الشافعى و بالتالى لا تثبت البيّنـة على أنّ الفقه هو حكم اللّه عز و جل و شـرعه المنزل، هـذا من جهة و من جهـة أخرى هناك إشـكال آخر أثاره بعض المستشـرقين يقول فيه: من أين جاء الإمام الشافعى بقواعـد أصول الفقه؟ لعله ابتدعها من عنـده!. الجواب: إنّ هنالك فرقا دقيقا و لكن هاما جـدا بين قولنا إنّ الإمام الشافعى وضع علم أصول الفقه و بين قولنا إنه دوّن علم أصول الفقه. الشافعى لم يخترع و لا قاعـدة واحـدة من قواعـد علم أصول الفقه إطلاقا و إنما بحكم أنّ الشافعى حجـة و إماما فى اللغة عكف على أساليب العرب و كيفيـة فهمهم للكلام و المعانى التى تسـتخلص من العبارات فاسـتخرج من قواعـد العرب و اصـطلاحات اللغـة العربيـة فى الفهم و النطق اسـتخرج من ذلـك قواعـد دوّنهـا و لفت إليهـا أنظـار الفقهاء و المحـدّثين. و لكى نقرب الصورة أكثر نضـرب المثال التالى: إنّ أول من دوّن علم اللغـة العربيـة هو أبو الأسود الـدؤلى، فهل لأحـد أن يقول إذا أن أبو الأسود الدؤلى اخترع اللغـة العربيـة؟!!! فأبو الأسود الـدؤلى إذا كان وضع قواعدها فهذا لا يعنى أنه اخترعها. نحن جميعا نعلم أنّ اللغة العربية كانت موجودة من قبـل أبى الأـسود بكثير و أنّ الناس كانوا يرفعون الفاعل و ينصـبون المفعول به و يجرّون المضاف إليه و ما إلى ذلك قبل الـدؤلى بقرون و لكن الـذى حصـل أنّ أبـا الأـسود عمـد بعبقريته الفـذة إلى النطق العربى و تتبعه فوجـد أنّ العرب دائما ترفع الفاعل و ما إلى ذلك، فقعّـد له قوانين و قواعـد حتى يسـتطيع من لا يجيد العربية بالسـليقة أن ينطق النطق السـليم. و الكلام نفسه يطبّق على الشافعى و علم أصول الفقه، فالشافعى مثلا وجـد أنّ العرب إذا سـمعوا جملة ما، تدرك لها معناها الإيجابى و تأخذ بالاعتبار معناها السـلبى. مثال على ذلـك، عنـد ما تسـمع العرب حـديث "مطل الغنى ظلم ("أى إذا كان المـدين مليئا غنيا و ماطل فى دفع الـدّين المترتب عليه فهو ظـالم) العرب قبـل الفقهـاء فهموا من هـذا الكلاـم أنّ مطـل الفقير ليس بظلم و هـذا ما سـماه الشافعى "المفهوم المخالف. "إذا هو لم يخترع هذا و إنما تتبع لغة العرب و قعّدها.

منهج الشافعى العلمى:

منهـج الشافعى العلمى: أخذ الشافعى بالمصالح المرسـلة و الاستصـلاح و لكن لم يسـمها بهذا الاسم و أدخلها ضـمن القياس و شـرحه شرحـا موسـعا. و كـذلك كان الشافعى يأخـذ بالعرف مثل مالك و لكن كل لدرجـة ما. يروى إنه فى أحـد الأيام، فى مجلس مالك، كان فيه الشافعى، جاء رجل يسـتفتى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۷۸ مالكـا، يقول أنه ابتاع طائرا من رجل أقسم البائع باللّه تعالى و فى رواية بالطلاق أنّ طائره هذا لا يفتأ عن التغريد. فلما أخذه الشارى وجده يغرد حينا و يسـكت حينا، فسأل مالكا فقال له: لك حق خيار العيب (أى أنه لك الحق فى رده بسـبب عيب فيه) و قـد حنث فى يمينه أو على الرواية الأخرى وقع الطلاق. و كان الشافعى جالسا فى ذلك المجلس و لكنه لم يتكلم أدبا مع شـيخه مالك. فلما ذهب الرجل لحق به و سأله: طائرك يغرد فى اليوم أكثر أو يسـكت أكثر؟ قال الرجل: بل التغريـد أكثر، فقال له الشافعى: إذا البيع صـحيح و ليس لك خيار العيب و لم يحنث و فى تلك الرواية لم يقع الطلاق. فجاء الرجل إلى مالك، فلما ناقشه الشافعى قال له: يا سيدى، الألفاظ التى ننطق بها إنما نضعها فى ميزان العرف الشرعى إن وجد (مثل الطلاق و العتق ...)، لكن إن فقـد العرف الشـرعى عندئذ نشـرحه بالعرف اللغوى الدراج بين الناس فإن فقد العرف اللغوى الدارج بين النـاس نعود إلى اللغـة العربيـة فى جـذورها و أمهاتها. و نحن نعود فى هـذا إلى كلام رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم فقـد روينا عن المصـطفى عليه الصلاة و السلام أنّ امرأة جاءت تستشيره فى رجلين قد خطباها فأيهما تتزوج، فقال لها النبى صلّى اللّه عليه و سلّم: أما فلان فلا يضع العصا عن عاتقه و أما فلان فصعلوك (أى لا يليق بك من حيث المستوى الاجتماعى و غيره). قال الشافعى: فقوله صلّى اللّه عليه و سلّم لا يضع العصا عن عاتقه كناية عن كثرة السفر و قد علمت أنه يصلى فيضع العصا عن عاتقه و يأكل و يضعها عن عاتقه و ينـام و يغتسـل و فى كـل ذلك يضع العصا عن عاتقه و رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم صادق فيما يقول، إذا هـذه الكلمـة سارت

مسار العرف الدراج و هنا (أى فى مسألة الطائر) عرف فى السوق لو قال البائع هذا الطائر لا يفتأ عن التغريد يعنى أنّ أكثر أوقاته التغريد. و كان الشافعى يتمسك بالأحاديث الصحيحة و يعرض عن الأخبار الواهية و الموضوعة. و اعتنى بذلك عناية فائقة. و قال الشافعى ذاكرا فضل اللّه تعالى عليه: ما كذبت قط و ما حلفت قط باللّه تعالى صادقا و لا كاذبا. قال أبو زرعة: ما عند الشافعى حديث فيه غلط. و قد وضع الشافعى فى فن مصطلح الحديث مصطلحات كثيرة، لم يسبق إليها مثل: الاتصال و الشاذ و الثقة و الفرق بين حدّثنا و أخبرنا ... الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۷۹

من عباداته و نوافله:

من عباداته و نوافله: كان يقسم ليله إلى ثلاثة أجزاء: ثلث ينام و ثلث يكتب و ثلث يصلى. و كان يختم القرآن فى كل شهر ثلاثين مرة و فى رمضان ستين ختمة. و من نوافل الشافعى كثرة صلاته على النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و كان يحضّ على ذلك أصحابه و تلاميذه و من يحضره. و كان أسخى الناس على الدينار و الدرهم و الطعام لا يدخل على مكة حتى يتصدّق بما معه.

مرضه و وفاته:

مرضه و وفاته: كان الشافعى من الأئمة العاملين فرابط فترة فى مصر فى الثغور و هى المواضع التى يخشى هجوم العدو منها على بلد مسلم. و فى آخر حياته ظهرت عليه علة البواسير و كان يظن أنّ هذه العلة إنما نشأت بسبب استعماله اللّبان- و كان يستعمله للحفظ- و بسبب هذه العلة ما انقطع عنه النزيف و ربما ركب فسال الدم من عقبيه. و كان لا يبرح الطست تحته و فيه لبدة محشوة، و ما لقى أحد من السقم ما لقى. و العجيب فى الأمر بل يكاد يكون معجزا أن تكون هذه حال الشافعى و يترك فى مدة أربعة سنوات كلها سقم من اجتهاده الجديد ما يملأ آلاف الورق مع مواصلة الدروس و الأبحاث و المناظرات و المطالعات فى الليل و النهار، و كأنّ هذا الدأب و النشاط فى العلم هو دواؤه الوحيد الشافى!. و ألحّ على الشافعى المرض و أذابه السقم و وقف الموت ببابه ينتظر انتهاء الأجل. و فى هذه الحال، عند آخر عهده بالدنيا و أول عهده بالآخرة، دخل عليه تلميذه المزنى فقال: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلا و للإخوان مفارقا و لكأس المنيّة شاربا و على اللّه جلّ ذكره واردا و لا و اللّه ما أدرى روحى تصير إلى الجنة فأهنّئها أو إلى النار فأعزّيها! ثم بكى و أنشأ يقول: و لما قسى قلبى و ضاقت مذاهبى جعلت الرّجا منى لعفوك سلّما تعاظمنى ذنبى فلما قرنته بعفوك ربى كان عفوك أعظما و ما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود و تعفو منّة و تكرّما و دفن الشافعى رحمة اللّه تعالى عليه فى القاهرة فى أول شعبان، يوم الجمعة سنة ۲۰۴ هجرى. مات و كان له ولدان ذكران و بنت و كان قد تزوج من امرأة واحدة ...

من وصاياه و أقواله:

من وصاياه و أقواله: له رحمه اللّه تعالى و رضى عنه أقوال مهمة، منها: - ما تقرّب إلى اللّه عز و جل بعد أداء الفرائض بأفضل من طلب العلم. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۸۰ - طلب العلم أفضل من صلاة النافلة. - من ضحك منه فى مسألة لم ينسها أبدا. - من حضر مجلس العلم بلا محبرة و ورق كان كمن حضر الطاحون بغير قمح. - ما ناظرت أحدا قط إلا أحببت أن يوفّق أو يسدد أو يعان و يكون له رعاية من اللّه تعالى و حفظ، و ما ناظرت أحدا إلا و لم أبال بيّن اللّه تعالى الحق على لسانى أو لسانه. نحن كلما رأينا سيرة إمام قلنا و اللّه هذا أحق بالاتّباع و كلما سمعنا دليله قلنا و اللّه هذا لهو الدليل المقنع! نعم كلهم أحق بالاتّباع و كلهم عندهم أدلّتهم

المقنعة فلذلك و رحمة من اللّه تعالى بنا جاز لنا أن نتبع من شئنا منهم و الحمد للّه رب العالمين.

۴- ترجمة الإمام أحمد بن حنبل رضى اللّه عنه

اشارة

۴- ترجمة الإمام أحمد بن حنبل رضى اللّه عنه الإمام أحمد بن حنبل رجل النصف الأول من القرن الثالث، فليس من أحد فى عصره بلغ من الشهرة و الثقة و الاعتقاد ما بلغه، ذلك أنه كان رحمه اللّه إماما فى الورع، إماما فى الزهد، إماما فى التفقه، إماما فى طريقته الفقهية، إمام أئمة الحديث فى عصره و إماما فى الثبات و الصبر.

مولده و نسبه:

مولده و نسبه: ولد الإمام أحمد بالاتفاق فى عام ۱۶۴ هجرى فى بغداد و توفى عام ۲۴۱ فكان عمره عند ما مات الشافعى أربعين عاما، و كان الشافعى يكبره بأربعة عشر عام. و هو عربى الأصل من قبيلة شيبان لم تخالط العجمة نسبه قط و يلتقى نسبه مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم عند نزار بن معد. توفى والده و هو صغير و تولت أمه تربيته و كانت رعاية والدته له أشبه ما تكون برعاية والدة الشافعى. و كانت والدته فقيرة و كانت شابة حسناء جميلة فتقدم لخطبتها و الزواج منها عدد كبير من الراغبين لكنها رفضت و امتنعت و فضلت أن تعيش لولدها و نذرت نفسها له، و هذا الأمر أنشأ فى نفس أحمد برا بأمه ... و لم يتزوج حتى ماتت لكى لا يدخل على الدار سيدة أخرى تنازع أمه السيادة و كان قد بلغ الثلاثين.

طلبه للعلم:

طلبه للعلم: كسائر أترابه تعلم القرآن فى صغره و تلاه تلاوة جيدة و حفظه عن ظهر قلب. و عند ما تجاوز الخامسة عشرة من عمره، بدأ يطلب العلم، و أول من طلب العلم عليه هو الإمام أبو يوسف القاضى. و الإمام أبو يوسف كما هو معلوم من أئمة الرأى مع الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۸۱ كونه محدّثا و لكن فى البداية و بعد مرور فترة لأحمد مع أبى يوسف وجد الإمام أحمد أنه يرتاح لطلب الحديث أكثر. فتحول إلى مجالس الحديث و أعجبه هذا النهج و اتفق مع صلاحه و ورعه و تقواه و أخذ يجول و يرحل فى سبيل الحديث حتى ذهب إلى الشامات و السواحل و المغرب و الجزائر و مكة و المدينة و الحجاز و اليمن و العراق و فارس و خرسان و الجبال و الأطراف و الثغور و هذا فقط فى مرحلته الأولى من حياته. و لقد التقى الشافعى فى أول رحلة من رحلاته الحجازية فى الحرم، و أعجب به و كنا قد ذكرنا أن الإمام أحمد بقى أربعين سنة ما بات ليلة إلا و يدعو فيها للشافعى. و كان يقول عند ما يروى حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: إنّ اللّه يبعث على رأس كل أمّة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها. و كان يقول: لقد أرسل اللّه تعالى سيدنا عمر بن عبد العزيز يجدد لهذه الأمة دينها على رأس المائة الثانية و آمل أن يكون الشافعى على رأس المائة الثالثة. و قد حيل بين أحمد و مالك ابن أنس فلم يوفّق للقائه و كان يقول: لقد حرمت لقاء مالك فعوّضنى اللّه عز و جل عنه سفيان بن عيينة. (لاحظوا مدى تعظيم الأئمة لبعضهم البعض، بينما الجماعات فى عصرنا لا همّ لهم إلا تسفيه العلماء و منهم من يتعصب لمذهبه فيسفه باقى الأئمة حتى يرفع من شأن إمامه) و الشافعى كان يكثر من زيارة الإمام أحمد، فلما سئل عن ذلك أنشد قائلا: قالوا يزورك أحمد و

تزوره قلت الفضائل لا تبارح منزله إن زارنی فبفضله أو زرته فلفضله فالفضل فی الحالین له قصته و یحیی بن معین مع عبد الرزاق: ارتحل یوما الإمام أحمد من العراق هو و یحیی بن معین قاصدا المحدث الکبیر عبد الرزاق فی الیمن لطلب الحدیث منه. فلما و صلا مکهٔ و أخذا یطوفان حول البیت، فإذا بهما یریان الإمام عبد الرزاق فقال یحیی بن معین لأحمد تعال نسأله أن یحدثنا بدلا من أن نلحق به إلی الیمن فقال الإمام أحمد ": خرجت من بغداد و أنا قاصد أن أرحل إلی دار عبد الرزاق بن الهمام الیمنی صاحب المصنف فی الیمن من أجل مزید من المثوبهٔ و الأجر فلن أفسد هذه النیهٔ. "حاول عبد الرزاق أن یصل أحمد ببعض المال و هو فی دیار الغربهٔ فرفض و صمم أن یکسب عیشه و عمل نساخا. و کان أشد ما أتعب الإمام أحمد و أرهقه من العلماء هو عبد اللّه بن المبارک الذی

الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۸۲ ظل أحمد یسعی وراءه هنا و هناک لیلقاه و لکن من غیر جدوی. و کان ابن المبارک فقیها محدّثا واسع العلم و واسع الغنی و کان من أزهد الناس. و تعلّم أحمد من ابن المبارک حقیقهٔ الزهد و کان یطعم الفالوذج و یأکل الخبز و إذا اشتهی طعاما طیبا لم یأکله إلا مع ضیف و یقول: بلغنا أنّ طعام الضیف لا حساب علیه. و قیل له قلّ مالک فقلّل من صلهٔ الناس فقال: إن کان المال قلّ فإنّ العمر قد نفد. و أصبح یعتبره أحمد أستاذه فی الحدیث و السلوک. و حاول أن یصله مثل عبد الرزاق و لکن أبی أحمد و قال: أنا ألزمک لفقهک و علمک لا لمالک. و تلقی الحدیث عن هشیم بن بشیر و استفاد منه أکثر ما استفاد من غیره و تعلم منه الهمهٔ العالیهٔ فی الحدیث. و تلقی الفقه و أصوله عن الشافعی.

حجهٔ بیت اللّه الحرام:

حجهٔ بیت اللّه الحرام: حج الإمام أحمد خمس مرات إلی بیت اللّه، حج منها ثلاث مرات ماشیا راجلا و ذلک لأنه کان قلیل المال و لکن ما منعه ذلک عن الحج.

ورعه و تقواه و تعففه:

ورعه و تقواه و تعففه: من عظیم ما عرف به الإمام أحمد هو تعففه و له فی ذلک قصص رائعهٔ، فقد کان یسترزق بأدنی عمل و کان یرفض أن یأخذ من صدیق و لا شیخ و لا حاکم قرضا أو هبهٔ أو إرثا لأحد یؤثره به. و قد یقبل هدیهٔ و لکنه یعجل فی إعطاء من أهداه هدیهٔ مثلها أو خیرا منها، رافعا بذلک شأن العلم و العلماء. و لقد أجمعت الأمّهٔ علی صلاحه و کان مضرب مثل فی الصلاح و التقوی حتی أنّ بعض العلماء قال: لو أنّ أحدا قال إنّ الإمام أحمد هو من أهل الجنهٔ لم یحنث و لم یتألی علی اللّه تعالی، و دلیلهم علی ذلک إجماع أهل العراق و الشام و غیرهم علی هذا الأمر و الإجماع حجهٔ. تنبیه: إجماع الأمهٔ علی هذا الأمر إنما کان بعد مماته.

منهجه العلمی و مییزات فقهه:

منهجه العلمی و مییزات فقهه: اشتهر الإمام أنه محدّث أکثر من أن یشتهر أنه فقیه مع أنه کان إماما فی کلیهما. و من شدهٔ ورعه ما کان یأخذ من القیاس إلا الواضح و عند الضرورهٔ فقط و ذلک لأنه کان محدّث عصره و قد جمع له من الأحادیث ما لم یجتمع لغیره، فقد کتب مسنده من أصل سبعمائهٔ و خمسین ألف حدیث، و کان لا یکتب إلا القرآن و الحدیث من هنا عرف فقه الإمام أحمد بأنه الفقه بالمأثور، فکان لا یفتی فی مسألهٔ إلا إن وجد لها من أفتی بها من قبل صحابیا کان أو تابعیا أو إماما. و إذا وجد للصحابهٔ قولین أو أکثر، اختار واحدا من هذه الأقوال و قد لا یترجّح عنده قول صحابی علی الآخر فیکون للإمام أحمد فی هذه المسألهٔ قولین.

الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۸۳ و هکذا فقد تمیز فقهه أنه فی العبادات لا یخرج عن الأثر قید شعرة، فلیس من المعقول عنده أن یعبد أحد ربه بالقیاس أو بالرأی و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم یقول ":صلوا کما رأیتمونی أصلی، "و یقول فی الحج ":خذوا عنی مناسککم. "کان الإمام أحمد شدید الورع فیما یتعلق بالعبادات التی یعتبرها حق للّه علی عباده و هذا الحق لا یجوز مطلقا أن یتساهل أو یتهاون فیه. أما فی المعاملات فیتمیز فقهه بالسهولة و المرونة و الصلاح لکل بیئة و عصر، فقد تمسّک أحمد بنصوص الشرع التی غلب علیها التیسیر لا التعسیر. مثال ذلک ":الأصل فی العقود عنده الإباحة ما لم یعارضها نص، "بینما عند بعض الأئمة الأصل فی العقود الحظر ما لم یرد علی إباحتها نص ... و کان شدید الورع فی الفتاوی و کان ینهی تلامذته أن یکتبوا عنه الأحادیث فإذا رأی أحدا یکتب عنه الفتاوی، نهاه و قال له ":لعلی أطلع فیما بعد علی ما لم أطلع علیه من المعلوم فأغیر فتوای فأین أجدک لأخبرک؟ ... و لما علم اللّه تعالی صدق نیته و قصده قیّض له تلامذة من بعده یکتبون فتاویه و قد کتبوا عنه أکثر من ستین ألف مسألة. و لقد أخذ بمبدإ الاستصحاب کما أخذ بالأحادیث المرسلة.

رفضه للفتوی فی أول حیاته:

رفضه للفتوی فی أول حیاته: مع انتشار علمه فی الآفاق، لم یفت و قد أصرّ الناس علیه بالفتوی فلم یفت إلا بعد أن بلغ الأربعین من عمره و ذلک لأسباب: ۱- تقلید النبی صلّی اللّه علیه و سلّم و هو فی هذا کعبد اللّه بن عمر رضی اللّه عنهما. ۲- کان یعتبر الفقه أو مجلس الفتیا مجلس الوراثة النبویة. ۳- کیف یفتی و الشافعی شیخه و إمامه و هو لا یزال علی قید الحیاة.

شدة حرصه و أسلوبه فی التدریس:

شدة حرصه و أسلوبه فی التدریس: و مع أنه أوتی حافظة لم یؤتها أحد فی عصره إلا نادرا، کان یحمل کتبه أی کتب الحدیث و یأتی بها إلی المجلس و یوصی تلامذته أن لا یحدّثوا إلا من کتاب. و کان إذا جلس فی الدرس یسود مجلسه الوقار و السکینة کأنما علی رءوسهم الطیر، و کانت هذه السکینة تظلل مجالسه کلها إلی جانب تواضعه العظیم. و أی مجلس جلس فیه الإمام أحمد سواء کان معلما أو متعلما ساده السکینة و الوقار، کان هذا الطبع منه یهیمن علی الشیوخ الذین کان یأخذ عنهم، و ذلک بسبب احترامه و تقدیره و الشخصیة العظیمة التی کان یتمتع بها. یروی عن أستاذه یزید بن الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۸۴ هارون أنه مدح بمناسبة ما فتنحنح أحمد، فوضع یزید یده علی جبینه و قال: أ لا أخبرتمونی أنّ أحمدا هنا. و کان کثیر التواضع هیّنا طریا و لکن کان الواحد إذا نظر إلیه تذکر اللّه تعالی. لقد ألبسه اللّه عز و جل ملابس هیبته فقام مستعزا بعزة اللّه تعالی. و کان بعیدا جدا عن الخوض فی الفلسفة و ذلک أنّ الفلسفة فی عصره کانت فی بدایتها، ثم طبق العلماء قاعدة: خذ الحکمة و لا تبالی من أی وعاء خرجت. و کان الإمام أحمد یعیش بعیدا عن أمور الفلسفة و شغل نفسه بالأحادیث و آثار الصحابة، حتی أنّ من ترجم له قال: إنّ الإمام أحمد من طبقة الصحابة معنویا و إن جاء متأخرا إلا أنه فی طبعه و سلوکه و عقیدته و حیاته العامة أشبه ما یکون بالصحابة. و قال بعض العلماء لو کان الإمام أحمد فی عصر بنی إسرائیل لاحتمل أن یکون نبیا!. سئل الشافعی عمن یصلح للقضاء فأشار إلی أحمد الذی قال ":أنا أجلس فی مجلسک لکی یزید فیّ العلم زهدا فی الدنیا و أنت تطلبنی للقضاء. "!!!؟و لقد کان عاملا بأحادیث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و هو الذی یروی: کل معروف صدقة و من المعروف أن تلقی أخاک بوجه طلق ... فطبّق هذا الحدیث علی نفسه، فکان لا یلقی الناس إلا مبتسما و یقدمهم علیه إذا مشوا فی الطریق أو دخلوا مکانا أو اصطفوا لصلاة الجماعة. و کان إذا قرأ القرآن أو صلی و دخل علیه أحد سکت علی الفور و إذا خرج من عنده عاد لصلاته و قراءته و ذلک خشیة الریاء. و کان مستجاب الدعوة. و من الجدیر بالذکر أنّ الشافعی

قبل وفاته كان قد أرسل برسالة مع الربيع إلى الإمام أحمد قبل وفاته جاء فيها: لقد رأيت النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى المنام فى الرؤيا و قال لى أبلغ أحمد بن حنبل عنى السلام و قل له إنه مدعو إلى محنة و فتنة سيدعى فيها إلى القول بخلق القرآن و سيثبت على الحق و إنّ اللّه تعالى سيرفع له علما بذلك إلى قيام الساعة. و أعطى الإمام أحمد قميصه الذى يلى جسده للربيع على هذه البشرى فقال له الشافعى: لن أطالبك بالقميص (رحمة به و لعلمه أن الربيع لا يؤثر على بركة قميص الإمام أحمد أحدا) و لكن بله بالماء ثم أعطنى الماء حتى أتبرّك به.

محنته العظيمة:

محنته العظيمة: عاش الإمام أحمد فى عصر المأمون ثم المعتصم ثم الواثق ثم المتوكل. فى هذه العصور، كانت صولة المعتزلة و جولتهم فى أعلى ذروتها لا سيما فى عصر المأمون. و كان المأمون تلميذا لأبى هذيل العلاف من رؤساء المعتزلة، فافتتن بالفلسفة الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۸۵ اليونانية. و استغل هذه الصلة أحمد بن أبى ذؤاد المعتزلى المتعصب و راح يكلم المأمون و يتودد إليه حتى عيّنه وزيرا خاصا له و مستشارا. الإمام أحمد كما سبق و ذكرنا، كان بعيدا عن الفلسفة و عن الاعتزال و فى هذه الأثناء قال المعتزلة بخلق القرآن أى أنّ القرآن حادث مخلوق و ليس كلام اللّه الأزلى القديم و تبنى المأمون هذا القول. و فى عام ۲۱۸ ه أرسل كتابا إلى نائبه فى بغداد و هو إسحاق بن إبراهيم يوضح فيه هذا القول مدعوما بالحجة العلمية المفصلة على زعمهم. و الواضح أنّ هذا لم يكن من كلام المأمون و لكن من كلام وزيره خاصة و المعتزلة عامة. و أمر المأمون إسحاق أن يجمع كل العلماء و يقنعهم بأنّ القرآن مخلوق و أمره أن يقطع رزق و جراية كل من لم يقتنع بهذا. امتثل إسحاق بادئ ذى بدء لهذا الأمر فجمع كل العلماء من أهل السنّة و هددهم بقطع أرزاقهم و منع الجراية عنهم إن هم لم يقتنعوا، و أرسل إلى المأمون بأجوبة هؤلاء التى تتضمن رفض هذا القول. فأرسل المأمون ثانية أمرا بقطع أرزاق من لم يقتنع و إرساله إليه مقيدا بالأغلال تحت تهديد القتل. و كان الإمام أحمد من بين الثلة التى رفضت أن تقتنع و لم تتراجع، فقيّدوا جميعا بالأغلال و ذهب بهم إلى طرطوس. و فى الطريق تراجع البعض خوفا و مات البعض الآخر و لم يبق إلا أحمد الذى جاءه خادم المأمون و قال له: إنّ المأمون أقسم على قتلك إن لم تجبه. و لكن أحمد رفض التراجع عن الحق و بينما هو فى الطريق لا- يفصله عن المأمون إلا- ساعات من السّير، إذ جثى على ركبتيه و رمق بطرفه إلى السماء و دعا بهذه الكلمات: سيدى غرّ حلمك هذا الفاجر حتى تجرّأ على أوليائك بالضرب و القتل، اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فألقنا مؤنته. توفى المأمون قبل أن يصل أحمد إلى طرطوس فأعيد الإمام أحمد و أودع السجن ريثما تستقر الأمور. و جاء بعد ذلك المعتصم و لكن المأمون كان قبيل موته قد أوصى أخاه أن يقرّب ابن أبى ذؤاد المعتزلى منه. لذلك لما استقر الأمر للمعتصم استدعى الإمام أحمد و هو مثقل بالحديد و كان عنده ثلة من المعتزلة على رأسهم ابن أبى ذؤاد الذى كان يضمر كيدا شديدا لأحمد، و سأله: ما تقول فى خلق القرآن؟ قال: أقول إنه كلام اللّه. قال: أ قديم أم حادث؟ قال: ما تقول فى علم اللّه؟ فسكت أبو ذؤاد. قال أحمد: القرآن من علم اللّه و من قال إنّ علم اللّه حادث فقد كفر! و طلب المعتصم أن يناقشوه و كاد أن يقتنع بقول أحمد و لكن قال له المعتزلة و ابن أبى ذؤاد إنه لضال مبتدع. عرض المعتصم على الإمام أحمد أن يرجع عما يقول مغريا الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۸۶ إياه بالمال و العطايا و لكن الإمام أحمد قال له: أرنى شيئا من كتاب اللّه أعتمد عليه (أى أعطنى دليلا على ما تزعم من كتاب اللّه تعالى). و حذّر المعتزلة المعتصم إن هو أطلق سراحه أن يقال إنّ هذا الرجل تغلب على خليفتين اثنين فسيق أحمد إلى الضرب و التعذيب. و كان يضرب ضربا مبرحا حتى يغشى عليه ثم يأتون به فى اليوم المقبل. و برغم ذلك أقبل أحمد على الناس فى السجن يعلّمهم و يهديهم. أمر ابن أبى ذؤاد بنقله إلى سجن خاص حيث ضاعفوا له القيود و الأغلال و أقاموا عليه سجانين غلاظ شداد، و كم سالت دماؤه الزكية و كم أهين و هو رغم هذا كله يرفض أن يذعن لغير قول الحق و لو كلفه ذلك حياته. و بعد مرور عامين و نصف

على هـذه المعاناة و هـذه المحنـة، أوشـكت الثورة أن تشـتعل فى بغـداد نقمة على الخليفة المعتصم و ابن أبى ذؤاد، فقد وقف الفقهاء على باب المعتصم يصـرخون: أ يضـرب سـيدنا! أ يضـرب سيدنا! أ يضرب سيدنا! فلم يجد المعتصم بدا من إطلاق سراحه و أعيد إلى بيته يعالج جراحه. و لما سئل عن المعتصم دعا له بالرحمة و أن يعفو اللّه تعالى عنه و قال إنه يستحى أن يأتى يوم القيامة و له حق على أحدا!. ثم تولى الواثق الحكم و حاول ابن أبى ذؤاد إقناعه بموضوع خلق القرآن و لكن خشـى الفتنة. أما المتوكل فكان من أهل السّنّة و حاول أن يكرم الإمام أحمـد و أن يصـله و لكنه رفض شاكرا و لقـد نـدم المعتصم على ما وقع منه و كان يرسل كل يوم من يطمئن على حاله، بينما ابتلى ابن أبى ذؤاد بالفالـج الذى أقعده أربع سـنوات و استرد منه المتوكل كل أمواله التى تعدّ بالملايين. و كان الإمام أحمد يصلى من الليل قبل ضربه ۳۰۰ ركعة و بعد مرضه الشديد صار يصلى ۱۵۰ ركعة.

موقفه من الحكم و الدولة:

موقفه من الحكم و الدولة: كان بإمكان الإمام أحمد أن يفتى الناس بكفر الخليفة أثناء حكم المأمون أو المعتصم و كيف يفعل ذلك و هو يراقب اللّه تعالى فى كل لحظة، فكان يقول أنه لا يجوز الخروج على إمام المسلمين برا كان أو فاجرا ما دام مسلما و هذا هو قول الجمهور و باقى الأئمة.

مسند الإمام أحمد:

مسـند الإمام أحمد: بدأ بجمع مسـنده منذ أن كان عمره سـتة عشر سنة، فسجل الأحاديث بأسانيدها، فى أوراق منثورة و ظل على هذه الحال إلى أن قارب الوفاة. و لما شـعر بـدنو أجله بـدأ يجمعها و يحـذف منها ... و أملى هذه الأحاديث كلها على أولاده و أهل بيته و أنبـأهم بالعمل الـذى قام به و لعله أوصـى ابنه عبـد اللّه أن ينهض بجمع هـذه الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۸۷ الأحاديث و تنسـيقها من بعـده فجمعها عبد اللّه بطريق السـند و هذا الأسـلوب يعتبر صـعبا جدا و هو أن يرتب الأحاديث حسب درجة رواتها من الصـحابة فيبدأ بالأحاديث المروية عن أبى بكر ثم عن عمر ثم هكذا. و كانت طريقة الإمام أحمد فى انتقاء الأحاديث أنها إن كانت تتعلق بأحكام أو عقيدة كان لا بد من اشتراط الصـحة فيها، أما إن كانت تتعلق بفضائل الأعمال و لها ما يؤيدها من الكتاب أو السـنة الصحيحة فلا بأس أن تكون ضـعيفة. و إن كان الحديث يعارضه نص آخر أقوى منه لا يمكن الجمع بينهما، حذف الأضـعف. مثلا نجد اسم عبد اللّه بن لهيعـة فى المسـند مع أنّ الحفاظ ضـعفوه لا لأنه اتّهم بالكـذب و لكن الرجل كان عنـده كتب و مخطوطات كثيرة كان يروى عنها ثم تلفت، فلما تلفت أخـذ يرويها من الـذاكرة و كثيرا ما كان يخطئ و رواة الحـديث كانوا متشـددين و مـدققين و محتاطين جدا فى هذا الأمر. جزم ابن تيميـة و ابن القيم أنه ليس فى المسـند حـديث موضوع، و قال البعض فيه أربعـة أحاديث موضوعـة و لكنها ليست من أحمد. و الأحاديث الضـعيفة التى فى المسـند لا تتعلق بالأحكام و هى ليست شديدة الضعف. و لقد طاف أحمد بن حنبل الدنيا مرتين حتى جمع مسـنده. من أقواله: له أقوال جليلـة منها: إذا أردت أن يدوم لك اللّه كما تحب فكن كما يحب. قصة ثوب أحمد بن حنبل: وقعت حريق فى بيت صالح بن أحمد بن حنبل و كان قد تزوج بامرأة ثرية، فلما علم بأمر الحريق راح يبكى لا على شـىء و لكن على ثوب أبيه الـذى كان يتبرك به، و لما دخل إلى بيته، وجد الثوب على السـرير و قد أكلت النار ما حوله و بقى سالما. و هناك مذاهب فقهيـة عديـدة أخرى لا يتسع المجال لتفصـيلها، كالزيديـة للإمام زيـد بن على زين العابدين بن الحسـين بن على بن أبى طالب عليهم الرضوان و السـلام جميعا، و الجعفريـة للإمام جعفر الصادق رضـى اللّه عنه، و الظاهريـة لابن حزم الأندلسـى .. و هناك أيضا مـذاهب أخرى قسم منها دثر أو قلّ أتباعه كمذهب الأوزاعى و الثورى و عطاء بن أبى رباح و إبراهيم النخعى و عبد اللّه بن المبارك و غيرهم

الكثير .. فقد الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۸۸ ذكر الأستاذ الدكتور عبد الحميد حمد العبيدى أنه أشرف على بحوث دراسات عليا ماجستير و دكتوراه عديدة بكلية الشريعة بجامعة بغداد فى تفصيل المذاهب الفقهية فوجدوا أنها بالعشرات .. و قد قسّم هذه المذاهب الفقهية إلى عدة أقسام: ۱- من العلماء من كان له مذهب فقهى و كان له طلاب علم و أتباع، فدونوا علمه فوصلنا كما هو الحال فى المذاهب الأربعة لأهل السنة مع المذهبين الشيعيين الزيدية و الجعفرية. ۲- منهم من كان له مذهب فقهى كبير الشأن و اتبعه كثير من الناس فدونه أتباعه و لكنه دثر كما هو حال كثير من المذاهب كمذهب الأوزاعى و الثورى و عطاء بن أبى رباح و إبراهيم النخعى و عبد اللّه بن المبارك و غيرهم الكثير، فضعف أتباعها و انتهت و لم تعد متبعة. ۳- منهم من كان له اتباع و لكنهم بقى منهم القليل كما هو حال المذهب الظاهرى لابن حزم الأندلسى، و كذلك الأشاعرة و الأباضية. ۴- و منهم من كان له مذهب و لكن لم يدون و لم يكن له طلاب يدونون علمه. و غير ذلك من التصانيف مما لا يتسع المجال لذكره، و ما ذلك إلا لسعة أفق هذا الدين ليشمل كل الأجناس و يستوعب كل الحضارات و على مر العصور، إذ معلوم أن الخلاف فى المذهب الفقهى عن الآخر متأت من خلاف على تفسير آية أو مجموعة أحاديث، أو خلاف على إجماع أو قياس و كما فصلنا فى بداية الملحق هذا .. هذا الخلاف إنما هو خلاف فى الفروع و ليس فى أصول الدين كما حصل فى فرق الأديان السابقة التى اختلفت فى الأصول فذمّها اللّه تعالى فى القرآن الكريم فى آيات عديدة منها قوله تعالى مخاطبا نبيه صلّى اللّه عليه و سلّم إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ (۱۵۹)، (الأنعام: ۱۵۹) .. لذلك فهذا الخلاف مقبول عند اللّه تعالى فلا يصل إلى مرحلة الاختلاف «۱» التى ذمّها اللّه تعالى فى كتابه الكريم و حذر منها المصطفى صلّى اللّه عليه و سلّم. و كل هذه المذاهب كان

(_____۱) راجع كتابنا (القوانين القرآنية للحضارات- النسخة المفصلة) فستجد تفاصيل عن الفرق بين الخلاف و الاختلاف. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۸۹ أصحابها علماء أجلاء أوصلوا الدين للأمة و كانوا يحترمون رأى بعضهم البعض و لا يتجرأ أحدهم على الآخر بالقدح أو الذم أو الاستهزاء كما يفعل بعض علمائنا اليوم و مع الأسف، بل على العكس كانوا و كما رأينا فى بعض زوايا هذا الملحق متآخين متحابين كل ما يرجوه هو إيصال العلم الحق من منبعه الصافى من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى الناس كى لا يضيع الدين، فاجتهدوا لذلك فجزاهم اللّه تعالى عن دينه و كتابه و رسوله صلّى اللّه عليه و سلّم ألف خير. على أن هناك اتجاهات مدمرة لأصل العقيدة و الشريعة و مناف لإجماع الأمة، من هذه الاتجاهات: من كان له مذهب نحى به منحى غير مقبول من الأغلبية، فأدى فى زمانه إلى صراع فكرى لإثبات بطلانها أخذ زمنا ليس بالقصير كالمعتزلة و الزنادقة و غيرها. منهم من اتخذ اتجاهات شاذة متطرفة و مغالية كالخوارج، و منهم من وصل به التطرف لحد الكفر و الإلحاد كالعلى إلهية و القدرية و الباطنية و البابية و البهائية و غيرهم. أما ما حصل من تحول فى مسار المذاهب بعد إقحام بعضها فى الصراعات السياسية، أو تحول بعضها إلى الاتجاه السياسى المحض فقد أدّى بالأمة إلى الانشقاق إلى فرقتين رئيسيتين استغلها أعداء الأمة على مر العصور لإثارة النعرات و التفرقة و الاقتتال فيما بينها لخدمة مصالح الأعداء .. و هذا ما يفرح شياطين الإنس و الجن عند ما ترى أمة الحبيب صلّى اللّه عليه و سلّم و هى تفترق و تتناحر، و هو ما لا يرضاه اللّه تعالى لهذه الأمة المرحومة، و هو أيضا ما يحزن الحبيب صلّى اللّه عليه و سلّم و آله الأطهار و صحابته الأخيار الذين رووا بدمائهم الزكية الطاهرة أرض اللّه الواسعة لنشر من أجل أن تكون كلمة اللّه هى العليا و كلمة الذين كفروا السفلى، فنسأل اللّه تعالى أن يحقن دماء المسلمين و يعيدهم إلى وحدتهم و دينهم و كتابهم و سنة رسولهم صلّى اللّه عليه و سلّم و طريق عظماء هذه الأمة من الآل و الأصحاب و التابعين و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. و الحمد للّه رب العالمين ... الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۹۰

أعمال للمؤلف

أعمال للمؤلف ۱. كتاب (المنظار الهندسى للقرآن الكريم)، دار المسيرة، عمان- الأردن، ط/ ۱، ۱۴۲۲ ه- ۲۰۰۱ م. ۲. كتاب (المنظار

الهندسی للقرآن الکریم)، دار المسیرة، عمان- الأردن، ط/ ۲، ۱۴۲۵ ه- ۲۰۰۴ م. ۳. کتاب (أنت و الأنترنت- جلّ ما تحتاجه من خدمات الشبکة العالمیة-)، دار الرشد، ط/ ۱، ۱۴۲۲ ه- ۲۰۰۱ م. ۴. کتاب (القرآن منهل العلوم)، طبع الجامعة الإسلامیة، بغداد، ط/ ۱، ۱۴۲۳ ه- ۲۰۰۲ م. ۵. کراس (مواصفات الفحوص المختبریة لأعمال الهندسة المدنیة)، مع مجموعة من المختصین، ۱۴۲۳ ه- ۲۰۰۲ م. ۶. کتاب (القوانین القرآنیة للحضارات- النسخة المختصرة، ۱۲۵ صفحة من القطع الصغیر-)، طبع ببغداد عام ۱۴۲۴ ه- ۲۰۰۳ م. ۷. سلسلة کتب (ومضات إعجازیة من القرآن و السنة النبویة- ۱۵ جزءا-)، دار الکتب العلمیة، بیروت- لبنان. أ. التأریخ و الآثار. ب. المادة و الطاقة. ت. الفلک. ث. الأرض. ج. الریاح و السحب. ح. المیاه و البحار. خ. النبات و الإنبات. د. الحیوانات و الحشرات. ذ. الطب. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۹۱ ر. الصیدلة و الأمراض. ز. الوراثة و الاستنساخ. س. الجملة العصبیة و الطب النفسی. ش. الأحکام و الباراسایکولوجی. ص. الاقتصاد و الاجتماع. ض. آخر الزمان. ۸. کتاب (القوانین القرآنیة للحضارات- النسخة المفصلة، ۳۶۵ صفحة من القطع الکبیر)، دار الکتب العلمیة، بیروت- لبنان .. ۹. کتاب (تفصیل النحاس و الحدید فی الکتاب المجید)، دار الکتب العلمیة، بیروت- لبنان. ۱۰. عدة بحوث فی مجال الهندسة المدنیة منشورة فی مجلات و مؤتمرات هندسیة مرموقة داخل العراق و خارجه. ۱۱. عدة بحوث و مقالات فی مجال الإعجاز القرآنی منشورة فی صحف و مجلات و مؤتمرات مرموقة داخل العراق. ۱۲. عدة أعمال مرئیة تلفازیة و حاسوبیة فی محطات محلیة و أخری فضائیة عربیة.

مشاریع کتب للمؤلف

مشاریع کتب للمؤلف ۱. کتاب (استنباط الحلول من أسباب النزول)، قید التألیف. ۲. کتاب جامعی عن المواد الهندسیة، قید التألیف. ۳. تصامیم شبکات الخدمات المائیة و الصحیة، قید الإعداد. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ۱۹۲

فهرس المحتویات

فهرس المحتویات مقدمة ۳ الفصل الأول: نظرة عامة ۹ الفصل الثانی: الاقتصاد فی الإسلام ۱۶ الفصل الثالث: النظام الاجتماعی الإسلامی ۲۵ الفصل الرابع: بعض دلائل الرقی فی السلوک الاجتماعی فی الإسلام ۶۵ الملحق: تاریخ التشریع الإسلامی ۸۵ فهرس المحتویات ۱۹۲

تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم. مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما،

تعزيز دوافع الشـّباب و عموم الناس إلى التـّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّـة، تخليف المطالب النـّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة –فى المحاميل (=الهواتف المنقولـة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّـة)، تمهيـد أرضـيّةٍ واسـعةٍ جامعـةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت– عليهم السّـلام – بباعث نشـر المعارف، خدمات للمحققين و الطـّلاّب، توسـعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسـلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسـهيل رفع الإبهام و الشـّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشـرها و بثـّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنـّه يُمكِن تسـريعُ إبراز المَرافِق و التسـهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشـرِ الثـّقافـةِ الاسـلاميّة و الإيرانيّـة – فى أنحـاء العالَم – مِن جـهـةٍ أُخرَى. – من الأنشـطة الواسـعة للمركز: الف) طبع و نشـر عشـراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشـرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّـةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكـة و... الأماكن الدينيّـة، السـياحيّة و... د) إبداع الموقع الانترنتى" القائميّـة "www.Ghaemiyeh.com و عـدّة مَواقِعَ أُخـرَ ه) إنتـاج المُنتَجـات العرضـيّة، الخَطابـات و... للعرض فى القنوات القمريّـة و) الإطلاق و الـدَّعم العلمىّ لنظام إجابـة الأسـئلة الشـرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسـيم النظـام التلقائىّ و اليـدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصـيرة SMS ح) التعـاون الفخرىّ مع عشـراتِ مراكزَ طبيعيّـة و اعتباريّـة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّـة، الجوامع، الأماكن الدينيّـة كمسـجد جَمكرانَ و... ط) إقامـة المؤتمَرات، و تنفيذ مشـروع" مـا قبـلَ المدرسـة "الخـاصّ بالأطفال و الأحـداث المُشارِكين فى الجلسـة ى) إقامـة دورات تعليميّـة عموميّـة و دورات تربية المربّى (حضـوراً و افتراضـاً) طيلـة السَّنـَة المكتـب الرّئيسـىّ: إيران/أصـبهان/ شـارع"مسـجد سـيّد/ "مـا بيـنَ شـارع"پنـج رَمَضـان" ومُفترَق"وفائى/"بنايـة"القائميّة "تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّـة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريـة القمريّـة) رقـم التسـجيل: ۲۳۷۳ الهويّة الوطنيّـة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقـع: www.ghaemiyeh.com البريـد الالـكترونى: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانـترنتى: www.eslamshop.com الهـاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفـاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مكتـب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التـّجاريّـة و المَبيعـات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المسـتخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظـة هامّـة: الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّـة، تبرّعيّـة، غير حكوميّـة، و غير ربحيّـة، اقتـُنِيَت باهتمـام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِى الحجمَ المتزايـد و المتـّسِعَ للامور الدّينيّـة و العلميّـة الحاليّـة و مشاريع التوسـعة الثـّقافيّـة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسـمَّى بالقائميّة) و مع ذلـك، يرجو مِن جـانب سـماحة بقيّـة الله الأـعظم (عَجَّلَ اللهُ تعـالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفـّقَ الكـلَّ توفيقـاً متزائـداً لِإعانتهم – فى حدّ التـّمكـّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹